١٢٦

مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث

آفاق الثقافة والتراث

مجلة فصلية علمية محكمة

تصدر عن قسم الدراسات والنشر والشؤون الخارجية بمركز جمعة الماجد للثقافة والتراث

السنة الثانية والثلاثون : العدد مائة وستة وعشرون - ذو الحجة ١٤٤٥هـ/ يونيو ٢٠٢٤ م

بحر السعادة

المؤلف: الحاجي هراس : محمد بن محمد بن إبراهيم الكازروني ، تاج الدين ٨٤٣ هجري

تاريخ النسخ: ٩٤٢ هجري

نسخة مكتبة نور عثمانية ٢٢٨٢

Bahr alsaeada

Author: Al-Hajji Haras: Muhammad bin Muhammad bin Ibrahim Al-Kazrouni, Taj al-Din 843 AH

Date of publication: 942 AH

Library copy : Nur Osmaniye 2282

آفاق الثقافة والتراث

السنة الثانية والثلاثون : العدد مائة وستة وعشرون - ذو الحجة ١٤٤٥هـ/ يونيو ٢٠٢٤ م

Juma Al Majid Center for Culture and Heritage - Dubai

Āfāq Al Thaqāfah Wa'l-Turāth

A Scientific Refereed Quarterly Journal

Volume 32 : No. 126 - Dhul Hijjah - 1445 A.H. - June 2024

كتاب البستان(بستان العارفين)

المؤلف: أبو الليث السمرقندي : نصر بن محمد بن أحمد الحنفي إمام الهدى ٣٧٣ هـ

نسخة مكتبة نور عثمانية ٢٢٨٤

Kitab Albustani(bistan alearifin)

Author: Abu Al-Layth Al-Samarqandi: Nasr bin Muhammad bin Ahmed Al-Hanafi, Imam of Guidance, 373 AH

Library copy :Nur Osmaniye 2284

Published by:

Department of Studies, Publications and Foreign Affairs

Juma Al Majid Center for Culture and Heritage

شروط النشر في المجلة

١ – أن يكون الموضوع المطروق متميّزًا بالجدّة والموضوعية والشمول والإثراء المعرفي، وأن يتناول أحد أمرين:

– قضية ثقافية معاصرة، يعود بحثها بالفائدة على الثقافة العربية والإسلامية، وتسهم في تجاوز المشكلات الثقافية.

– قضية تراثية علمية، تسهم في تنمية الزاد الفكري والمعرفي لدى الإنسان العربي المسلم، وتثري الثقافة العربية والإسلامية بالجديد.

٢ – ألاّ يكون البحث جزءًا من رسالة الماجستير أو الدكتوراه التي أعدّها الباحث، وألاّ يكون قد سبق نشره على أيّ نحوٍ كان، ويشمل ذلك البحوث المقدمة للنشر إلى جهة أخرى، أو تلك التي سبق تقديمها للجامعات أو الندوات العلمية وغيرها، ويثبت ذلك بإقرار بخط الباحث وتوقيعه.

٣ – يجب أن يُراعى في البحوث المتضمنة لنصوصٍ شرعية ضبطها بالشكل مع الدقّة في الكتابة، وعزو الآيات القرآنية، وتخريج الأحاديث النبوية الشريفة.

٤ – يجب أن يكون البحث سليمًا خاليًا من الأخطاء اللغوية والنحوية، مع مراعاة علامات الترقيم المتعارف عليها في الأسلوب العربي، وضبط الكلمات التي تحتاج إلى ضبط.

٥ – يجب اتّباع المنهج العلمي من حيث الإحاطة، والاستقصاء، والاعتماد على المصادر الأصيلة، والإسناد، والتوثيق، والحواشي، والمصادر، والمراجع، وغير ذلك من القواعد المرعية في البحوث العلمية، مع مراعاة أن تكون مراجع كلّ صفحة وحواشيها أسفلها.

٦ – بيان المصادر والمراجع العلمية ومؤلفيها في نهاية كلّ بحث مرتبة ترتيبًا هجائيًّا تبعًا للعنوان مع بيان جهة النشر وتاريخه.

٧ – أن يكون البحث مجموعًا بالحاسوب، أو مرقونًا على الآلة الكاتبة، أو بخطٍ واضح، وأن تكون الكتابة على وجهٍ واحد من الورقة.

٨ – على الباحث أن يرفق ببحثه نبذة مختصرة عن حياته العلميّة مبيّنًا، اسمه الثلاثي ودرجته العلمية، ووظيفته، ومكان عمله من قسمٍ وكلية وجامعة، إضافةً إلى عنوانه وصورة شخصية ملونة حديثة.

٩ – يمكن أن يكون البحث تحقيقًا لمخطوطة تراثية، وفي هذه الحالة تتبع القواعد العلمية المعروفة في تحقيق التراث، وترفق بالبحث صور من نسخ المخطوط المحقّق الخطّية المعتمدة في التحقيق.

١٠ – أن لا يقلّ البحث عن خمس عشرة صفحة، ولا يزيد عن ثلاثين.

ملاحظات

١ – ترتيب البحوث في المجلة يخضع لاعتبارات فنية.

٢ – لا تُرد البحوث المرسلة إلى المجلة إلى أصحابها، سواء نشرت أو لم تنشر.

٣ – لا يجوز للباحث أن يطلب عدم نشر بحثه بعد عرضه على هيئة تحرير المجلة إلاّ لأسباب تقتنع بها هيئة التحرير، وذلك قبل إشعاره بقبول بحثه للنشر.

٤ – تستبعد المجلة أيّ بحثٍ مخالف للشروط المذكورة.

٥ – تدفع المجلة مكافآت مقابل البحوث المنشورة، أو مراجعات الكتب، أو أيّ أعمال فكرية.

٦ – يعطى الباحث نسختين من المجلة.

الشروط الخاصة بنشر كتب محكمة ضمن سلسلة آفاق الثقافة والتراث

١ – أن يكون الموضوع المطروق متميّزًا بالجدّة والموضوعية والشمول والإثراء المعرفي، وأن يتناول أحد أمرين:

– قضية ثقافية معاصرة، يعود بحثها بالفائدة على الثقافة العربية والإسلامية، وتسهم في تجاوز المشكلات الثقافية.

– قضية تراثية علمية، تسهم في تنمية الزاد الفكري والمعرفي لدى الإنسان العربي المسلم، وتثري الثقافة العربية والإسلامية بالجديد.

٢ – ألاّ يكون الكتاب جزءًا من رسالة الماجستير أو الدكتوراه التي أعدّها الباحث، وألاّ يكون قد سبق نشره على أيّ نحوٍ كان، ويشمل ذلك الكتب المقدمة للنشر إلى جهة أخرى، أو تلك التي سبق تقديمها للجامعات أو الندوات العلمية وغيرها، ويثبت ذلك بإقرار بخط الباحث وتوقيعه.

٣ – يجب أن يُراعى في الكتب المتضمنة لنصوصٍ شرعية ضبطها بالشكل مع الدقّة في الكتابة، وعزو الآيات القرآنية، وتخريج الأحاديث النبوية الشريفة.

٤ – يجب أن يكون الكتاب سليمًا خاليًا من الأخطاء اللغوية والنحوية، مع مراعاة علامات الترقيم المتعارف عليها في الأسلوب العربي، وضبط الكلمات التي تحتاج إلى ضبط.

٥ – يجب اتّباع المنهج العلمي من حيث الإحاطة، والاستقصاء، والاعتماد على المصادر الأصيلة، والإسناد، والتوثيق، والحواشي، والمصادر، والمراجع، وغير ذلك من القواعد المرعية في البحوث العلمية، مع مراعاة أن تكون مراجع كلّ صفحة وحواشيها أسفلها.

٦ – بيان المصادر والمراجع العلمية ومؤلفيها في نهاية كلّ كتاب مرتبة ترتيبًا هجائيًّا تبعًا للعنوان، مع بيان جهة النشر وتاريخه.

٧ – أن يكون الكتاب مجموعًا بالحاسوب، أو مرقونًا بالآلة الكاتبة، أو بخط واضح، وأن تكون الكتابة على وجهٍ واحد من الورقة.

٨ – على الباحث أن يرفق ببحثه نبذة مختصرة عن حياته العلميّة، مبيّنًا اسمه الثلاثي ودرجته العلمية، ووظيفته، ومكان عمله من قسم وكلية وجامعة، إضافةً إلى عنوانه، وصورة شخصية ملونة حديثة.

٩ – يمكن أن يكون الكتاب تحقيقًا لمخطوطة تراثية، وفي هذه الحالة تتبع القواعد العلمية المعروفة في تحقيق التراث، وترفق بالكتاب صور من نسخ المخطوط المحقّق الخطيّة المعتمدة في التحقيق.

١٠ – أن لا يقل الكتاب عن مئة صفحة ولا يزيد عن مئتين.

١١ – تخضع الكتب المقدمة للتقويم والتحكيم حسب القواعد والضوابط التي يلتزم بها، ويقوم بها كبار العلماء والمختصين، قصد الارتقاء بالبحث العلمي خدمةً للأمّة ورفعًا لشأنها، ومن تلك القواعد عدم معرفة المحكمين أسماء الباحثين، وعدم معرفة الباحثين أسماء المحكمين، سواء وافق المحكمون على نشر البحوث من غير تعديلٍ أو أبدوا بعض الملاحظات عليها، أو رأوا عدم صلاحيتها للنشر.

ملاحظات

١ – ما ينشر في هذه السلسلة من آراء يعبّر عن فكر أصحابها، ولا يمثّل رأي الناشر أو اتجاهه.

٢ – لا تُردّ الكتب المرسلة إلى أصحابها، سواءً نشرت أو لم تنشر.

٣ – لا يجوز للباحث أن يطلب عدم نشر كتابه بعد عرضه على التحكيم إلاّ لأسباب تقتنع بها اللجنة المشرفة على إصدار السلسلة، وذلك قبل إشعاره بقبول كتابه للنشر.

٤ – يُستبعد أيّ كتابٍ مخالف للشروط المذكورة.

٥ – يدفع المركز مكافآت مقابل الكتب المنشورة وثلاثين نسخة من الكتاب المطبوع.

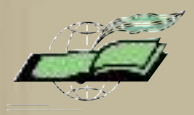

مركـــز جمعـــة المـــاجـــد للثقـــــافة والتـــــــراث
Juma Al Majid Center for Culture and Heritage

السلام عليكم و رحمة الله و بركاته، و بعد ،

فإنه يسرنا أن نبعث إليكم بنسخة من العدد (١٢٦) من مجلة آفاق الثقافة و التراث.

راجين التفضل بإرسال إشعار التسلم المرفق بالمجلة إلينا.

مع خالص شكرنا و تقديرنا لحسن تعاونكم معنا

و تفضلوا فائق الاحترام و التقدير

Dear Sir ;

Attached is one copy of Afaq Al-Thaqafa wa Al- Turath magazine, issue No (126). Please send back the enclosed receipt of Acknowledgement after filling in the required infomation.

Thank you for your kind cooperation

We remain

Gift ☐ إهداء

Exchange ☐ تبـادل

Subscription ☐ اشتراك

قسيمة اشتراك

Subscription Order Form

☐ سنة One Year

☐ أكثر من سنة More Than One Year

☐ عدد السنوات of Years

للأعداد : ..... Issues

عدد النسخ : ..... of Copies:

ابتداء من تاريخ : ..... Subscription Date :

☐ شيك Check

☐ حوالة مصرفية Bank Draft

☐ حوالة بريدية Postal Draft

التاريخ : ..... Date :

التوقيع : ..... Signature :

إشعار بالتسلم

Acknowledgement of Receipt

Name : ..... الاسم الكامل :

Institution ..... المؤسسة :

Address ..... العنوان :

P.O. Box : ..... صندوق البريد :

No. of Copies: ☐ عدد النسخ : Issues No.: ☐ العدد :

Subscription ☐ اشتراك Exchange ☐ تبادل Gift ☐ إهداء

Signature : ..... التوقيع : Date : ..... التاريخ :

آفاق الثقافة والتراث

مجلة فصلية علمية محكمة

تصدر عن قسم الدراسات والنشر والشؤون الخارجية
بمركز جمعة الماجد للثقافة والتراث

دبي ـ ص.ب. ٥٥١٥٦
هاتف ٢٦٢٤٩٩٩ ٤ ٩٧١+
فاكس ٢٦٩٦٩٥٠ ٤ ٩٧١+
دولة الإمارات العربية المتحدة
البريد الإلكتروني: info@almajidcenter.org
الموقع الإلكتروني: www.almajidcenter.org

السنة الثانية والثلاثون : العدد مائة وستة وعشرون ـ ذو الحجة ١٤٤٥هـ/ يونيو ٢٠٢٤ م

رقم التسجيل الدولي للمجلة

ردمد ٢٠٨١ ـ ١٦٠٧

المجلة مسجلة في دليل
أولريخ الدولي للدوريات
تحت رقم ٣٤٩٣٧٨

هيئة التحرير

مدير التحرير

د. عز الدين بن زغيبة

سكرتير التحرير

د. منى مجاهد المطري

هيئة التحرير

د. أبوبكر الصديق
د. محمد أحمد القرشي
د. فكري عبد المنعم النجار
د. محمد فاضل الحطاب

الاشتراك السنوي

	داخل الإمارات	خارج الإمارات
المؤسسات	١٠٠ درهم	١٥٠ درهم
الأفراد	٧٠ درهماً	١٠٠ درهم
الطلاب	٤٠ درهماً	٧٥ درهماً

المقالات المنشورة على صفحات المجلة تعبر عن آراء كاتبيها ولاتمثل بالضرورة وجهة نظر المجلة أو المركز الذي تصدر عنه

يخضع ترتيب المقالات لأمور فنية

الفهـــــرس

الإفتتاحية

من روائع الإسلام تربية المسلمين على الإحسان للناس

مدير التحرير ٤

المقـالات

شـروح وحواشـي علماء المغرب الأقصى على كتب ومنظومات السيرة النبوية

د. رشيد الحمداوي ٦

التّراث الأدبي التّونسي ما بين الحربين: ميكانيزم الدّفاع عن الذّات الوطنية

د. عاطف عبد الستّار ٣٥

النخيـل في التراث الشـعبي مصدر من مصادر القوة الناعمة الإماراتية

طالب غلوم طالب ٥٩

مخطوطة التحفة الجامعة لمفردات الطب النافعة؛ الطـب النبـوي كمصـدر للمعرفـة الطبيـة فـي الحضارة العربية الإسلامية

د. أيمن ياسين عطعط ٧٩

تحقيق المخطوطات

إرشاد الطائف إلى علم اللطائف

د. طه محمد فارس ٩٧

القـول اللازم المختار بجواز دفـع الصدقات إلى بني هاشم عند الاضطرار

أ . د . مقتدر حمدان عبد المجيد ١٤٥

الملخصات ١٨١

بسم الله الرحمن الرحيم
حامد

من روائع الإسلام تربية المسلمين على الإحسان للناس

قال الله تعالى: ﴿وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ (البقرة: ٨٣)، قال أهل العلم: إن الحسن يشمل الحسن في هيئته وفي معناه، ففي هيئته أن يكون باللطف واللين وعدم الغلظة والشدة وفي معناه أن يكون خيرا، ومما يوافق هذه الآية قوله تعالى: ﴿وقل لعبادي يقولوا التي هي أحسن﴾ (الإسراء: ٥٣)، وقريب منه أمره تعالى لعباده المؤمنين بمجادلة أهل الكتاب بالتي هي أحسن حيث قال تعالى: ﴿ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن﴾ (العنكبوت: ٤٦)، قال العلماء وهذا عام، يشمل جميع الناس والنظر فيه من جهة الإنسانية الراجعة إلى أصل التكريم لبني آدم، في قوله تعالى: ﴿ولقد كرمنا بني آدم﴾ (الإسراء: ٧٠) بل ذهب بعض أهل العلم إلى القول بأن للمحارب حظًا من الإحسان الذي لا يؤدي إلى تعظيم شعائر الكفر أو الإعانة على الباطل أو ما يدل على مودتهم واستدلوا على ذلك بقوله تعالى في وصفه للأبرار ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ۞ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاء وَلا شُكُورًا ۞ ﴾ (الإنسان: ٨)، فقالوا: ومن المعلوم أنه لم يكن وقت نزول الآية أسيرًا إلا الكافر المحارب.

وبناء على هذه المعاني المبثوثة في الأصلين الإلهي والنبوي قال ابن الوزير اليماني رحمه الله في كتابه إيثار الحق على الخلق " : وأما المخالقة والمنافعة وبذل المعروف وكظم الغيظ وحسن الخلق وإكرام الضيف ونحو ذلك فيستحب بذله لجميع الخلق إلا ما كان يقتضي مفسدة كالذلة فلا يبذل للعدو في حال الحرب، أما في غيرها فالأمر مختلف كما أشار إليه قوله تعالى: ﴿لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطو إليهم إن الله يحب المقسطين ۞ ﴾ (الممتحنة: ٨)، ومن ثم فالواجب على المسلم أن يُخالق الناس بخلق حسن، حيثما كان في بلاد المسلمين أو خارج بلاد المسلمين امتثالا لقول نبيه صلى الله عليه وسلم: "اتق الله حيثما كنت وأتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن"، وقد بُعث النبي صلى الله عليه وسلم ليتمم مكارم الأخلاق، وإن الرجل ليبلغ بحسن الخلق درجة الصائم القائم كما دل عليه الحديث، وأول بركات حسن الخلق أنه يفتح لصاحبه مغاليق القلوب، ويؤلف عليه النفوس فتُصغي إليه وتقدر منهجه ودعوته، ويكون ذلك طريقًا قاصدًا لقبولها للإسلام أو لحسن الظن به، وعدم معاداته على الأقل، قال تعالى: ﴿ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم ۞ ﴾ (فصلت: ٣٤-٣٥)، وإنما أمر الرسول صلى الله عليه وسلم بذلك لأن منتهى الكمال

البشري خُلُقُه، والإحسان كمال ذاتي، والكمال مطلوب لذاته فلا يعدل عنه ما استطاع المسلم ذلك ما لم يخش فوات كمال أعظم، ولذلك قالت عائشة (ما انتقم رسول الله صلى الله عليه وسلم لنفسه قط إلّا أن تُنتهك حرمات الله فيغضب لله). وتخلُّقُ الأمة بهذا الخلق مرغوب فيه قال تعالى ﴿وجزاء سيئةٍ سيئة مثلُها فمن عفا وأصلح فأجره على الله﴾.

وقد أمرنا الله عز وجل بالبر والقسط بالمسالمين لنا من غير المسلمين. قال ابن عاشور: (فالحسنة تعم جميع أفراد جنسها وأُولاها تبادرًا إلى الأذهان حسنةُ الدعوة إلى الإسلام لما فيها من جمّ المنافع في الآخرة والدنيا، وتشمل صفة الصفح عن الجفاء الذي يلقَى به المشركون دعوة الإسلام؛ لأن الصفح من الإحسان، وفيه ترك ما يثير حميتهم لدينهم ويقرب ذوي النفوس اللينة)، كما أوصانا الله ورسوله صلى الله عليه وسلم بالجار ولو كان من غير المسلمين، فقال تعالى ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾ (النساء: ٣٦)، والجار الجنب جاء في بعض أوجه تفسيره هو الجار غير المسلم، وكلنا يعلم قصة اليهودي الذي كان يؤذي النبي صلى الله عليه وسلم وكان يرفق به ويحسن إليه ولا يُقابل إساءته بمثلها وكان ذلك سببًا في إسلامه، وقيل في الصاحب بالجنب تفاسير عديدة ومنها الذي يلصق بك رجاء خيرك.

والذي تلتقي عليه كلمة العلماء في هذا المقام أن غير المسلمين لهم حق الجوار وحق الدعوة، فحق الجوار يقتضي الإحسان إليهم والرفق بهم، وحق الدعوة يقتضي الصبر عليهم ومداراتهم وتأليف قلوبهم بالإحسان إليهم، ولا تعارض بين هذا الذي نقول وبين الولاء الذي جعله الله وقفًا على أهل الإسلام وحدهم، فإن الموالاة المحرمة شيء وحسن الخلق الواجب والمأمور به شيء آخر، وأما إن قُصد بحسن الخلق ما هو أبعد من ذلك كاتخاذ غير المسلمين بطانة من دون المؤمنين، وخاصة خلطاء يُفضي إليهم المرء بمكنون نفسه ويتابعهم ويقرهم على ما هم عليه ويعينهم على مذاهبهم الباطلة، ويسكن إليهم في مشورته وتدبير أموره دون بقية المسلمين فهذا الذي حرمه الله ورسوله، علمًا بأن الولاء يعني المحبة الدينية والنصرة على الدين وعلى هذا فلا يلزم من حسن الخلق والمعاملة الولاء، وينبغي التفريق بين البغض في الله وكراهة المنكر وبين أداء الحقوق والواجبات وحسن الخلق، وقد يُعامل المؤمن جميع الناس بالإحسان اللائق بمقام كل ملة واللائق بمقامه وشرفه كمسلم مؤمن والله أعلى وأعلم بالحق والصواب

مدير التحرير
د.عز الدين بن زغيبة

شروح وحواشي علماء المغرب الأقصى على كتب ومنظومات السيرة النبوية

د. رشيد الحمداوي
أستاذ باحث بالمركز الجهوي لمهن التربية والتكوين
مراكش - المغرب

الحمد لله الذي بعث فينا رسولا من أنفسنا يعلمنا الكتاب والحكمة، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، واسع المغفرة والرحمة، وأشهد أن سيدنا محمدا عبد الله ورسوله، نصح الأمة وكُشِفت به الغُمّة، صلى الله وبارك عليه وعلى آله الطاهرين، وأصحابه الميامين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد، فإن السيرة النبوية من أهم ما يعتني المسلم بمعرفته وحفظه، بما هي تأريخٌ لحياة الرسول عليه الصلاةُ والسلام، وبيانٌ لما تضمنه القرآن من أحكام، وتطبيق عمليٌّ للإسلام. ولقد اعتنى علماء المغرب الأقصى بهذا العلم منذ الفتح الإسلامي، روايةً للمصنفات الأولى فيه، واختصارا لها، وقراءة وإقراءًا، وتأليفا ونظما.

ومن أوجه عنايتهم التي تميزوا بها عن غيرهم اعتناؤُهم بشرح ما أُلِّف أو نُظِم في السيرة النبوية، بيانًا لمعانيه، وتفسيرا لغريبه، وبسطًا لإشاراته، وشرحا لما تضمنه من آيات وأحاديث، وتعريفا بما ورد فيه من أعلام ومواضع وقبائل، وترجيحا بين ما اختلفت فيه الروايات، وتفصيلا لما أُجمِل فيها من وقائع وأحداث.

وقد تعددت صور ذلك بين شروح كاملة، وحواشي حافلة، وتنوعت أشكال تلك الشروح بين مختصر ومطول، وبين ما يقتصر على معاني الكلمات وما يتوسع في تفاصيل الأحداث، وتنوعت المادة المشروحة بين مختصرات نثرية، ومنظومات شعرية.

وقد ارتأيت أن أقدم للباحثين والمهتمين بالسيرة النبوية توصيفا وتكشيفا لشروح علماء المغرب الأقصى وحواشيهم على كتب السيرة النبوية ومنظوماتها.

وقد قسمت هذا البحث إلى مبحثين: الأول

يتعلق بالشروح والحواشي الموضوعة على الكتب، والثاني يتعلق بالشروح والحواشي الموضوعة على المنظومات الشعرية.

أما الأول فتندرج تحته المطالب الآتية:

الأول: الشروح المغربية لمختصر ابن فارس في السيرة النبوية.

الثاني: الشروح والحواشي المغربية على "الاكتفاء" للكَلاعي.

الثالث: الحواشي المغربية على شرح الزرقاني للمواهب اللّدُنِية.

الرابع: الحواشي المغربية على "السيرة الحلبية".

أما المبحث الثاني فجعلت تحته المطالب الآتية:

الأول: الشروح المغربية للقصيدة الشُّقْراطسية.

الثاني: الشروح والحواشي المغربية لألفية الحافظ العراقي في السيرة النبوية.

الثالث: الشروح المغربية لمنظومة "الدرة الخطيرة في مهم السيرة".

الرابع: الشروح المغربية لمنظومات أخرى في السيرة النبوية.

وقد سرت في هذه المطالب على الخطوات الآتية:

أبتدئ كل مطلب بتعريف وجيز بالكتاب المشروح، فأذكر عنوانه، واسم مؤلفه، وما يدل على أهميته وقيمته العلمية، وعناية العلماء به. وأشير إلى ما له من طبعات؛ وإن كان المشروح نظما أذكر مطلعه، وربما ذكرت خاتمته أحيانا، وربما ميزته مما قد يلتبس به.

- بعد التعريف بالنص المشروح أنتقل إلى الحديث عن الشروح التي شرح بها أو الحواشي التي وضعت عليه.
- قدمتُ الحديث عن الشروح على الحواشي، ورتبتُ ما ينطوي تحت كل مبحث أو مطلب ترتيبا زمنيا، فأُقدّم الأقْدمَ فالأقْدم.
- أذكر اسم الكتاب أو الحاشية أوّلاً كما ذكره أغلب من ذكره من المصنِّفين، وأشير إلى ما يقاربه أو يختلف عنه في التعليق بعد ذلك.
- أشير في الهامش عند ذكر اسم الكتاب إلى من نسبه إلى مؤلفه من أصحاب كتب التراجم أو الفهارس أو نحوها.
- أذكر بعد ذكر اسم الكتاب اسم مؤلفه كاملا، مفتتِحًا إياه بتحلية تُنبِئ عن منزلته العلمية، ومختتِما إياه بتاريخ وفاته.
- أشير في الهامش عند تاريخ وفاة المؤلف إلى مصادر ترجمته، مرتبا إياها ترتيبا زمنيا.
- أنبه على ما يكون من أوهام في نسبة الكتاب أو المعلومات المتعلقة به إن كانت ثمة وهم.
- بعد ذكر اسم المؤلف أذكر ما يشير إلى عنايته بالكتاب المشروح أو بالسيرة النبوية تأليفا إن وجَدتُ ما يدل على ذلك.
- بعد ما تقدم أذكر ما ذكره أصحاب كتب التراجم أو الفهارس عن الكتاب، كبيان قيمته، أو سبب تأليفه، أو عدد أسفاره، أو عدم إكماله ونحو ذلك.
- أذكر بعد ذلك طبعات الكتاب أو نسخه الخطية، فإن كان قد طبع ونشر، فأذكر من حققه والدار التي نشرته، وسنة النشر، وعدد صفحات الكتاب، وربما علقت على التحقيق وبينت قيمته العلمية.
- إن كان الكتاب ما زال مخطوطا فإنني أذكر الخزائن التي تتضمن نسخه الخطية وأرقامَها وعدد أوراقها أو لوحاتها إن وقفت عليه،

وتاريخ نسخها، وأحيل في الهامش على فهارس المخطوطات للاستزادة من تفاصيل صفاتها.

- إن كان الكتاب أو الحاشية قد حققت في رسالة جامعية فإنني أذكر اسم الباحث أو الباحثين الذي حققوه، واسم المشرف الذي أشرف على البحث، والكلية التي سجل فيها البحث، وسنة تسجيله أو مناقشته إن وقفت على ذلك.
- أذكر في الختام مطلع الكتاب أو بداية النسخة الخطية الموجودة له، وربما ذكرت كذلك ما ختم به مؤلفه الكتاب، أو ما تضمنته نهاية المخطوطة التي وُجِدت له.

واللهَ تعالى أسأل أن ينفع بهذا العمل ويجعلَه خالصا لوجهه الكريم.

المبحث الأول: شروح علماء المغرب الأقصى وحواشيهم على كتب السيرة النبوية:

من المعلوم أن علماء الغرب الإسلامي بصفة عامة حازوا قصب السبق في التأليف في شرح كتب السيرة النبوية، ولعل أقدم من وقفنا على خبره في ذلك شيخ أهل العربية في إفريقية: عبد الملك بن قطَن المهْري القيرواني (ت: ٢٥٦هـ)، فقد ذكر له مترجموه أن له كتابا في شرح مغازي الواقدي[١]. أما أشهر شروح كتب السيرة النبوية التي ألفت في بلاد المغرب والأندلس فهو كتاب "الروض الأنف" الذي شرَح به أبو القاسم السُّهَيْلي دفين مراكش (ت:٥٨١هـ) سيرةَ ابن هشام، وهو كتاب نفيسٌ يدل على فضل مؤلفه ونبله وسعة علمه كما قال الوزير القفطي (ت: ٦٤٦هـ)[٢].

وقد سار علماء المغرب الأقصى على هذا المنوال، فاختاروا شرح ما يُقبل المشتغلون بالعلم على قراءته أو حفظه في زمنهم، وألفوا في ذلك ما يسعفهم في بغيتهم.

وأذكر في المطالب الآتية كتب السيرة النبوية التي قام علماء المغرب الأقصى بشرحها أو وضع حاشية عليها، بدءًا بأقدمها وهو مختصر ابن فارس:

المطلب الأول – الشروح المغربية لمختصر ابن فارس في السيرة النبوية:

وعنوان هذا المختصر هو "أوجز السير لخير البشر"[٣]، وهو للإمام اللغوي أبي الحسين أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازيّ (ت:٣٩٥هـ)[٤].

وابن فارس من علماء اللغة المشهورين الذين صنفوا فيها كتبا متعددة، وذاع صيته في ذلك، وقد صرح عن دوافعه في إخراجه مصنفا لسيرة الرسول صلى الله عليه وآله وسلّم بهذا الحجم في مقدمته فقال: "هذا ذكر ما يحق على المرء المسلم حفظُه وتجب على ذي الدين معرفتُه من نسب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومولدِه ومنشئه ومبعثه وذكر أحواله في مغازيه ومعرفة أسماء ولدِه وعمومته وأزواجه، فإن للعارف بذلك رتبةً تعلو على رُتبة من جهله، كما أن للعلم به حلاوةً في الصدور، ولم تُعمَر مجالس الخير بعد كتاب الله عز وجل بأحسنَ من أخبار رسول الله صلى الله عليه وسلّم. وقد أتينا في مختصرنا هذا من ذلك ذكرا"[٥].

وقد نال هذا الكتاب المختصر مكانة بارزة عند العلماء الذين اطلعوا عليه، إذ تشير كتب الفهارس وتراجم الشيوخ إلى أن بعض العلماء قد اهتم بالحصول على إجازة روايته وتدريسه في

حلقات الدرس، وقام آخرون بالتنويه به والثناء عليه، إذ وصفه محمد بن أحمد العبدري (ت: ٦٨٨ هـ) فقال: "وكتابه هذا (اختصار السيرة) هو تأليف نبيل في أوراق يسيرة"[٦]، وأثنى عليه صلاح الدين الصفدي (ت: ٧٦٤هـ) فقال: "ومن أصغر ما صُنِّف في ذلك [أي في السيرة] جزءٌ لطيف لابن فارس صاحب المجمل في اللغة"[٧].

وقد اعتنى علماء المغرب الأقصى بشرح هذا الكتاب، ومن هذه الشروح:

- **"شرح سيرة ابن فارس"[٨]:** للعلامة المشارك خطيب القرويِّين محمد - المدعو بومَدْيَن - بن أحمد بن محمد الفاسي الفهري (ت:١١٨١هـ)[٩]. واسمه: **"مُستعذَب الإخبار بأطيب الأخبار":**

وقد طبع الكتاب في ٤٤٧ صفحة بتحقيق: أحمد عبد الله باجور، الباحث بمجمع البحوث الإسلامية بالأزهر سابقا، وصدر عن دار الكتب العلمية، سنة ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.

وقد قام المحقق بنشرها بناءً على نسخة واحدة، وهي النسخة الوحيدة التي تحتفظ بها مكتبة معهد المخطوطات التابع لجامعة الدول العربية بالقاهرة، تحت (رقم: ٢٠١٧) تاريخ، وهي مكتوبة بخط مغربي، وذكر أن هذه النسخة كتبت بخط المؤلف، وقد كتبت سنة ١١٣٢ هجرية، أي وعمر المؤلف عشرون سنة[١٠]؛ وهذا ما يستفاد مما ورد في آخر هذه النسخة الخطية، إذ نجد فيه: "قال مؤلفه عفا الله عنه: وافق الفراغ من تعليقه أواخرَ رمضان المعظم سنة اثنين وثلاثين ومائة وألف". وقد ذكر الزركلي أن النسخة الموجودة في دار الكتب المصرية تحت رقم (٧٠٧٢ ح) هي بخط المؤلف[١١].

غير أن المحقق قصّر في ترجمة المؤلف، فلم يذكر سوى ترجمة مخلة[١٢] لعمر رضا كحالة في "معجم المؤلفين"[١٣]: ذكر فيها عنوان الكتاب، وأنه فرغ من تأليفه سنة ١١٣٢ هـ، معتمدا في ذلك على فهرس دار الكتب المصرية[١٤].

والكتاب منه عدة نسخ بالمكتبة الوطنية بالرباط تحت أرقام الحفظ الآتية: الأولى ضمن مجموع تحت رقم: ١١٤٩ د، وتقع في ٥٦ ورقة[١٥]، والثانية تحت رقم ١٦٤١ د، وهو قطعة من ٢٢ ورقة، والثالثة تحت رقم ١٦٦٣د، وتقع في ٧٨ ورقة[١٦].

ومنه نسختان بمؤسسة علال الفاسي: الأولى ضمن مجموع تحت رقم: ع ٦٩٧، وتقع في ١٧٠ صفحة، وتاريخ نسخها ١١٧١هـ[١٧]. والثانية تحت رقم: ع ٧١٧، وتقع في ١٢٣ صفحة[١٨].

ومنه نسخة في خزانة ابن يوسف بمدينة مراكش ضمن مجموع تحت رقم: ٣/٣٤٠، وهو ناقص النهاية[١٩].

ومنه نسخة في دار الكتب الوطنية بتونس العاصمة تحت رقم التسلسل: ١٣٤٩.

وأوله بعد البسملة والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم: "وبعد، فيقول الفقير إلى الله الغني: أبو مدين بن أحمد بن محمد بن عبد القادر بن علي بن يوسف، كان الله له وليّا، وبه حفيّا: هذا تقييدٌ قصدت به شرح مختصر أبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا بن محمد ابن حبيب الرازي اللغوي في السيرة النبوية، وسميته: مُستعذَب الإخبار بأطيب الأخبار؛ ومن

الله أستعين العصمة والتوفيق، والهدايةَ إلى أقوم طريق"[٢٠].

شـرح سـيـرة ابـن فـــارس[٢١]: لـلـعلامـة اللغوي محمد بن الطيب بن محمد الصُّميْلي الفاسي المالكي، الشهير بابن الطيب الشرگي (ت:١١٧٠هـ)[٢٢]، وتكتب كذلك: الشرقي، بالقاف المعقودة كما ضبطه عبد الحي الكتاني[٢٣].

ولم أقف على أي خبر عن نسخةٍ خطيةٍ لهذا الكتاب.

- شرح سيرة ابن فارس[٢٤]: لشيخ الجماعة بـفـاس فـي وقـتـه: محمد بـن الـمـدنـي گَـنّـون (ت:١٣٠٢هـ)[٢٥]. وسماه المؤرخ عبد الرحمن ابن زيدان: **"تعليق على مختصر الرازي في السيرة النبوية"[٢٦]:** وقد ذكر العلاّمة عبد الحي الكتاني أنه "لم يكمل"[٢٧].

وقد نبه الأستاذ عبد العزيز بن عبد الله رحمه الله إلى أن المستشرق الألماني بروكلمان[٢٨] وهِم، فنسب إلى المدني گنون معظم مصنفات ابنه التهامي گنّون (ت:١٣٣١هـ)، ومنها شرح سيرة ابن فارس[٢٩].

المطلـب الثاني – الشـروح والحواشـي المغربية لكتاب الاكتفاء للإمام الكلاعي:

كتاب "الاكتفاء في مغازي رسول الله صلى الله عليه وسلم والثلاثة الخلفاء":[٣٠] للإمام العلامة سليمان بن موسى الكَلاَعي الأندلسي (ت: ٦٣٤ هـ)، وقد كان حافظا بارعا معتنيا بالحديث النبوي، وقد كان كتابه هذا موضعَ عناية من المغاربة، فقد أوقفوا "الكراسي في مختلف المساجد لتتلى صفحات منه بعد صلاة الجمعة، في فاس ومكناس مثلاً، وجعلته الدولة المغربية كتاب تربية روحية للجيش المغربي. وكان مجلس الملك يفتتح بتلاوة قطعة منه"[٣١]. ولا عجب، فإن الإمام الكَلاعي نفسه كان مجاهدا، واستشهد –رحمه الله- في واقعة "أنيشة"[٣٢] بظاهر مدينته "بَلَنْسِية"، وهو على بغلته يثبت المجاهدين، ويقوي عزائمهم، ولم يزل متقدما أمام الصفوف زحفا إلى الكفار، والراية بيده، ينادي بالمنهزمين من الجند: أعن الجنّة تفرّون؟ حتى قتل - رحمه الله - صابرا محتسبا، مُقْبلاً غير مُدْبر[٣٣].

وقد تميز كتاب "الاكتفاء" بأنه يشمل السيرة النبوية والفتوحات الإسلامية في عهد الخلفاء الراشدين، وقد تجنب الإسناد في رواياته للأخبار من كتب المغازي السابقة، وبالغ في دقة المعلومات والإحاطة بدقائق الأمور؛ ومن ثم كان مصدرا من مصادر السيرة النبوية لا غنى عنه[٣٤].

وزيادة على إقراء الكتاب وتدريسه، اعتنى علماء المغرب الأقصى بشرح هذا الكتاب، ووضعوا عليه شروحا وحواشي متعددة:

أ – الشروح:

"مغاني الوفا بمعاني الاكتفا"[٣٥]: للعلامة المتفنِّن المعمَّر أبي عبد الله محمد بن عبد السلام بَنّاني الفاسي (ت:١١٦٣هـ)[٣٦]، وقد اشتهر مؤلفه به حتى كان يذكر ب"شارح الاكتفاء"[٣٧]. وهو في ستة أسفار كما ذكر القادري (ت:١١٨٧هـ) في "النشر"[٣٨]. وقد جعل مؤلفه لكل جزء خطبة مستقلة، وكتبه على طريقة مزج المتن بالشرح.

ومطلع الجزء الأول: "الحمد لله الذي اختار

محمدا ﷺ على سائر الأنبياء والمرسلين قبل أن يكونوا في الأصلاب نُطَفا...".

ومطلع الجزء الثاني: "الحمد لله الذي أرسل رسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله...".

ومطلع الجزء الثالث: "الحمد لله واصل أسباب الهدى...".

ومطلع الجزء الرابع: "الحمد لله مُولي النعم ومُؤهلها، ومُوالي المِنَن على من شاء من عباده ومُحوِّلها...".

ومطلع الجزء الخامس: "الحمد لله الذي لا أشرك به أحدا، ولا أجدُ من دونه مُلتحَدا...".

ومطلع الجزء السادس: "الحمد لله الذي له الصنعُ[٣٩] الجميل..." [٤٠].

وقد تحدث العلامة عبد الحي الكتاني عن هذا الكتاب، وذكر قصة تأليفه، فقال: "وفي تاريخ ابن الحاج أن شرح المترجَم[٤١] على الاكتفاء للكَلاعي في السيَر ليس له نظير، في عدة أسفار، بلغ الغاية في تحرير كل ما يحتاج إليه، وهو يدل على أن مؤلفه حاز من العلوم مقامَ الأئمة الأبرار. وذكر أن شيخه سيدي محمد بن عبد القادر الفاسيّ[٤٢] هو الذي أذنه[٤٣] في الشرح المذكور، وقال له: "قم بهذا الوظيف، فإنه ديْنٌ على المسلمين"، وشرح منه نحو كراسين، وذهب بهما إلى شيخه سيدي محمد، فاستحسن صنيعه، ولم يتيسر له التمام، لعدم وجود الكتُب في المغرب التي فيها المرام. ولما حج عام ١١٤١هـ جمع الكتب من المشرق، وأتى بها لهذه الحضرة، وبقي في تبييضه ستة عشر عامًا، وسمى هذا الشرح: "معاني[٤٤] الوفا بمعاني الاكتفا"[٤٥].

وقد نوه به الشيخ عبد الله گنون رحمه الله فقال: "ألّف شرح الاكتفاء في ستة أسفار، فطار كلَّ مطار، واشتهر أيّ اشتهار، وألف غيره، ولو لم يكن له إلا هو لكفاه"[٤٦].

وقد بين المؤلف في خطبة كتابه القيمة العلمية لكتاب "الاكتفاء" والداعي إلى شرحه، فقال بعد الديباجة وبيان أهمية السيرة النبوية: "هذا، ومن أجلِّ ما أُلِّف في ذلك تحقيقا، وأقرب إلى نيل الصواب طريقا: "كتاب الاكتفاء"، المجعول في مغازي المصطفى والثلاثة الخلفاء، الذي لم يُؤت في علم السيرة بمثاله، ولا نسج ناسجٌ على حسن منواله، للشيخ الإمام العلامة أبي الربيع ابن سالم الكَلاعي، برّد الله مضجعَه، ونور مهجعَه، كتابٌ سارت في الآفاق فضائلُه، وسادت بشمائله فواضلُه، ونطقت السنة النبوية بصحيح قصده، وهيأت لمحصله السعادة الأخروية مقاما لا ينبغي لأحد من بعدِه، فبَهَى وَفاق، واشتهر في الآفاق، وأصبح من أجل ما صُنِّف في علم السير، وأوْضحِ ما بينت به مغازي خير البشر. كتابٌ جلّ وعلا قدرُه وفخرُه، وكثرت فوائدُه، وغزُرت للطالبين عوائدُه، فكم ممن اقتفى آثارَه، فلم يعلقوا غبارَه، وكم من عالم نِحرير، تصدى لمضاهاته في التهذيب والتحرير، فلم يرْتَقِ من سُلَّم فضله أولَ الـدرَج، ولم يكن ذلك عُشَّه فـدَرَج، وأهل المشارق والمغارب معوِّلون على الانشغال به، ومتشبثون بذيله السابغ وسببه، مع اشتماله على تنبيهاتٍ عَزّ مطلبُها، وتتماتٍ في السيرة النبوية بَزّ مشربُها.

ومع ما لهذا الكتاب العديم النظير، المحتوِي

على ما استأثر به من مزيد التهذيب وإيضاح التقرير، من مَفاخرَ يعجز القلم عن تسطيرها، ومزايا تعيى الألسن عن تقريرها، ما اتفق له وجود شرحٍ يكون كاشفا لمبانيه، مُسْفِرا عن وجوه معانيه، موضحًا لمعضَلاته، فاتحا لمقفَلاته، والنفوس الطاهرة راغبةٌ في استعلام فوائده...وذلك أعزُّ ما يرغب فيه"[٤٧].

ثم وضع مقدمة تتضمن فائدتين: الأولى أورد فيها مبادئ علم السيرة النبوية ومسائله وغايته، والثانية عرّف فيها بأبي الربيع الكلاعي صاحب "الاكتفاء"، ثم شرع بعد ذلك في شرح الكتاب.

ومن هذا الكتاب نسخ متعددة بالخزانة الحسنية بالرباط:

منها خمس نسخ كاملة تحت الأرقام الآتية: ٢٦٥٤، و٢٦٦٣، و٣٨٦٢، و٤٣٤٥، و٤٩٥٩[٤٨].

ونسخة ناقصة برقم ٣٣٥٦، وكانت تتألف من ستة أجزاء، إلا أن الجزء الثالث ضاع[٤٩]. وهنالك قطعة من الكتاب من ١٢ ورقة غير مرتبة، ضمن مجموع تحت رقم ١٣٨٧٤[٥٠].

ومنه نسخة بخزانة القرويين تحت رقم: ٢٧٥. فيها ٦ مجلدات، على تجزئة المؤلف الأصلية، وهي تامة، إلا أن الجزء الثالث مبتور الأول. وهي كثيرة التحريف، وتاريخ الفراغ من نسخها ١٣ من صفر عام ١٢٦٥هـ[٥١].

ومنه نسخة بالمكتبة الوطنية بالرباط تحت رقم: ١٧٨٦ د. ونسخة رقم: ٢٦٥٤ ك. ونسخة لقطعة من السفر الأول مبتورة الآخر تقع في ٩٠ صفحة تحت رقم: ١٦٢ك[٥٢].

وبدار الكتب التونسية الأجزاء: الثاني والثالث والرابع والخامس والسادس، بأرقام: ٥٧٥٦، ٥٩٠٢، ٥٩٠٣، ٥٩٢٤، ٥٩٨٩.

وقد حقق هذا الكتابَ أربعةُ باحثين[٥٣] في إطار تحضير بحوثهم لنيل شهادة الدكتوراه بجامعة سيدي محمد بن عبد الله بفاس، تحت إشراف الدكتور: محمد حسيني صقلي.

ب – الحواشي:

حاشية على الاكتفا[٥٤]: لأبي عِمران موسى ابن محمد الدُّغْمي السَّلاوي (ت:١١٤٠هـ) [٥٥]. ولم ينسُب له أحدٌ من مترجميه هذا الكتاب، وإنما هو موجود على ظهر نسخة بالخزانة الحسنية تحت رقم: ٩٧٥٧[٥٦].

وهذه النسخة غير تامة، يوجد منها الجزء الأول فقط، وتقع في ٢٦٤ ورقة[٥٧]. أولها قوله: "الحمد لله الذي منّ علينا بالإسلام". منّ علينا: أنعم، قوله: وجعل آثاره: جمع الأثر، مصدر من قولك: أثرت الحديث أثره، إذا ذكرته عن غيرك..."[٥٨].

وآخرها: "وخُفافيّة: منسوب إلى بني خُفاف، حيّ من سليم، والعقيق: واد بالحجاز. ووَجْرة: موضع، والعُرف: موضع أيضا، ونأيها: بُعْدُها"[٥٩].

حاشية على سيرة الكَلاعي[٦٠]: لخطيب المدرسة العِنانية: محمد بن محمد بن محمد بن عبد الرحمن الدّلائي (ت:١١٤١هـ)[٦١]. وهو صاحب عدَّة كتبٍ في السيرة النبوية[٦٢]. وقد سمى الشيخ عبد الله گنون هذه الحاشية: "شرح الاكتفاء"، ونسبه لمحمد بن عبد الرحمن الدلائي[٦٣]. ولم أقف له على نسخة خطية.

حاشية على سيرة الـكَلاعـيّ[٦٤]: للكاتب المشارك أبي العباس أحمد بن عبد الوهّاب: الوزير الغسّانيّ الفاسيّ (ت:١١٤٦هـ)[٦٥]. وقد كان رحمه الله "فصيحا، فكان يُورِّق[٦٦] كتاب الكلاعي في السيَر بين العشاءين"[٦٧]. ولم يكمل رحمه الله هذه الحاشية، وإنما "بلغ فيها إلى خلافة أبي بكر، وتوفي قبل إكمالها" كما نص على ذلك القادري رحمه الله[٦٨]. ولم أقف لها على نسخة خطية.

إجابة الداعي إلى شرح غريب اكتفاء الكَلاعي: للمحدِّث المسنِد نزيل المدينة النبوية: عليّ بن أحمد الحُرَيْشي الفاسي (ت: ١١٤٣ أو ١١٤٥ هـ)[٦٩].

ومنه نسخة منسوبة إليه بالخزانة الحسنية تحت رقم: ٧٤٩١. يوجد منها المجلد الأول فقط، تقع في ٢١٤ ورقة، وهي مبتورة الأول، كتبت بخط ابن أخ المؤلف[٧٠]. أولـه: "(ع) فلعياض في مشارقه، وما فيه من لفظ (ش) فلأبي ذر الخشني، وسميته: إجابة الداعي إلى شرح غريب اكتفاء الكلاعي، نفع الله به كما نفع بأصله... قوله: "الحمد لله الذي من علينا بالإسلام". من علينا: أنعم..." [٧١].

وآخرها: "وبقيته: أي نظرت إليه وترقبته، وفي الحديث: بقّينا رسول الله، وبقيته بالتشديد وأبقيته كله بمعنى"[٧٢].

وهنالك مصورة لكتاب بهذا العنوان نفسه، ولكنه منسوب لعبد الله بن عمران ابن أبي سلهام الحصيني، ولـم أقـف على ترجمته، وتوجد المصورة بمكتبة المصغرات الفيلمية بقسم المخطوطات بالجامعة الاسلامية، بالمدينة المنورة، تحت رقم الحفظ: ٧٨٩٦، ٧٨٩٧.

والغريب أنني وجدت في فهرس الخزانة الحسنية أن هنالك نسخة غير تامة مبتورة الأول من حاشية على الاكتفاء، تحت رقم: ٩٥٣، وهي منسوبة لأبي الربيع سليمان بن أبي سلهام الحُصَيني[٧٣]، وتنتهي بقوله: " وفي الحديث: بقّينا رسول الله صلى الله عليه وسلم، أي انتظرناه، وبقّيته بالتشديد وأبقيته وتبقيته كله بمعنى"[٧٤]. وهو يماثل نهاية المجلد المنسوب للحُرَيشي تقريبا.

حاشية على الكَلاعي في السيرة[٧٥]: للعلاّمة الراوية أبي عبد الله محمد بن أحمد الحضيكي الجزولي (ت:١١٨٩هـ)[٧٦]. وقد "كان آيةً من آيات الله في حفظ السير النبوية والتنقيب على أحوال الصحابة والسلف الصالح"[٧٧].

وقد سماه محمد المختار السوسي في بعض كتبه: "التعليق على سيرة الكَلاعي"[٧٨].

ومنه مصورتان بمكتبة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، تحت رقم: ٧٨٩٨، ٧٨٩٩.

المطلب الثالث – الحواشي المغربية على "المواهب اللدُنية" وشرح الزرقاني لها:

"المواهب اللَّدُنية بالمنَح المحمدية": كتاب شهير، ألفه أبو العباس أحمد بن محمد بن بكر بن عبد الملك القسطلاني، شهاب الدين، المصري، المتوفى سنة ٩٢٣ هـ[٧٩]. وهو كتاب جليل القدر، كثير النفع، لا نظيرَ له في الاستيفاء، وذكر الأقوال والآراء والحجج، رتبه على عشرة مقاصد في السيرة النبوية، واعتمد فيه على "عيون

الأثـر" للحافظ ابن سيد الناس (ت:٧٣٤هـ)، وسيرة محمد بن يوسف الصالحي الشامي[٨٠] (ت:٩٤٢هـ) وغيرها. وقد شرحه كثيرٌ، ومن أجلّ شروحه شرح الإمام الحافظ محمد بن عبد الباقي بن يوسف الزُّرْقاني (ت:١١٢٢هـ) [٨١]، المسمى: "إشراق مصابيح السيرة النبوية بمزج أسرار المواهب اللدُنية بالمنح المحمدية"، وهو شرح حافل جليل تعرض فيه لنقد المرويات، وبيان صحيحها من ضعيفها، وبيان الراجح من الأقوال[٨٢]. وقد كان المغاربة المتأخرون يعتنون به، حتى إن الفقيه العلاّمة المحدث المطلع عبد الهادي بن أحمد الصقلّي دفين المدينة المنورة (ت:١٣١١هـ)[٨٣] "كان يستحضر المواهب اللدُنية مع شرحها للإمام الزرقاني، وكان يقول في حقه: أول كتاب يشترى، وآخر كتاب يباع"[٨٤].

وقد اعتنى علماء المغرب الأقصى بالتحشية عليه، ومن الحواشي التي وقفت على ذكرها:

- **حواشٍ على شرح الزرقاني على المواهب اللدنية:** لسلطان المغرب المولى سليمان بن محمد بن عبد الله العلوي (ت:١٢٣٨هـ)[٨٥]. قال عنها في "جمهرة التيجان"[٨٦]: "ذكرت فيها فوائد تحصيلية وأجوبة إشكالات بينتُها وأوضحتها لمن يدريها، وتعقبات على مؤلفه واضحة الموارد والمصادر"[٨٧]. ولم أجد نسخة خطية لها.
- **حواشٍ على شرح الزرقاني على المواهب اللدنية:** للعلامة المحقق النقّاد نادرة فاس في عصره أبي عبد الله محمد المدني بن علال ابن جَلُّون الگومي الفاسي، (ت: ١٢٩٨هـ)، قال عبد الحي الكتاني: له "كتابات على شرح الزرقاني على المواهب، لو جردت لخرجت في أجزاء"[٨٨]. ويبدو أنه قيدها على نسخته من شرح الزرقاني، ولم تكن منها نسخ أخرى.
- **حـواشٍ على المواهب اللدنية في المنح المحمدية**[٨٩]**:** لشيخ الجماعة أبي إسحاق إبراهيم بن محمد بن عبد القادر التادلي (ت:١٣١١هـ)، وهي "تحتوي فوائد قيمة كنتيجة من مطالعاته ودراساته أثناء إقرائها، استجلاها من مُـخـدَّرات السيرة الهاشمية وسـواهـا مما كتب في الموضوع كشفاء القاضي عياض، وطبقات ابن سعد"[٩٠]. ولم أقف على نسخة خطية لها.
- **حاشية على شرح الزرقاني على المواهب اللدنية**[٩١]**:** لقاضي الجماعة عبد الله بن الهاشمي ابن خضراء السلاوي (ت:١٣٢٤هـ)[٩٢]. ولم أقف على نسخة خطية لها.

المطلب الرابع – الحواشي المغربية على السيرة الحلبية:

"السيرة الحلبية" هو الاسم الذي اشتهر به كتاب: "إنسان العيون في سيرة المأمون": لأبي الفرج علي بن إبراهيم بن أحمد الحلبي القاهري الشافعي المتوفى سنة ١٠٤٤هـ[٩٣]. وهو مطبوع[٩٤]. لخص فيه ما ذكره ابن سيد الناس في "عيون الأثـر"، وشمس الدين الصالحي الشامي في السيرة الشامية[٩٥]، مع إضافات وزيادات، "وهي في مجلدات ثلاثة غاية في الجمع والإمتاع"[٩٦]، "وقد اشتهرت اشتهارا كثيرا، وتلقتها أفاضل العصر بالقبول"[٩٧].

وقد وقفت للمغاربة على حاشية واحدة عليها، وهي:

- **حاشية على السيرة الحلبية**[٩٨]: لشيخ الجماعة برِباط الفتح في زمنه: أبي إسحاق إبراهيم بن محمد بن عبد القادر التادلي (ت:١٣١١هـ)[٩٩]، وقد كتب هذه الحواشيَ حين كان يدرِّس السيرة النبوية في بعض مساجد الرباط[١٠٠].

المبحث الثاني: شروح وحواشي علماء المغرب الأقصى على منظومات في السيرة النبوية:

المطلب الأول – الشروح المغربية للقصيدة الشقراطسية:

"القصيدة الشُّقْراطسية في مدح خير البرية" قصيدةٌ لامية في ١٣٥ بيتا من البحر البسيط. نظمها أبو عبد الله محمد بن يحيى بن علي الشقراطسي[١٠١] (ت:٤٦٦هـ)[١٠٢] رحمه الله، وقد تناول فيها غزوات الرسول صلى الله عليه وسلم ومعجزاته وأعلامه.

وبدأها بقوله:

الحمد لله منّا باعثِ الرُّسُل

هدى بأحمدَ منّا أحمدَ السُّبُلِ

خير البريّة من بدو ومن حَضر

وأكرم الخلق من حافٍ ومنتعِلِ

توراة موسى أتت عنه فصدّقها

إنجيل عيسى بحقّ غير مفتعَل[١٠٣]

وقد اعتنى الأندلسيون بهذه القصيدة روايةً وشرحا[١٠٤]، وكذلك اعتنى بها المغاربة عموما، ومنهم علماء المغرب الأقصى، فشرحوها بعدة مؤلفات، أذكر منها ما يأتي:

- **شرح القصيدة الشقراطسية:** منسوب للفقيه الحافظ محمد بن عبد الرحمن الضرير المراكشي، المعروف بابن أبي زيد المراكشي (ت٨٠٧هـ)[١٠٥]. وقد انفرد العباس بن إبراهيم المراكشي بنسبة شرح للشقراطسية إليه[١٠٦]. والذي ذكره بعض العلماء هو أن له كتابا بعنوان: "الإعلام بفضل الصلاة على خير الأنام"[١٠٧].

- **شرح القصيدة الشقراطسية:** منسوب للعلامة المتفنّن محمد بن أحمد بن غازي العثماني المكناسي (ت:٩١٩هـ)، ذكر أستاذنا د. محمد يسّف[١٠٨] أن الذي نسبه إليه هو صاحب "العقد النفيس"، وأفاد أنه في عشر مجلدات!!! ولكن لم أقف على من ذكره عند من ترجم له مطلقا، ومن الغريب أن يكون له هذا الكتاب بهذا الحجم الكبير، ويغفل عنه مترجموه، والذي يغلب على الظن أنه وهم.

- **شرح القصيدة الشقراطسية في الممادح النبوية**[١٠٩]: للعلامة المحقق محمد العربي ابن أبي المحاسن يوسف الفاسي (ت:١٠٥٢هـ)[١١٠]. وقد انتهى من تأليفه في الخامس من ربيع الثاني عام ١٠٢٥هـ.

وأولُه بعد البسملة والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم: "نحمد الله الذي استهلت السنة الأكوانَ مسبحةً بحمده، وتظاهرت للعيان آياتُ عميم جوده وعظيم مجده، وأظهر تلك الكمالات برحمته المرسلة على الإطلاق، سيدنا محمد نبيه وعبده...". وآخره: "ووافق الفراغ منه مغرب يوم الخميس خامس ربيع الثاني عام خمسة وعشرين وألف، موافقا لثامن عشر أبريل، ببوزيري، أحد قرى مصمودة، عمل زاجن، مهدها الله بمنه، قال ذلك وكتب مؤلف العبد الفقير إلى الله تعالى: محمد العربي بن يوسف بن محمد الفاسي، لطف الله به، وخار له بمنّه،

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما".

وقد أشار في مقدمته إلى أن غايته من تأليفه هي تفسير الغامض والغريب من ألفاظ القصيدة، وشرح المستغلق من عباراتها، ولكنه كان يقتصر على الشرح اللغوي، ويتعرض للمعنى الإجمالي باقتضاب، وقد يتجاوز ذلك أحياناً إلى الإعراب إن كان يتوقف عليه بيان المعنى. أما إذا تعرض الناظم لحدث تاريخي أو ذكَر مشهدًا أو مثلا فإنه لا يتوقف عنده طويلا. وقد اعتمد فيه على شرح ابن الشبّاط التَّوْزَري (ت:٦٨١هـ) على تخميسه للقصيدة الشقراطسية، المسمى "صلة السِّمط وسمة المرط في شرح سمط الهدي في الفخر المحمّدي"[١١١]، وشرح أبي شامة (ت:٦٦٥هـ) المسمى "المقاصد السَّنية في شرح القصيدة الشقراطسية"، وشرح ابن مرزوق الحفيد (ت:٨٤٢هـ) الموسوم ب"المفاتيح القرطاسية"[١١٢].

ومن هذا الشرح نسخة ضمن مجموع بمؤسسة علال الفاسي تحت رقم: ع ٦٨٤. وقد نقلت عن نسخة بخط حفيد المؤلف عمر بن يوسف الفاسي الذي استخرجها من مبيّضتها، وهي تقع في ١٣٠ صفحة[١١٣].

ومنه نسخة بالمكتبة الوطنية بمدريد تحت رقم (١٥٨ و). وقع الفراغ من نسخها في السادس من رمضان عام ١١٠٢هـ.

ومنه نسخة خطية بخزانة القصر الملكي بمراكش ضمن مجموعة الشيخ محمد عبد الحي الكتاني[١١٤].

وقد سجله عبد الله بنور للتحقيق لنيل دبلوم الدراسات العليا باللغة العربية بكلية الآداب بتطوان تحت إشراف د. عبد الله المرابط الترغي رحمه الله وذلك سنة ١٩٩٧م.

وحققه الطالب الباحث محمد ياسين بولْبلاح ضمن رسالة جامعية في جزءين، بكلية الآداب والعلوم الإنسانية ظهر المهراز بفاس، سنة ٢٠١٨م، تحت إشراف د. خالد سقاط، معتمدا على نسخة علال الفاسي وحدها، خلافا لما يقتضيه التحقيق العلمي، لا سيما مع وجود نسخ أخرى.

"الورد الندي في ترتيب ما تضمنه شرح التسميط[١١٥] المحمدي"[١١٦]: لقاضي مكناس أبي القاسم بن سعيد العُمَيْري الجابري التادلي (ت:١١٧٨هـ)[١١٧]. اختصر فيه شرح محمد ابن الشباط على تخميسه للقصيدة الشقراطسية، المسمى "صلة السِّمط وسمة المرط"[١١٨].

وقد نقل ابن زيدان طرفا من مقدمة الكتاب التي ذكر فيها سبب تأليفه له فقال: "وكنت وقفتُ عليه حين قفلت من الحجاز، وكان لي على طرابلس الغرب المجاز، ولم أكن رأيته قبل ذلك، ولا طرق سمعي خبرُه في تلك المسالك، فاغتبطت به وضممته ضم البخيل، وقلت: ليت شعري هل إلى تحصيله من سبيل؟ وإذا هو بِيَد من لم يسمح ولو بعارِيته لاستنساخه بعد الوصول إلى الأوطان، إذ لم يمكنّي نسخه على الكمال مدة الإقامة ببلده والاستيطان، وحين أَعْيَا داؤه، ونضب عني ماؤه، شمرت عن ساعد الجد، لمدى العزم الشباة والحد، وأخذت في اختصار من شرح أبيات القصيدة، وقلت ما فات الرامي شيء إذا رمى فأصاب مصيده، إذ السيرة من

جل المقصود، وأجل هاتيك القصود، وجعلت منه مقدمة وخاتمة هما بعون الله لَبِنة التمام، وواسطة ذلك النظام.

أما المقدمة فتُعرف بها كمالات سيدنا ومولانا محمَّد - صلى الله عليه وسلم - في كل الفضائل وتقديمه، وأن الله تعالى حين سوّاه، وأيده بالنور المبين وقوّاه، خصه بمزايا لم يخص بها سِوَاه.

وأما الخاتمة فقد تضمنت أحاديث الشفاعة والحوض، وما خصه الله به - صلى الله عليه وسلم - من ذلك يوم العرض، وقدمه به على أهل السماء والأرض لعل الله تعالى أن يجعلني ممن يحظى بشفاعته يوم القيامة، ولا يذم ببطالته لياليه وأيامه، وأتيت في هذا الموضوع بكلام الأصل على حاله إلَّا ما غيرت فيه من ترتيب المنتشر، ونظم ذلك السلك المنتثر، وسميته بـ (الورد الندي في ترتيب ما تضمنه شرح التسميط المحمدي).

ثم جعلت له تراجم هي لأصنافه عنوان، وعلى تحسين أوصافه أعوان، فقد كان مؤخرا فيه ما حقه التقديم، مقدمًا ما تأخيره ربما لبس على الناظر الحادث بالقديم، لأنه كان مقيدًا بتتبع أبيات النظم بذلك القصص، مقتطفا من أَجل ذلك ما تأتى له من الحصص، ولست في عهدة من تصحيف فيه، فإنِّي لست بمعطيه حقه من المقابلة ولا موفيه، لضيق نطاق السفر عن مثل هذا، فلا تقل كان ماذا، ولا لماذا، وبما توخيناه من الترتيب ونخلنا من مهيل ذلك الكثيب، تنتظم إن شاء الله فرائد الفوائد، وتتقيد أوابد الشوارد. هـ"[١١٩].

قال ابن زيدان معلقا على كلامه: "ومع اعتذاره بالسفر فقد رتب أبوابه، وفصل فصوله واختصره، فجاء في مجلد ضخم من القالب الكبير، وقد جمع إلى السيرة شرح ألفاظها وضبط غريب اللغة وأسماء الأماكن وتعريفها، وأخبار الفتوحات الإسلامية، وفتح المغرب والأندلس، وكان فراغه منه أواخر شعبان من عام أربعة وأربعين ومائة وألف"[١٢٠].

وقد وقف عبد الحي الكتاني على نسخة الكتاب الأصلية وقال: "وهو في مجلد ضخم، وقفتُ على نسخة منه بخط مؤلفه"[١٢١]. وذكر ابن زيدان أن هذه النسخة الأصل في خزانته فقال: "بالمكتبة الزيدانية نسخة منه، عليها خط المؤلف، لا أظن أنها تعزز بثانية"[١٢٢]. ومعلوم أن خزانته ألحقت بالخزانة الملكية بالرباط.

ومن هذا الكتاب نسختان بدار الكتب المصرية: الأولى تحت رقم: ٢١٩٧ب، والثانية تحت رقم: ٢٢٩٤٦.

- **شرح القصيدة الشقراطسية**[١٢٣]: للعلامة الخطيب أبي مَدْيَن محمد بن أحمد الفاسي الفهري (ت:١١٨١هـ)[١٢٤]. وقد تقدم لنا ذكره عند الحديث عن شروح سيرة ابن فارس.
- **شرح القصيدة الشقراطسية**[١٢٥]: لعلامة سوس محمد بن أحمد الحضيكي (ت:١١٨٩هـ)[١٢٦]. نسبه إليه المختار السوسي في كتاب "سوس العالمة"، وأضاف أنه "كان يدرس به"[١٢٧].

وقد أفاد محقق الطبقات الأستاذ أحمد بومزگو أنه يقع في ٣٦ صفحة، وأن منه نسخة خطية بالخزانة الصالحية بإيداوگارسْموكْت[١٢٨].

وختاما: هنالك شرح لم يذكر مؤلفه، يوجد في خزانة المسجد الأعظم بوزان، تحت رقم: ١٢٠٩

/ ١، عدد أوراقه ٤٠ ورقة، وقد ذكر مفهرسو هذه الخزانة أن مطلعه هو: "الحمد لله الذي هدانا سواء الطريق، وجعل لنا التوفيق خير رفيق، والصلاة والسلام على من أرسله هدى وهو بالاقتداء حقيق..."[١٢٩]، والحقيقة أن هذا المطلع هو جزء من مطلع كتاب "تهذيب الكلام في المنطق والكلام" لسعد الدين التفتازاني (ت:٧٩٣هـ). فلا أدري: هل وقع خطأ فكتبه المفهرِسون على أنه مطْلَع شرح القصيدة الشقراطسية؟ أم أن النسخة التي اطلعوا عليها تحمل عنوان شرح الشقراطسية، ولكنها في داخلها تتضمن كتابا في المنطق؟!!

المطلب الثاني – شروح وحواش مغربية على ألفية الحافظ العراقي في السيرة النبوية:

ألفية العراقي في السيرة هي أرجوزة في السيرة النبوية، نظمها الحافظ زين الدين عبد الرحيم بن الحسين العراقي (ت:٨٠٦هـ)، وسماها: "الدرر السنية في السيرة الزكية". ومطلعها:

يقول راجي من إليه المهربُ
عبدُ الرحيم بن الحسين المذنبُ
أحمدُ ربي بأتم الحمدِ
وللصلاة والسلام أُهْدي
إلى نبيه وأرجو اللهَ
في نُجح ما سألته شِفاها
من نظم سيرة النبيِّ الأمجدِ
ألفيةً حاويةً للمقصدِ
ولْيعلمِ الطالبُ أن السيَرا
تجمع ما صحّ وما قد أُنْكِرا
والقصد ذكرُ ما أتى أهل السيرْ
به وإنْ إسنادُه لم يُعتبَرْ
فإن يكن قد صحّ غيرُ ما ذُكِرْ
ذكرتُ ما قد صح منه واسْتُطِرْ[١٣٠]

وقد اعتنى المغاربة بها عناية فائقة، ووضعوا عليها شروحا وحواشي متعددة، أذكر منها ما وقفت على ذكره في كتب التراجم وفهارس الخزائن:

١ – الشروح:

- **شرح الدرر السَّنِية في نظم السيرة النبوية**[١٣١]: للعلامة المحقق محمد الطيِّب بن عبد المجيد بن كِيران الفاسي (ت:١٢٢٧هـ)[١٣٢]. ولعل هذا هو ما عناه الناصري حين ذكر من تآليفه "شرح السيرة النبوية"[١٣٣]. وقد ذكر محمد بن جعفر الكتاني أنه "في مجلد ضخم"[١٣٤].

ومطلعه: "الحمد لله الذي حلّى أفضل البشر، بأحسن الحُلى والسير، وجمع له الفواضل والفضائل فبرّ وأبرّ، وكمّله خلْقًا وخُلُقًا لمن نظر وخبر، وأثنى على خُلُقه العظيم فعرف جلالته إذْ نكّر، وحبّب إلى المؤمنين سماعَ محاسنه فأطربهم بها وأسكر، وأرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله فظهرْ، وخصَّه بعموم الرسالة إلى الأسود والأحمر، فبشَّر وأنذر، ورغَّب وحذَّر، فسعِد من صدّق وآمن وخسِر من كذّب وكفر..." الخ[١٣٥]. وآخره: "قال مؤلفه وجامعه المفتقر إلى رحمة ربه المنان: الطيِّب بن عبد المجيد ابن كيران: هذا آخر ما يسر الله عليّ من هذا الشرح المبارك، نفع الله به وتقبله".

ومن هذا الكتاب عدة نسخ خطية، منها ثلاث نسخ بالخزانة الحسنية:

- الأولى: تحت رقم: ١٦٥٠، وهي نسخة تامة

مصححة، عارية من تاريخ النسخ، تقع في جزأين: الأول في ٢٠٨ ورقة، والثاني في ٢٤٦ ورقة[١٣٦].

- والثانية: تحت رقم: ١٦٦٢، وهي كذلك تامة مصححة مقابَلة، كان الفراغ من نسخها عام ١٢١١هـ. أي في حياة المؤلف. تقع في جزأين: الأول في ٢٢٧ ورقة، والثاني في ٢٥٤ ورقة[١٣٧].
- والثالثة: تحت رقم: ٩٧٥٩. وهي كذلك نسخة تامة، كان الفراغ من كتابتها عام ١٢٢٤هـ. وتقع في جزأين: الأول في ٢٢٤ ورقة، والثاني في ٢٢٥ ورقة[١٣٨].

ومنها ثلاث نسخ في المكتبة الوطنية بالرباط: الأولى تحت رقم: ٥٥٩ ج، وهي في مجلدين[١٣٩].

والثانية تحت رقم: ٢٠٦٤د، تقع في ٥١٣ صفحة[١٤٠]، والثالثة: تحت رقم: ٣١٨٤د.

- نسخة بالخزانة الصبيحية بسلا تحت رقم: ٥٥ /١ - ٢[١٤١].
- نسخة في خزانة القرويين تحت رقم التسلسل: ١٤٨٦. تحبيس عمة السلطان المنصور بالله زوجة قاضي مراكش مولاي مصطفى العلوي[١٤٢] سنة ١٣٥٣ هـ. وتتضمن هذه النسخة الجزءَ الثاني، ويقع في ١٩١ ورقة، ويبتدئ بالحديث عن الإسراء، وأوّله: "في القاموس: السُّرَى..."، وينتهي بالفصل المعقود للطيب الذي يتطيب به ﷺ. والجزء الثالث، ويقع في ٢٢٤ ورقة، ويبتدئ بالحديث عن معجزاته ﷺ، وأوّله: "معجزات النبي ﷺ..."، وينتهي بالكلام على غزوة تبوك.

والجزء الرابع، ويقع في ٢٢٨ ورقة، ويبتدئ بالحديث عن سراياه وبعوثه ﷺ، وأوّله: "قال في الفتح: السَّرِية التي تخرج بالليل والسرية التي تخرج بالنهار..."، ويمتد إلى نهاية الكتاب. وينقصها الجزء الأول[١٤٣].

- نسخة بدار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة، تحت رقم: (٢٤٢٦٩/ ب)، وتتضمن هذه النسخة النصف الأول من الكتاب، في ٢٤١ ورقة. وينتهي عند الكلام على طيب النبي ﷺ وكُحْله[١٤٤].
- نسخة بمكتبة جامعة الملك عبد العزيز ضمن مجموع برقم: ٣/٨٢٦، عدد أوراقه: ١١٤ ورقة، من الورقة ٥٥ إلى الورقة ١٦٨، ويرجع تاريخ نسخها إلى القرن الرابع عشر الهجري.
- نسخة بالمكتبة المركزية بجدة بالمملكة العربية السعودية، تحت رقم: ٤٣٨[١٤٥].
- وقد حقق الباحث محمد بن جبور قسمَ المغازي منه في رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا بكلية الآداب بالرباط سنة ١٩٩٥م تحت إشراف الدكتورين: محمد بِسّف، ومحمد الأمين الإسماعيلي.
- **شرح اختصار ألفية العراقي في السيرة[١٤٦]:** للفقيه الأديب محمد بن حمدون ابن الحاج السلمي (ت: ١٢٧٤هـ)[١٤٧]. انفرد ابن زيدان بنسبته إليه، فذكر أن له اختصارا لألفية العراقي في السيرة، وشرحاً على هذا الاختصار[١٤٨]. وذكر في ترجمة ابنه محمد المهدي (ت:١٢٩٠هـ)[١٤٩] أن له كذلك شرحا على اختصار والده لألفية العراقي[١٥٠]. ولم

أجد ذكره عند غيره، ولا أدري أهو وهم، أم أنه شرح اختصار والده بشرح آخر، أم أنه وضع حاشيةً على شرح والده؟

- **شرح الألفية العراقية في السيرة**[١٥١]: للمدرس العلامة محمد بن علي الإحميدوشي الأكْلُوبي السوسي (ت:١٢٩٦هـ)[١٥٢]، نسبة إلى أَكْلُو قرب مدينة تزنيت.

وكان رحمه الله مكثرا للصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، معتنيا بسيرته عليه الصلاة والسلام، ولعل قصة تأليفه لهذا الكتاب أنه كان يدرّس في عين المزاور بمنطقة هَوّارة[١٥٣]، وكان "يومًا مع علماء هوَّاريّين، فتداولوا يومًا بينهم أخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم، **فصار المترجَم يملي عليهم من ألفية العراقي السيرية، وكان يحفظها**، فقال قائل منهم: لا والله لا نتفرق حتى نكتبها عنك ونأخذها؛ فبقُوا في دار كانوا فيها عند بعض الكرماء أيّامًا، فكان يشرحها لهم، وقد بعث إلى محله، فأتى ببعض السير، وأحسب أن من حكى لي ذكر أنها سيرة ابن سيد الناس، أو سيرة ابن هشام، فاقترحوا عليه أن يشرح لهم الأرجوزة، ففتح الشرح هناك، ولعله أتمه بعد ذلك"[١٥٤].

وقد رمز المختار السوسي إلى أن الكتاب موجود[١٥٥]، ولعله موجود في بعض خزائن سوس التي لم تفهرس.

- **شرح مقدمة ألفية العراقي في السيرة:** لمؤلف مجهول، منه نسخة بالخزانة الحسنية تحت رقم ١٢٤٦٩[١٥٦]. وأظن أنه قطعة من أحد الشروح المتقدمة، والله أعلم.

ب – الحواشي:

- **حاشية على ألفية العراقي في السيرة**[١٥٧]: للعلامة إبراهيم بن محمد التادلي[١٥٨] (ت:١٣١١هـ). وسماه د. عباس الجراري: "تقييد على ألفية العراقي"[١٥٩]، إلا أنه لم يذكر عنه شيئا.

المطلب الثالث – شروح مغربية لمنظومة "الدرة الخطيرة في مهم السيرة" للقادري:

"الدرة الخطيرة في مُهمّ السيرة"، هي أرجوزة وجيزة للأديب النسّابة أبي محمد عبد السلام ابن الطيب القادري١٦٠ (ت:١١١٠هـ): وتقع في ٣١ بيتا، ومطلعها:

الحمد لله وصلى اللهُ
على النبي وآله قرباهُ
إن نبيَّنا رسولُ الله
هو محمدُ بن عبد الله

وآخرها:

والحمد لله وصلى اللهُ
على حبيبه ومصطفاهُ

وقد أثبتها بنصها كاملة الباحثُ الدكتور مصطفى عكلي في كتابه "المنظومات المغربية في السيرة النبوية". وهي غير نظمه لمختصر ابن فارس[١٦١]، الذي استهله بقوله:

الحمد لله الذي قد طهَّرا
سيرة زيْن المرسلين في الورى
ثم الصلاة أبدا مع السلامْ
عليه والآل وصحبه الكرامْ
هذا بعون الله نظمٌ مختصرْ
لما يحِقُّ حفظه من السِّيَرْ

للمبتدي لا العالم الممارسِ

ضمنتُه مختصرَ ابن فارسِ

واللهَ أسألُ بلوغَ أملي

بجاه خير الأنبياء الأفضلِ

وآخره:

أبياتها بها لآلئ جليّهْ

حوَت مهمَّ السيرة العليّهْ

سيرة خاتم النبيئين الكرامْ

عليه أفضلُ صلاةٍ وسَلامْ[١٦٢]

وقد وجدت لمنظومة "الدرة الخطيرة" شرحين، أحدهما لأحد علماء فاس، والثاني لأحد علماء سوس، وهما:

- **شرح على نظم القادري في السيرة:** للعالم النحوي أبي عبد الله مولاي محمد بن إدريس ابن أحمد المدعو حمدون العراقي الحسيني (ت:١١٤٢هـ) [١٦٣]. نسبه إليه القادري في "نشر المثاني" عند ذكر مؤلفات جده[١٦٤]. وقال في ترجمته: "ألف تآليف عديدة...وقفتُ منها على شرح على أرجوزة شيخه عبد السلام القادري، أخرجتُه من مُبَيَّضته، وهو على ملكي الآن، في علم السير"[١٦٥]. وذكره عبد الحي الكتاني في ترجمة نجله أبي العلاء إدريس بن محمد العراقي (ت:١١٨٣هـ)، وقال: "عندي بعضُه بخطه"[١٦٦].

أما الشرح فمنه قطعة بالخزانة الكتانية المحفوظة بالمكتبة الوطنية بالرباط تحت رقم: ٤٣ك، وعنوانه: "جمع ما انتشر من أخبار خير البشر"[١٦٧]، يقف عند شرح البيت الأول من المنظومة، ويقع في محفظة من ص٢ إلى ص ١٨. وأوله: "الحمد لله رب العالمين بجميع محامده..."[١٦٨].

وآخرها: "كذا قيل، ودليل جوازها على الأنبياء روايةُ البيهقي وغيره عن أبي هريرة"[١٦٩].

ومنه مصورة بمعهد المخطوطات العربية، تحت رقم: التاريخ – ١٥٥٩.

- **القِرى المصفّى للراغب في نسب المصطفى صلى الله عليه وسلم:** للعلامة إبراهيم ابن صالح التزْروالْتي السوسي رحمه الله (ت:١٣٥٢هـ)[١٧٠]، وهو كذلك شرح على "منظومة الدرة الخطيرة في مهم السيرة" للقادري رحمه الله. ويقع في ٦٣ صفحة، وقد صدر بإعداد وتقديم: بريك بن أحمد أشكوت التجرمونتي المجاطي السوسي، ونشر سنة ٢٠١٨م.

المطلب الرابع – الشروح المغربية لمنظومات أخرى في السيرة النبوية:

ومن غير ما تقدم هنالك منظومتان أُخْريان في السيرة شرحهما بعض علماء المغرب:

- **"بيان الاستشفا بشرح ذات الشفا":** للعلامة اللغوي شمس الدين ابن الطيب الشرگي الفاسي (ت:١١٧٠هـ).

وهو شرح لمنظومة العلامة المقرئ محمد ابن محمد ابن الجزري (ت:٨٣٣هـ) في السيرة النبوية[١٧١]، المسماة: "ذَات الشفا فِي سيرة النبي والخلفا"[١٧٢]. وعدد أبياتها ٥١٧ بيتا[١٧٣]، ومطلعها:

قال محمدُ هو ابن الجَزَري

الحمدُ للمهيمن المقتدرِ

والشكر لله على ما قد هدى

من نظم سيرة النبيّ أحمدا

صلى عليه ربُّنا وسلَّما
وآله وصحبه وكرَّما
وبعدُ إنَّ خيرَ شيء انتظمْ
سيرةُ خير مرسلٍ إلى الأممْ
وخلفائه الذين بعدَه
الراشدين التابعين قصدَهُ
نظمتُها في غاية اختصارِ
مرتجِلا لعَلّ في نهارِ[174]

ومن الشرح نسخة فريدة بخط المؤلف بدار الكتب المصرية بالقاهرة تحت رقم: ٢٣/ ٥، ونسخة تحت رقم: ١٧ تاريخ ش، وعنوانها: "بيان الاستشفا بما في ذات الشفا في سيرة النبي ثم الخُلَفا"، كما جاء في آخر أوراقها. وعدد لوحاتها: ٩٥ لوحة، بعضها غير واضح.

ومطلع الكتاب: "الحمد لله الذي أودع حكمته قلوب العلماء المتقين، وسقاهم من سلسبيل عين اليقين، وألبسه هدايته، ومنحهم ولايته، وأنار بصائرهم بشوارق الأنوار، وملأها بعوارف المعارف وكنوز الأسرار..."الخ. وختامه: "وكان الفراغ من تعليقه بعد صلاة العشاء من ليلة السبت الخامس والعشرين من [ذي] القعدة الحرام تجاه الكعبة البيت الحرام بمنزلي بالمدرسة الزَّمّامية عام ثمانية وأربعين ومائة وألف على يد مؤلفه عبد الله تعالى محمد بن الطيب بن محمد الفاسي ثم المدني المكي المالكي الأشعري الناصري الشاذلي كان الله له ولأشياخه ووالديه وأحبائه، وجعل الكل من أهل محبته وولائه:

آمينَ آمينَ لا أرضى بواحدةٍ...
حتى أضيف إليها ألف آمينا

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا، والحمد لله رب العالمين"[175].

وقد دمج في كتابه بين النظم والشرح، سالكا فيه مسلك التوسط، إلا في مواضع تقتضي الإطناب، ولتمكنه من اللغة اعتنى فيه بضبط الكلمات، وذكر مختلِف وجوهها، وبيان معانيها، وما يشكل من إعرابها، وأورد فيه نقولا كثيرة عن أمهات كتب السيرة، وقد يتعقبها أحيانا، ويرجح عند اختلاف الأقوال[176].

- **شرح عقود الفاتحة[177] في السيرة والمدائح النبوية:** للعلامة الأديب أبي الفيض حمْدون ابن عبد الرحمن بن حمدون السُّلمي المرداسي، المعروف بابن الحاجّ (ت:١٢٣٢هـ)[178]: وهو شرح لقصيدة ميمية طويلة، تسمى "عقود الفاتحة"، نظمها ابن الحاج زمن إقامته بالمدينة المنورة، في حوالي أربعة آلاف بيت، على نهْج البردة للإمام البوصيري، وتوجد منها نسخة بالخزانة الحسنية تحت رقم: ١٣٩١٧. وأولها:

هبّت قماري بين البان والعلَمِ
تملي شمائل أقْمارٍ بذي سَلَمِ
ونُكْهة الصبح زاد طيبها أرَجًا
تنفس منه في الأرجاء من إضَمِ

ثم إن الناظم شرحها في خمسة أسفار[179]، ولكنه لم يكمله، فأكمله ابنُه محمد بن حمدون (ت:١٢٧٤هـ)[180] بإذنٍ منه شرحَ بعض الأبيات من الخُمُسين الأخيريْن من النظم[181]، وقد طُبع الشرح طبعةً حجرية بفاس في جزأين سنة ١٩٣٦م. يقع الجزء الأول في: ٥٥٩ صفحة، والثاني في: ١٣٦ صفحة[182].

ومنه نسخة مخطوطة بالمكتبة الوطنية تحت رقم: ٢٦٨٤د، وهو في مجلد كبير عدد صفحاته: ٤٨٠ صفحة. جاء في ورقة منفردة بأوله ما نصه: "نهج البردة لسيدي حمدون بن الحاج، وشرحها له أيضا، مكتوبة بخط محمد بن الحسن أقصبي[١٨٣] تلميذ المؤلف من مُبَيَّضته في حال حياته، وقابله بها أيضا بعد مماته".

ومنه كذلك نسخة مخطوطة بالخزانة الصبيحية، في خمسة أجزاء، تحمل رقم: ٩٦ / ١ – ٥. ومجموع عدد أوراقها ١٠٠٤ ورقة، وناسخها حفيد المؤلف محمد الهادي بن الحاج، وكان الفراغ منه في ٢٨ شعبان عام ١٣٢٤هـ[١٨٤].

وأول الكتاب: "الحمد لله الذي شرح صدورنا لحب حبيبه محمد...وبعد؛ فهذا شرح لقصيدتنا..."الخ.

وآخره: "وفاز مادحكم بحسن مُختتَم. ختم الله لنا بالحسنى، وجعلنا من أهل المقرّ الأسْنى...".

شرح رجَز السيرة لليعمري: أما الرجَز فهو نظمٌ لكتاب "عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير" لأبي الفتح اليعمري، المعروف بابن سيد الناس، وقد نظمه الشيخ المقرئ نزيل مراكش: محمد بن يوسف التملّي[١٨٥] السوسي المتوفى ١٠٤٨ هـ[١٨٦].

وقد ذكره المراكشي في "الإعلام"[١٨٧]، والمختار السوسي في "سوس العالمة" ولكنه سماه: منظومة في السيرة[١٨٨].

ومطلع هذه المنظومة:

القصدُ بعد حمْدِ من هدى إلى
سيرةِ رُشْدٍ وسبيلٍ أمثلا
بفضله من شا فحاز المجْدا
وصار من سيْف الإله مُجدا
ثم صلاته على الرحيمِ
نبيه ذي الخلق العظيمِ
ومصطفاه الطيب الخليقهْ
المنتقى من أنفَس الخليقَهْ

إلى أن قال في البيت التاسع من الرجز:

نظم اختصار سيرة الرسولِ
لليعمري الحافظ النبيلِ
معْ ما أتى به من الشمائلِ
ونُبَذ الآيات والدلائلِ[١٨٩]

وآخره:

وبالصلاة والسلام الأكملَيْنْ
أخص من ساد جميع الثقلَيْنْ
وبالرضى عن صحبه والآلِ
أختم ما نظمتُ من علالِ[١٩٠]

ومنها نسخة تامة بالخزانة الحمزية بإقليم الرشيدية ضمن مجموع برقم (٢٨٥/ ٢)[١٩١]، وهي تقع في ٢٦ ورقة، وأولها: "يقول الشيخ المحقق الأديب البارع أبو عبد الله محمد بن يوسف بن أحمد بن زكريا التاملي السوسي رحمه الله تعالى ورضي الله عنه، آمين:...".

ومنها نسخة خطية بمكتبة البلدية بالإسكندرية، تحت رقم الحفظ:١٧ تاريخ. ٣٤٧٤.

ومنها مصورة عنها بمعهد المخطوطات العربية بالقاهرة، رقم الحفظ: ٨٥٥ عن ٣٤٧٤ - ف ٣١١[١٩٢]. وهي تقع في ٤٠ ورقة (٨٠ صفحة)، قياسها ٢٠/١٥ سنتم، بمتوسط ١١ بيتا

في الصفحة، مع عناوين الفصول غير مؤرخ، ودون على بطاقته من خط القرن الثامن تقريبا، والخط مغربي قديم.

أما الشرح الذي ذكرته هنا فهو مجهول المؤلف، ويغلب على ظني أن مؤلفه عالمٌ مغربي مغمور. وقد وقفت في بعض الفهارس[١٩٣] أنه توجد منه نسخة خطية في خزانة القرويين، بخط مغربي، تحت رقم ١٢٥ (١٧٤٣). ولكنني بحثت عنه في فهارس الخزانة المذكورة فلم أقف عليه.

خاتمة:

من خلال ما تقدم يتبين لنا مدى عناية علماء المغرب الأقصى بشرح كتب السيرة النبوية ومنظوماتها، لا سيما من القرن الحادي عشر الهجري إلى القرن الرابع عشر:

أما في الكتب فقد كانت عنايتهم خاصة بشرح مختصر ابن فارس لوجازته، كما اعتنوا بالتحشية على كتابي "الاكتفاء" للكَلاعي، وشرح الزرقاني على "المواهب اللدنية" لضخامتهما واستيعابهما لمادة السيرة.

أما في المنظومات فقد كان أكثر عنايتهم بشرح القصيدة الشقراطسية لحسن نظمها وجمال أسلوبها، ثم بشرح ألفية العراقي في السيرة النبوية، لشهرتها وانتشارها واستيعابها لأحداث السيرة وجلالة ناظمها وعناية طلبة العلم بحفظها.

وقد كانت غلبة الاهتمام بما سبق نتيجة لكون تلك الكتب أو المنظومات هي التي يغلب إقراؤها وتدريسها، فكان العلماء يكتبون شروحا أو حواشي لما يدرسونه لطلابهم أو يعلمونه لعامة الناس.

ومن البيِّن أن الاهتمام بالشرح والتحشية ظهر عند المتأخرين، خصوصا في عهد الدولة العلوية الشريفة.

وتبين لنا من خلال البحث كذلك أن هنالك كتبا قيمة ما زالت في عالم المخطوطات، ولذلك أوصي الباحثين بالرجوع إليها ودراستها، والتعرف على قيمتها، وإظهار إضافاتها، وتحقيقِ ما تحققت فائدتُه ونشرِه ليستفيد منه الباحثون وعموم القراء.

وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وآله، والحمد لله رب العالمين.

الهوامش

(١) ينظر: طبقات النحويين واللغويين للزبيدي (ص٢٢٩)، ومعجم الأدباء (٦/ ٢٨٥٩)، وإنباه الرواة على أنباه النحاة للقفطي (٢/ ٢٠٩)، والوافي بالوفيات (١٩/ ١٣٠)، والبلغة في تراجم أئمة النحو واللغة (ص١٨٩).

(٢) إنباه الرواة (٢/ ١٦٢).

(٣) صدر عن دار الرشاد بمصر بتحقيق محمد محمود حمدان سنة ١٩٩٣م. وصدر قبل ذلك في مجلة "المورد" الصادرة عن وزارة الثقافة والإعلام العراقية، بغداد، عدد ٤، مجلد ٢، ١٩٧٣، (ص ١٤٦- ١٥٨). وينظر تاريخ الأدب العربي لبروكلمان (٢/ ٢٦٦ – ٢٦٧).

(٤) تنظر ترجمته في: معجم الأدباء لياقوت الحموي (١/ ٤١٠ - ٤١٨)، ووفيات الأعيان لابن خلّكان (١/ ١١٨ - ١١٩).

(٥) أوجز السير لخير البشر: مجلة المورد العراقية، (ص ١٤٦).

(٦) الرحلة، تحقيق: محمد الفاسي، الرباط، د.ت (ص ٢٤٥).

(٧) الوافي بالوفيات (١/ ٨٠).

(٨) نسبه إليه محمد بن جعفر الكتاني في سلوة الأنفاس

(١/ ٣٦٣)، وابن سودة في إتحاف المطالع (١ / ٢٧)، وابن زيدان في معجم طبقات المؤلفين على عهد دولة العلويين (ص٢٩)، وصاحب "شجرة النور الزكية في طبقات المالكية" (١/ ٥١٠).

(٩) تنظر ترجمته في: نشر المثاني للقادري (٤/ ٨١ –٨٢)، وطبقات الحضيكي (١/ ١٨٣)، وسلوة الأنفاس (١/ ٣٦٣ – ٣٦٤ رقم ٣٢٦)، وشجرة النور (١/ ٥١٠، رقم ١٤٢٩)، وإتحاف المطالع (١/ ٢٧)، والأعلام للزركلي (٦/ ١٤).

(١٠) لأن أبا مدين الفاسي ولد عام ١١١٢ه. ينظر الأعلام للزركلي (٦/ ١٤).

(١١) الأعلام للزركلي: (٦ /١٤).

(١٢) مقدمة التحقيق: (ص ٤).

(١٣) (١٢/ ٢١٢). وقد ترجم له في موضع آخر (٨/ ٢٨٨) باسم محمد الفاسي، واعتمد على "سلوة الأنفاس" للكتاني.

(١٤) (٣/ ٤٥) و (٨/ ١٦٧).

(١٥) ينظر فهرس المخطوطات العربية المحفوظة في الخزانة العامة بالرباط، القسم الثاني، (١/ ١١٠).

(١٦) ينظر المرجع السابق: (ص ١١١).

(١٧) ينظر الفهرس الموجز لمخطوطات مؤسسة علال الفاسي: (١/ ٤٣).

(١٨) ينظر المرجع السابق: (١/ ٤٣ - ٤٤).

(١٩) ينظر فهرس مخطوطات خزانة ابن يوسف بمراكش: (ص ١٥٧).

(٢٠) النسخة المطبوعة: (ص ٢١ – ٢٢).

(٢١) نسبه إليه الكتاني في فهرس الفهارس (٢/ ١٠٧٠)، وعبد الله كنون في النبوغ المغربي في الأدب العربي (١/ ٣٠٦).

(٢٢) علامة لغوي شهير، أخذ عن جلّة من العلماء كالمسناوي والوجّاري وغيرهم، وبرع وصار إمام أهل اللغة في عصره، من كتبه "حاشيته العديمة النظير على القاموس" المسماة "إضاءة الراموس" في أربع مجلّدات، ومنها كان استمداد الشيخ الزبيدي صاحب "تاج العروس"، مات بالمدينة المنوّرة (سنة ١١٧٠هـ). انظر: سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر للمرادي (٤/ ١٠٨ - ١١٢)، وفهرس الفهارس (٢/ ١٠٦٧ - ١٠٧١)، ومعجم طبقات المؤلفين: (٢/ ٢٩١ - ٢٩٢)، والأعلام: (٦/ ١٧٧ – ١٧٨)، والنبوغ المغربي: (١/ ٣٠١).

(٢٣) نسبةً إلى "شْرَاگه"، منطقة على مرحلةٍ من فاس، ينظر فهرس الفهارس (٢/ ١٠٦٧).

(٢٤) نسبه إليه الكتاني في فهرس الفهارس (١/ ٤٩٨)، وعبد العزيز بنعبد الله في "معلمة الفقه المالكي" (ص١٨١).

(٢٥) بفتح الكاف المعقودة وتشديد النون المضمومة، ينظر ترجمته في: شجرة النور الزكية في طبقات المالكية (١/ ٦١٠، رقم ١٦٩٤)، وفهرس الفهارس (١/ ٤٩٨)، وإتحاف المطالع (١/ ٢٨٨ - ٢٨٩)، والفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي (٢/ ٣٦١ - ٣٦٣، رقم ٨٠٥)، والأعلام للزركلي (٧/ ٩٤)، والنبوغ المغربي (١/ ٢٩٧ - ٢٩٨)

(٢٦) معجم طبقات المؤلفين (ص٢٩٩).

(٢٧) فهرس الفهارس (١ / ٤٩٨).

(٢٨) ينظر ملحق تاريخ بروكلمان (٢/ ٨٨٦).

(٢٩) ينظر معلمة الفقه المالكي (ص١٨١).

(٣٠) صدر بتحقيق مصطفى عبد الواحد، عن مكتبة الخانجي بالقاهرة سنة ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٨م، ثم صدر بالتحقيق نفسِه عن مكتبة الخانجي، ومكتبة الهلال، ببيروت، سنة ١٣٨٩هـ/ ١٩٧٠م، وصدر بتحقيق محمد كمال الدين عز الدين علي عن عالم الكتب ببيروت، عام ١٤١٧ه/ ١٩٩٧م.

(٣١) "انبعاث الإسلام في الأندلس" (ص٢١).

(٣٢) أنيشة: بالشين المعجمة والجيم معاً، موضع في شمال بلنسية على بعد ثلاث فراسخ منها، ينظر الروض المعطار في خبر الأقطار، للحميري (ص٤١)، وقال محققه د. إحسان عباس: "وهي تقابل ما يسمى (El Puig) على بعد ٢٠ كيلومتراً شمال بلنسية".

(٣٣) ينظر تحفة القادم لابن الأبّار (ص٢٠١)، والإحاطة في أخبار غرناطة لابن الخطيب (٤/ ٢٦٢)، والمرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا للنُّباهي

(ص١١٩).

(٣٤) مصادر السيرة النبوية: ضيف الله بن يحيى الزهراني (ص٣٢).

(٣٥) ذكر الزركلي في الأعلام (٦/ ٢٠٥) أن اسمه: "معاني الوفاء بمعاني الاكتفاء"، ويبدو أنه اعتمد على ما رآه على ظهر من المجلد الثامن من النسخة الموجودة في الخزانة العامة بالرباط (١٥٣٩ ك).

(٣٦) تنظر ترجمته في: نشر المثاني: (٤ / ٨٠ – ٨١)، والتقاط الدرر (٢/ ٤١٦ -٤١٧)، وفهرس الفهارس: (١/ ٢٢٤ – ٢٢٦)، والسلوة: (١/ ١٥٦ - ١٥٧، رقم ٧٤)، وشجرة النور: (١/ ٥٠٧ - ٥٠٨، رقم ١٤٢٠)، والفكر السامي (٢/ ٣٤٤، رقم ٧٦٤)، والأعلام للزركلي: (٦/ ٢٠٥ – ٢٠٦).

(٣٧) ينظر: تاريخ عجائب الآثار في التراجم والأخبار (٢/ ١٤٩)، وحلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر (ص١٤٠٥) وإتحاف أعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس (٤/ ٤٧٧).

(٣٨) نشر المثاني: (٤/ ٨١). وذكر ابن جعفر في الرسالة المستطرفة (ص١٩٨) أنه "في خمس أو ست مجلدات"، والصواب أنه في ستة أجزاء.

(٣٩) في نسخة المعهد الموريتاني للبحث العلمي (٠٣٤٥/٠٣٤٥): "المهيع".

(٤٠) ينظر فهرس خزانة القرويين (١/ ٢٧١ – ٢٧٣). ومطلع الجزء الثالث أخذته من فهرس كتب السيرة النبوية بالخزانة الحسنية.

(٤١) يعني محمد بن عبد السلام بناني.

(٤٢) هو محمد بن عبد القادر بن علي بن يوسف الفاسي: الفقيه العالم العمدة الإمام المتفنن، اشتغل أول أمره بعلوم العربية، ثم اقتصر على التفسير والحديث، من آثاره: تكميل المرام بشرح شواهد توضيح ابن هشام، وتحفة المخلصين في شرح عدة الحصن الحصين. توفي سنة ١١١٦ه. ينظر عناية أولي الجد (٤٨)، وشجرة النور (ص٤٧٥، رقم ١٣٠٢)، والأعلام للزركلي (٦/ ٢١٢).

(٤٣) كذا، ولعل الصواب: أذن له.

(٤٤) كذا في فهرس الفهارس، وهو تصحيف، والصواب "مغاني".

(٤٥) فهرس الفهارس (١/ ٢٢٥).

(٤٦) النبوغ المغربي في الأدب العربي (١/ ٢٩٠). وذكر أستاذنا د. يسف أن وفاته سنة ١١٠٣ه، وهي سنة وفاة والده.

(٤٧) نسخة الخزانة العامة رقم: ٢٦٥٤ ك.

(٤٨) فهرس الكتب المخطوطة في السيرة النبوية المحفوظة بالخزانة الحسنية: (ص ٣٨٢ – ٣٨٦).

(٤٩) المرجع السابق: (ص ٣٨٤ – ٣٨٥).

(٥٠) المرجع السابق: (ص ٣٨٧).

(٥١) ينظر فهرس خزانة القرويين (١/ ٢٧٣).

(٥٢) ينظر فهرس المخطوطات العربية المحفوظة بالخزانة العامة بالرباط، المجلد السادس: (ص٤٦).

(٥٣) وهم: د. جميلة العمري، و د. عبد الفتاح فيوض، و د. محمد التازي، و د. مصطفى خلفاوي.

(٥٤) لم أقف على من ذكره، ولم يذكره أستاذنا الدكتور محمد يسف في "المصنفات المغربية"، وإنما وجدته بفهرس الخزانة الحسنية. وقد ذكره الباحث د. طارق طاطمي في بحث الشروح والمؤلفات الموضوعة على كتاب الشفا للقاضي عياض اليحصبي بالعدد الثاني من مجلة مرآة التراث الصادرة في فبراير سنة ٢٠١٢م.

(٥٥) ينظر الإتحاف الوجيز (ص ١٣٨)، والبدور الضاوية للعكاري، اللوحة ١٣، ونزهة الناظر للتستاوتي، (اللوحة ٢٢٠)، ومعلمة المغرب: (١٢/ ٤٠٤٥)، و"إتحاف أشراف الملا ببعض أخبار الرباط وسلا" لمحمد بن محمد بن علي الدكالي السلاوي (ت١٣٦٤هـ).

(٥٦) وللمؤلف كتاب آخر، ولكن عن الشفا للقاضي عياض، عنوانه: "مناهج الصفا في التقاط درر الشفا". وأصل الكتاب تقاييد وحواشٍ كتبها الشيخ أبو سرحان جموع السجلماسي (ت ١١١٩هـ) على الشفا، لم يتيسر له تدوينها في كتاب مستقل، فأشار على تلميذه موسى الدغمي بجمعها، فكتب هذا الكتاب، وهو غير تام. منه نسخة بالخزانة الحسنية ضمن مجموع تحت رقم: ٣٥٥، ونسخة بالمكتبة

الوطنية ضمن مجموع برقم: ٢١٤١د. (من ص ١٨٠ إلى ٤٠٧)، وقد حقق بعض الأجزاء منه بعض الباحثين في بحوث لنيل الماستر بشعبة الدراسات الإسلامية بكلية الآداب بمراكش.

(٥٧) فهرس الكتب المخطوطة في السيرة النبوية المحفوظة بالخزانة الحسنية: (ص ١١٤).

(٥٨) المرجع السابق: (ص ١١٣).

(٥٩) المرجع السابق: (ص ١١٤).

(٦٠) سلوة الأنفاس: (٢/ ٨)، ومعجم طبقات المؤلفين (ص٣٥١)، وشجرة النور (١/ ٤٥٣)، والأعلام للزركلي: (٧/ ٦٦).

(٦١) تنظر ترجمته في: نشر المثاني: (٣/ ٣١٢ – ٣١٤)، والأعلام للزركلي: (٧/ ٦٦)، ومعجم المؤلفين: (١١/ ٢٦٩)، وذكر الأخيران أن اسمه محمد بن محمد بن محمد بن أحمد بن عبد الرحمن الدلائي، وأحال الأخير على البغدادي في هدية العارفين: (٢/ ٣٢٠)، وهو وهم، وقد كُتِب اسمه صحيحا في إيضاح المكنون: (٤/ ١٨٠)، ودليل مؤرخ المغرب لابن سودة: (ص ٤٢٤، ٤٢٥).

(٦٢) منها: فَخر الثرى بِسَيِّد الورى، وشرح الشفا، وزهر الحدائق في سيرة خير الخلائق. ينظر هدية العارفين (٢/ ٣٢٠)، والنبوغ المغربي في الأدب العربي (١/ ٣٠٦).

(٦٣) وقد التبس الأمر على صاحب شجرة النور (١/ ٤٥٣)، فذكر هذا الكتاب وغيره في ترجمة والد المؤلف المتوفى سنة ١٠٨٨ه.

(٦٤) نسبه إليه أصحاب الكتب الآتية: نشر المثاني: (٣/ ٣٦٤)، ومعجم طبقات المؤلفين (ص ٧٥)، وهدية العارفين (١/ ١٧١)، وسلوة الأنفاس (٢/ ٣٣٧)، وشجرة النور الزكية (١/ ٤٨٤)، ومعجم المؤلفين (١/ ٣٠٧)، وكذلك كَنون في النبوغ المغربي (١/ ٣٠٦)، وسماه "حاشية على الاكتفاء".

(٦٥) ينظر ترجمته في نشر المثاني: (٣/ ٣٦٤ – ٣٦٦)، وسلوة الأنفاس (٢/ ٣٣٧ - ٣٣٨)، وشجرة النور: (١/ ٤٨٤ رقم ١٣٣٦)، والأعلام للزركلي (١/ ١٦٥)، ومعجم المؤلفين (١/ ٣٠٧).

(٦٦) صناعة الوراقة أو التوريق هي معاناة الانتساخ والتصحيح والضبط؛ تاريخ آداب العرب (١/ ٢٢١، هامش ١).

(٦٧) نشر المثاني: (٣/ ٣٦٥). وله فيما يتعلق بالسيرة النبوية أيضا: شرح الهمزية، وشرح البردة. ينظر هدية العارفين (١/ ١٧١)، وشجرة النور (١/ ٤٨٤).

(٦٨) نشر المثاني: (٣/ ٣٦٤)، ونحوه في معجم طبقات المؤلفين: (٢/ ٧٥).

(٦٩) تنظر ترجمته في: نشر المثاني: (٣/ ٣٦١ – ٣٦٣)، وسلك الدرر: (٣/٢٠٥ - ٢٠٦)، والسلوة: (٢/ ١٦٤ – ١٦٥ رقم ٥٧٠)، وفهرس الفهارس (١/ ٣٤٢ - ٣٤٤)، وشجرة النور (١/ ٤٨٦، رقم ١٣٤٢) ومعجم المؤلفين (٧/ ١٢ - ١٣).

(٧٠) ينظر فهرس الكتب المخطوطة في السيرة النبوية المحفوظة بالخزانة الحسنية: (ص ١٠).

(٧١) المرجع السابق: (ص ١٠).

(٧٢) المرجع السابق: (ص ١٠ – ١١).

(٧٣) لم أقف له على ترجمة، ولكنني وجدت أنه ذكر في شيوخ أحمد بن عباد الله الغربي الرباطي (ت١١٧٨ه) الذين لقيهم في المشرق، كما ذكر الكتاني "فهرس الفهارس" (١/ ١١٩).

(٧٤) فهرس الكتب المخطوطة في السيرة النبوية المحفوظة بالخزانة الحسنية: (ص ١١).

(٧٥) نسبه إليه مؤلفو الكتب الآتية: فهرس الفهارس (١/ ٣٥٢)، وإتحاف المطالع (١/ ٣٩)، ومعجم طبقات المؤلفين (٢٧٢)، والمعسول (١٤/ ٣٧٨)، وسوس العالمة (ص١٩٣)، ومعجم المؤلفين (٨/ ٢٨٠).

(٧٦) تنظر ترجمته في: الإعلام للمراكشي: (٦/ ٨١)، وفهرس الفهارس: (١/ ٣٥١ - ٣٥٢ رقم ١٥١)، والمعسول: (١١ / ٣٠٢)، والأعلام للزركلي (٦/ ١٥)، ومعجم المؤلفين: (٨ / ٢٨٠).

(٧٧) وله مؤلفات أخرى لها تعلق بالسيرة، منها: شرح الهمزية للبوصيري، وحاشية على الشفاء، ينظر فهرس الفهارس (١/ ٣٥٢)، وسوس العالمة (ص١٩٣)، وغيرها.

(٧٨) سوس العالمة (ص١٩٣).

(٧٩) ينظر ترجمته في: الضوء اللامع (٢/ ١٠٣ - ١٠٤)، والكواكب السائرة (١/ ١٢٨ - ١٢٩)، وشذرات الذهب (١٠/ ١٦٩).

(٨٠) وعنوانها "سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد"، وتعرف بالسيرة الشامية، وهي مطبوعة.

(٨١) تنظر ترجمته في: تاريخ عجائب الآثار للجبرتي (١/ ١٢٢)، والفكر السامي (٢/ ٣٣٨، رقم ٧٥٦)، والأعلام للزركلي" (٦/ ١٨٤ - ١٨٥).

(٨٢) السيرة النبوية على ضوء القرآن والسنة، للشيخ محمد أبو شهبة (١/ ٣٥).

(٨٣) تنظر ترجمته في: الأعلام للزركلي (٤/ ١٧٢)، وإتحاف المطالع (١/ ٣٢٠).

(٨٤) إتحاف المطالع (١/ ٣٢٠). وعبارة عبد الحي الكتاني في "فهرس الفهارس" (١/ ٤٥٦ - ٤٥٧): "كان قاضي الجماعة بفاس العلامة المحدث السيرِي أبو محمد عبد الهادي ابن أحمد الصقلي الحسيني الفاسي دفين المدينة المنورة يقول: "أول ما يبيعه الطالب إذا افتقر شرح الزرقاني على المختصر. وآخر ما يبيع الزرقاني على المواهب". وكان معجباً بالكتاب المذكور، وهو جدير بذلك لحسن سبكه ومتانة تعبيره ووسع اطلاعه وجمعه". وسياقه يدل على أنه كان معجبا بشرح الزرقاني على المواهب، لا بكتاب "المواهب اللدنية".

(٨٥) تنظر ترجمته في سلوة الأنفاس: (٣/ ٤ رقم ٨٣٩)، والفكر السامي (٢/ ٣٥٤)، وشجرة النور: (١/ ٣٨٠ رقم ١٥٢٣)، والأعلام للزركلي: (٣/ ١٣٣ – ١٣٤).

(٨٦) "جمهرة التيجان وفهرسة الياقوت والمرجان في الملوك العلويين وأشياخ مولانا سليمان" جمعها أبو القاسم الزياني، وصدر محققا بتحقيق عبد المجيد خيالي عن دار الكتب العلمية سنة ٢٠٠٣م.

(٨٧) معجم طبقات المؤلفين (١٣٨ - ١٣٩).

(٨٨) فهرس الفهارس (٢/ ١٠٥٣).

(٨٩) الاغتباط بتراجم علماء الرباط، لمحمد بوجندار (ص٤٢٦)، ومعجم طبقات المؤلفين (ص٢٥).

(٩٠) "شيخ الجماعة العلامة أبو إسحاق التادلي الرباطي" لعبد الله الجراري: (ص ١٠٥).

(٩١) معجم طبقات المؤلفين (ص١٤٤).

(٩٢) تنظر ترجمته في: إتحاف المطالع (١/ ٣٦٨)، ومعلمة الفقه المالكي (ص٦٧).

(٩٣) انظر ترجمته في: خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر (٣/ ١٢٢)، والأعلام للزركلي (٤/ ٢٥١، ٢٥٢)، ومعجم المؤلفين (٧/ ٣).

(٩٤) نشرته دار الكتب العلمية ببيروت سنة ١٤٢٧ه.

(٩٥) وعنوانها "سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد"، وهو مطبوع.

(٩٦) فهرس الفهارس (١/ ٣٤٤).

(٩٧) خلاصة الأثر (٣/ ١٢٣).

(٩٨) الاغتباط بتراجم علماء الرباط، لمحمد بوجندار (ص٤٢٦)، ومعجم طبقات المؤلفين (ص١٢).

(٩٩) الاغتباط (ص٤١٨ – ٤٣٥)، والأعلام للزركلي (١/ ٧١)، والفكر السامي (٢/ ٣٦٦، رقم ٨١١)، ومعلمة الفقه المالكي (ص٥٥)، و"شيخ الجماعة العلامة أبو إسحاق التادلي الرباطي" لعبد الله الجرَاري.

(١٠٠) "شيخ الجماعة العلامة أبو إسحاق التادلي الرباطي" لعبد الله الجراري: (ص ١٠٧).

(١٠١) نسبته إلى شُقْراطس، حصن بقرب قفصة في الجنوب التونسي، ينظر الوفيات لابن قنفذ (ص٢٥٣)، وتاج العروس (١٦/ ١٦٩).

(١٠٢) تنظر ترجمته في: كشف الظنون (٢/ ١٣٣٩)، وتراجم المؤلفين التونسيين لمحمد محفوظ (٣/ ٢٠٤، رقم ٢٩٦)، والأعلام للزركلي (٨/ ١٥٧)، ومعجم المؤلفين (١٢/ ١٠٦).

(١٠٣) نشرها الشيخ عبد الله گنون في مجلة المناهل الصادرة عن وزارة الثقافة، العدد الثامن عشر، يوليو ١٩٨٠م: ص ٢٢.

(١٠٤) ينظر فهرسة ابن خير الإشبيلي (ص ٣٧٥).

(١٠٥) ولد بمراكش، وعاش بقسنطينة، ينظر ترجمته في وفيات ابن قنفذ (ص٣٨١)، والضوء اللامع (٨/ ٤٨)، ونيل الابتهاج (ص٤٨٠، رقم ٥٨٦)، ودرة الحجال (٢/ ٢٨٣). وكشف الظنون (٢/ ١٧٦٢).

(١٠٦) ينظر الإعلام: (٥/ ٣٠).

(١٠٧) ينظر هدية العارفين (٢/ ١٥٠)، والأعلام للزركلي (٦/ ١٩٣)، ومعجم المؤلفين (١٠/ ١٤٩).

(١٠٨) المصنفات المغربية في السيرة النبوية ومصنفوها: (١/ ٢٠٩).

(١٠٩) شجرة النور (١/ ٤٣٧).

(١١٠) تنظر ترجمته في: الاستقصا (٦/ ١١٢)، وشجرة النور (١/ ٤٣٧ – ٤٣٨، رقم ١١٨٨)، ومعجم المؤلفين (١٠/ ٢٩٠)، ومعلمة الفقه المالكي (ص١٤٤).

(١١١) وهو يقع في أربعة أجزاء كبار بالمكتبة الوطنية بتونس تحت رقم ١٨٥٧٤، و١٨٥٦٥. ينظر تراجم المؤلفين التونسيين" (٣/ ١٤٢). ونشر أحمد مختار العبادي القسم الخاص بالأندلس تحت عنوان: "وصف الأندلس"، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية، مدريد، العدد: ١٤، ١٩٦٧ – ١٩٦٨، من ص ٩٩ إلى ص ١٦٣.

(١١٢) ينظر المصنفات المغربية في السيرة النبوية (١/ ٢١٠).

(١١٣) ينظر الفهرس الموجز لمخطوطات مؤسسة علال الفاسي: (١/ ٣٢).

(١١٤) منظومات السيرة النبوية في الغرب الإسلامي (١/ ٣٣٦).

(١١٥) تقدم ذكر عنوانه كاملا.

(١١٦) معجم طبقات المؤلفين (ص٢٤ - ٢٥)، وإتحاف أعلام الناس (٥/ ٦٣١). واكتفى الزركلي في الأعلام (٣/ ١٠٠) فسماه: "الورد الندي في السيرة النبويّة"، وتابعه في ذلك صاحب معجم المؤلفين (٤/ ٢٢٩)، وذكر في موضع آخر (٨/ ١٠١) عنوانه كاملا.

(١١٧) تنظر ترجمته في: الإتحاف: (٥/ ٥٣١ – ٥٦١)، وفهرس الفهارس: (٢/ ٨٣١)، وإتحاف المطالع: (١/ ٢٠)، والأعلام للزركلي (٣/ ٩٩)، ومعجم المؤلفين (٨/ ١٠١).

(١١٨) تقدم ذكر عنوانه كاملا.

(١١٩) نقله عنه ابن زيدان في "إتحاف أعلام الناس" (٥/ ٦٣٢ - ٦٣٣).

(١٢٠) إتحاف أعلام الناس (٥/ ٦٣٣). ونحوه في الأعلام للزركلي (٣/ ١٠٠).

(١٢١) فهرس الفهارس (٢ / ٨٣١).

(١٢٢) معجم طبقات المؤلفين (٢٥).

(١٢٣) طبقات الحضيكي (١/ ١٨٣)، والأعلام للزركلي (٦/ ١٤).

(١٢٤) تنظر ترجمته في: نشر المثاني: (٤/ ١٨١ – ١٨٢)، وطبقات الحضيكي (١/ ١٨٣)، وشجرة النور (١/ ٥١٠، رقم ١٤٢٩)، والأعلام للزركلي (٦/ ١٤).

(١٢٥) نسبه إليه أصحابه الكتب الآتية: سوس العالمة (ص١٩٣)، والأعلام للزركلي (٦/ ١٥).

(١٢٦) تقدمت الإحالة على مصادر ترجمته.

(١٢٧) سوس العالمة (ص١٩٣).

(١٢٨) طبقات الحضيكي (١/ ٧٠). وتقع جماعة إداوكارسموكت في الشمال الشرقي لإقليم تيزنيت، على بعد حوالي ٢٥ كلم من مدينة تيزنيت.

(١٢٩) الفهرس الوصفي (١/ ٢٧٧ – ٢٧٨).

(١٣٠) "ألفية السيرة النبوية - نظم الدرر السنية الزكية" (ص٢٩).

(١٣١) نسبه إليه ابن سودة في إتحاف المطالع (١ / ١٠٨)، ومحمد بن جعفر الكتاني في "الرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السنة المشرفة" (ص٢٠٠)، والزركلي في الأعلام (٦/ ١٧٨).

(١٣٢) تنظر ترجمته في: الشِّرْب المحتضر، لجعفر الكتاني: (ص ٦٨)، وسلوة الأنفاس: (٣/ ٣ – ٦ رقم ٨٣٨)، والفكر السامي (٢ / ٣٥١ – ٣٥٢ رقم ٧٨١)، وإتحاف المطالع (١/ ١٠٨)، وشجرة النور (١/ ٥٣٩ – ٥٤٠ رقم ١٥١٦)، والنبوغ المغربي (١/ ٢٩٤)، والأعلام (٦/ ١٧٨)، ومعجم المؤلفين (١٠/ ١٠٩).

(١٣٣) الاستقصا (٣/ ١٢٨). وهذا ما سار عليه صاحب معجم المؤلفين (١٠/ ١٠٩)، وصاحب "التفسير والمفسرون في غرب أفريقيا" (١/

(٣٠١).

(١٣٤) الرسالة المستطرفة (ص٢٠٠).

(١٣٥) ووهِم بعض الباحثين فذكر في بحث عن العلامة محمد الطيب بن كيران منشور في العدد الخامس عشر من مجلة المذهب المالكي (٢٠١٢م) أنه ألفه بطلب السلطان محمد بن عبد الله، وليس كذلك.

(١٣٦) فهرس الكتب المخطوطة في السيرة النبوية المحفوظة بالخزانة الحسنية: (ص ١٧١).

(١٣٧) المرجع السابق: (ص ١٧٢).

(١٣٨) المرجع السابق: (ص ١٧٢).

(١٣٩) وقد ذكر ذلك الزركلي في الأعلام (٦/ ١٧٨). ووهم بعضهم فظنه شرحا لألفية العراقي في الحديث، ينظر مقدمة محققيْ كتاب "فتح الباقي بشرح ألفية العراقي" لزكريا الأنصاري (١/ ٣٢). ولعلهما اعتمدا على كلام صاحب "شجرة النور" أن له شرح ألفية العراقي، هكذا دون تقييد، فتبادر إلى ذهنهما أن المراد ألفيته في الحديث، وهو وهم. وينظر الحركة الفقهية في عهد السلطان محمد بن عبد الله العلوي: (٢/ ٢٥٣)

(١٤٠) ينظر فهرس المخطوطات العربية المحفوظة في الخزانة العامة للكتب والوثائق بالمغرب، القسم الثالث، الجزء الأول: ص ٨٣.

(١٤١) فهرس الخزانة العلمية الصبيحية بسلا (ص ٨٣).

(١٤٢) مصطفى بن عبد القادر العلوي الحسني: قاضي مراكش لأزيد من أربعين سنة. كانت له مصاهرة مع السلطان المولى الحسن، توفي عام ١٣٥٢ه. إتحاف (٢/ ٤٦٥).

(١٤٣) ينظر فهرس خزانة القرويين (٣/ ١٩٢ – ١٩٣).

(١٤٤) ينظر معجم تاريخ التراث الإسلامي في مكتبات العالم (٥/ ٣٤٧٣)، ومنظومات السيرة النبوية حتى القرن الثامن الهجري: دراسة وثائقية، الدكتور جلال شوقي (١/ ٦١٣).

(١٤٥) ينظر الفهرس الشامل لمخطوطات السيرة (ص ٤٥٩).

(١٤٦) معجم طبقات المؤلفين: (ص٣٠٦).

(١٤٧) تنظر ترجمته في سلوة الأنفاس:)١/ ١٦٨ – ١٦٩ رقم ٩٠(، والفكر السامي (٢/ ٣٥٩، رقم ٧٩٩)، وإتحاف المطالع (١/ ٢١٣)، وشجرة النور: (١/ ٥٧٣، رقم ١٦١٢)، ومعجم المؤلفين (٩/ ٢٧٠).

(١٤٨) معجم طبقات المؤلفين: (ص٣٠٦).

(١٤٩) هو أبو عبد الله محمَّد المهدي ابن الشيخ حمدون ابن الحاج: الفقيه العلامة المشارك في كثير من الفنون. كان علامة مدرسا فصيحا، له حاشية على شرح الخرشي على المختصر، وحاشية على شرح التحفة للشيخ التاودي ابن سودة إلى آخر اللعان؛ وتوليف في بيوع الآجال. ينظر إتحاف المطالع (١/ ٢٥٢)، وشجرة النور الزكية (١/ ٥٧٧).

(١٥٠) معجم طبقات المؤلفين: (ص٣٧٢).

(١٥١) سوس العالمة (ص٢٠١).

(١٥٢) ينظر ترجمته في روضة الأفنان في وفيات الأعيان (ص: ٢٨٧)، ورجالات العلم العربي في سوس (ص: ١٧٢)، والمعسول (١٣/ ٢٠٩-٢١٣).

(١٥٣) وتقع في نواحي مدينة تارودانت جنوب المغرب.

(١٥٤) المعسول (١٣/ ٢١٠).

(١٥٥) سوس العالمة (ص٢٠١).

(١٥٦) كشاف الكتب المخطوطة بالخزانة الحسنية (ص ٢٢٧).

(١٥٧) الاغتباط بتراجم علماء الرباط (ص٤٢٦)، ومعجم طبقات المؤلفين (ص١٢).

(١٥٨) تقدمت الإحالة على مصادر ترجمته.

(١٥٩) "شيخ الجماعة العلامة أبو إسحاق التادلي الرباطي" لعبد الله الجراري: (ص ١٠٧).

(١٦٠) ينظر نشر المثاني (٣/ ٨٦-١١٥)، والتقاط الدرر (٢/٢٧٤-٢٨٠)، وسلوة الأنفاس (٢/

٣٩٢و٣٩٣-٣٩٤)، ومعجم طبقات المؤلفين (ص: ١٧٤ – ١٧٨)، وشجرة النور (١/ ٤٧٣)، وفهرس الفهارس (١/ ١٨٨ - ١٩٠)، والإعلام للمراكشي (٤٧٨/٨-٤٨١).

(١٦١) نسبه إليه الكتاني في فهرس الفهارس (١/ ١٨٩)، ومنه عدة نسخ مخطوطة، منها ٣ نسخ بالخزانة الحسنية، ينظر فهرس الكتب المخطوطة في السيرة النبوية المحفوظة بالخزانة الحسنية (ص: ٤٠٥ -٤٠٧).

(١٦٢) نشرها الباحث الجزائري بنعراج عبد الرحمان بمجلة إسهامات للدراسات والتراث، المجلد السادس، العدد ٠٢، الجزائر، جامعة غرداية، ص٨٥ - ١٠٠.

(١٦٣) ينظر ترجمته في نشر المثاني (٣/ ٣٢٦ - ٣٢٩).

(١٦٤) نشر المثاني (٢/ ١١٣).

(١٦٥) نشر المثاني: (٣/ ٣٢٦).

(١٦٦) فهرس الفهارس (٢/ ٨٢٥).

(١٦٧) ففي أوله: "فهذا جمع ما انتشر من أخبار خير البشر، قصدت به على سبيل الإشهار، وتقليل البحث وسلوك الاقتصار...".

(١٦٨) ينظر فهرس المخطوطات العربية: المجلد السادس، لمحمد المنوني: (ص٤٦ – ٤٧).

(١٦٩) ينظر فهرس المخطوطات المصورة (معهد المخطوطات العربية): جزء تاريخ، قسم ٤: (ص ١٤١).

(١٧٠) ينظر المعسول: (١٢/ ٦٣ – ٦٧)، وسوس العالمة: (ص٢٠٣)، والأعلام للزركلي (١/ ٤٤ – ٤٥)، ومعجم المؤلفين (١٣/ ٣٥٥).

(١٧١) نسبه إليه الكتاني في فهرس الفهارس (٢/ ١٠٧٠)، وكنون في النبوغ المغربي (١/ ٣٠٦). وقد ذكره عبد الحي الكتاني أيضا في التراتيب الإدارية (١/ ٢٧٩) وسماه: "شرح ابن الطيب الشرقي على سيرة ابن الجزري". وأحال عليه تلميذه مرتضى الزبيدي في "تاج العروس" (٣/ ٦٦).

(١٧٢) وصدرت عن دار الظاهرية للنشر والتوزيع بالكويت سنة ٢٠١٧م بتحقيق الدكتور حايف النبهان اعتمادا على عشر نسخ خطية، وصدر أيضا عن مخطوطتين بتحقيق: سيد فرغلي عرباوي.

(١٧٣) وينظر ما في عدد الأبيات من الاختلاف في مقدمة د. حايف النبهان لتحقيقه لهذه المنظومة (ص ١٢٠ - ١٢٥).

(١٧٤) ذات الشفا: (ص ١٧١).

(١٧٥) مخطوط بيان الاستشفا (٩٥/ ا).

(١٧٦) ينظر مقدمة د. حايف النبهان لتحقيقه لمنظومة "ذات الشفا" (ص ١٤٥ - ١٤٦).

(١٧٧) نسبه إليه أصحاب الكتب الآتية: عبد القادر الكوهن في إمداد ذوي الاستعداد (ص: ١٦)، وابن سودة في إتحاف المطالع (١/ ١٢٠)، والكتاني في سلوة الأنفاس (٣/ ٧)، والمراكشي في الإعلام (٣/ ١١٧ – ١١٩ رقم ٣٨٣)، وصاحب شجرة النور (١/ ٥٤٤)، والزركلي في الأعلام (٢/ ٢٧٥).

(١٧٨) تنظر ترجمته في: إتحاف المطالع (١/ ١٢٠)، وسلوة الأنفاس (٣/ ٥ – ٧ رقم ٨٤١)، والإعلام للمراكشي (٣/ ١١٧ – ١١٩ رقم ٣٨٣)، وشجرة النور (١/ ٥٤٣ - ٥٤٤، رقم ١٥٢٦)، والأعلام للزركلي (٢/ ٢٧٥ - ٢٧٦)، ومعجم المؤلفين (٤/ ٧٦)، والنبوغ المغربي (١/ ٢٩٦ - ٢٩٧).

(١٧٩) معجم طبقات المؤلفين (ص١٣٢ – ١٣٣)، وشجرة النور (١/ ٥٤٤)، والنبوغ المغربي (١/ ٢٩٧)، والأعلام للزركلي (٢/ ٢٧٥).

(١٨٠) تقدمت ترجمته، ووهم محقق "معجم طبقات المؤلفين"، فذكر أن الذي أكمله هو محمد الطالب بن حمدون (٢/ ١٣٣)، وهو خلاف ما صرح به الكتاني في السلوة (١/ ١٦٨) وغيره.

(١٨١) إتحاف المطالع (١/ ١٢٠)، وسلوة الأنفاس (١/ ١٦٨)، والحياة الأدبية (ص ٣٥٣).

(١٨٢) معجم المطبوعات المغربية للقيطوني (ص: ١٠٢).

(١٨٣) عالم من علماء فاس، كان مشاركا عالما مدرسا، له مؤلفات منها شرح على مشارق الأنوار للإمام الصاغاني، توفي عام ١٢٥٠ه. ينظر إتحاف المطالع (١/ ١٥٤)، والأعلام للزركلي (٦/ ٩٢)،

ومعجم المؤلفين (٩/ ١٨٤).

(١٨٤) فهرس الخزانة الصبيحية (ص: ٢٧٨).

(١٨٥) نسبة إلى قبيلة "أَمَلْن" التي تستقرّ قرب مدينة تافراوت بجنوب المغرب.

(١٨٦) ينظر خلاصة الأثر (٤/ ٢٧١ - ٢٧٢)، وسلافة العصر (ص٣٤٩)، إلا أن في نسبته تحريفا (التاولي أو الناسلي)، والصواب ما أثبته، وينظر كذلك نشر المثاني (١/ ١٧٧)، وطبقات الحضيكي (١/ ٢٩٢)، وسوس العالمة (ص١٨٧)، وخلال جزولة (٢/ ١٢)، والأعلام للزركلي (٧/ ١٥٥)، ومعجم المؤلفين (٢/ ٦٩).

(١٨٧) (٥/ ٢٧٤)، وقد ذكر أن عدد لوحاتها ٣٣، من مسطرة ١٦.

(١٨٨) سوس العالمة (ص١٨٧). وقد ذكر المختار السوسي رحمه الله أن لأحد أولاد محمد بن سعيد المِرْغِتي السوسي - ولعل اسمه يحيى - نظما لاختصار والده لسيرة اليعمري (ص١٨٢)، وقد سبقه إلى ذكر ذلك ابن عسكر في "صفوة من انتشر" (١٧٧)، ونقله عنه الكتاني في "فهرس الفهارس" (٢/ ٥٥٤).

(١٨٩) نقل هذا المطلع إدريس العلمي في مقدمته لتحقيق "ريحانة المستنشق في نظم بعض سيرة المصدق" لمحمد بن محمد بن سعيد الميرغتيّ (ص٤٥ -٤٦). وورد البيتان الأولان من النظم في فهرس الخزانة الحمزية العياشية (١/ ٢٥٨).

(١٩٠) فهرس الخزانة الحمزية العياشية (١/ ٢٥٩).

(١٩١) فهرس الخزانة الحمزية العياشية (١/ ٢٥٨ – ٢٥٩، رقم ٣٦١).

(١٩٢) ذكر د. محمد الراوندي في كتابه "أبو الفتح اليعمري حياته وآثاره" (١/ ٣٥٩) أنها أرجوزة تقارب الألف، وأن عنوانها: نظم اختصار سيرة الرسول لليعمري الحافظ النبيل، ويبدو أنه أخذه من بيت من مطلع هذه المنظومة.

(١٩٣) ينظر الفهرس الشامل للتراث العربي الإسلامي المخطوط السيرة والمدائح النبوية (١/ ٤٩٩، رقم ١٨٥٨).

فهرس المصادر والمراجع

- إتحاف أعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس: عبد الرحمن بن زيدان. المطبعة الوطنية، الرباط. ط ١، ١٣٥٢هـ - ١٩٣٣م.
- **إتحاف المُطالع بوفيات أعلام القرن الثالث عشر والرابع:** عبد السلام بن عبد القادر بن سودة، تنسيق وتحقيق: محمد حجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط ١، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.
- **الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى:** أبو العباس أحمد بن خالد بن محمد الناصري. تحقيق: جعفر الناصري ومحمد الناصري. دار الكتاب، الدار البيضاء. ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.
- **الأعلام:** خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس الزركلي الدمشقي. دار العلم للملايين، بيروت. ط ١٥، مايو ٢٠٠٢م.
- **الإعلام بمن حلّ مراكش وأغمات من الأعلام:** العباس بن إبراهيم المراكشي السملالي. تحقيق: عبد الوهاب بن منصور. ط المطبعة الملكية، الرباط. ط٢، ١٤١٣هـ /١٩٩٣م.
- **الاغتباط بتراجم علماء الرباط، ومقدمة الفتح من تاريخ رباط الفتح:** لأبي عبد الله محمد بن الحاج مصطفى بوجندار الرباطي. تحقيق: الدكتور أحمد بن عبد الكريم نجيب. مركز نجيبويه للمخطوطات وخدمة التراث. ٢٠٠٨م.
- **التقاط الدرر ومستفاد المواعظ والعبر من أخبار وأعيان المائة الحادية والثانية عشر:** محمد بن الطيب القادري. تحقيق هاشم العلوي القاسمي. دار الآفاق الجديدة، بيروت. ط ١، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.
- **إمداد ذوي الاستعداد إلى معالم الرواية والإسناد:** عبد القادر الكوهن. تحقيق: عبد المجيد خيالي. مركز العمودي للترجمة ونشر التراث المخطوط. طبع بمطابع دار الكتب العلمية، بيروت. ط١، ١٤٣٣ه – ٢٠١٢م.
- **الإكليل والتاج في تذييل كفاية المحتاج:** لمحمد ابن الطيب القادري، تحقيق: مارية دادي، تقديم: محمد بنشريفة، الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، المغرب.

- **إنباه الرواة على أنباه النحاة:** جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف القفطي. تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم. دار الفكر العربي - القاهرة، ومؤسسة الكتب الثقافية – بيروت. الطبعة الأولى، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٢م.
- **أوجز السير لخير البشر**: لأحمد بن فارس بن زكريا الرازي، تحقيق: محمد محمود حمدان، دار الرشاد، القاهرة - مصر، الطبعة الثانية: ١٤١٧ /١٩٩٧.
- **تاريخ الأدب العربي:** كارل بروكلمان، نقله إلى العربية عبد الحليم النجار وغيره، دار المعارف، القاهرة، ط ٤، ١٩٨٣م.
- **تاريخ تطوان:** محمد داود. مطبعة المهدية، تطوان. سنة ١٩٦٢م.
- **تاريخ الشعر والشعراء بفاس:** أحمد النميشي. مطبعة أندري، فاس. سنة ١٣٤٣هـ
- **التراتيب الإدارية والعمالات والصناعات والمتاجر والحالة العلمية التي كانت على عهد تأسيس المدنية الإسلامية في المدينة المنورة العلمية:** لمحمد عَبْد الحَيّ بن عبد الكبير ابن محمد الكتاني، دار البشائر الإسلامية، بيروت - لبنان، الطبعة الثانية: ١٤٣٤/ ٢٠١٣.
- **ثلاث رسائل منظومة في السيرة النبوية والتوحيد:** لعبد السلام بن الطيب القادري، تحقيق: نائلة خيالي، منشورات مؤسسة عبد الواحد القادري، مطبعة أبي رقراق، الرباط - المغرب، الطبعة الأولى: ١٤٤٠/ ٢٠١٩م.
- **ذات الشفا في سيرة النبي والخلفا:** نظم شمس الدين محمد بن محمد بن علي بن يوسف ابن الجزري. تحقيق: د. حايف النبهان. دار الظاهرية، الكويت. ط١، ١٤٣٨ه – ٢٠١٧م.
- **الحياة الأدبية على عهد الدولة العلوية (١٠٧٥هـ - ١٣١١هـ):** محمد الأخضر. دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، ط١، سنة ١٩٧٧م.
- **دليل مؤرخ المغرب الأقصى:** عبد السلام بن عبد القادر ابن سودة المرّي. دار الكتاب، الدار البيضاء، ط ٢، ١٩٦٥م.
- **الروض المعطار في خبر الأقطار:** أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم الحِميري. تحقيق: د. إحسان عباس. مؤسسة ناصر للثقافة – بيروت. الطبعة الثانية، ١٩٨٠ م.
- **سَلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس:** محمد بن جعفر الكتاني. تحقيق عبد الله الكامل الكتاني، وحمزة بن محمد الطيب الكتاني، ومحمد حمزة بن علي الكتاني. دار الثقافة، البيضاء، سنة ٢٠٠٤م.
- **شجرة النّور الزكية في طبقات المالكية**: محمد بن محمد مخلوف، تحقيق: عبد المجيد خيالي. دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د. ت.
- **طبقات الحضيكي:** محمد بن أحمد الحضيكي. تقديم وتحقيق: أحمد بومزگو. مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء. ط ١، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.
- **الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي**: محمد بن الحسن الحجوي الثعالبي الفاسيّ، خرج أحاديثه وعلق عليه عبد العزيز بن عبد الفتاح القارئ، طبع دار التراث بالقاهرة. نشر المكتبة العلمية، المدينة المنورة، ط ١، ١٣٩٦هـ - ١٩٧٧م.
- **فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات:** لمحمد عبد الحي بن عبد الكبير الكتاني، اعتناء: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط٢: ١٤٠٢.
- **فهرس الخزانة الحسنية:** قسم التاريخ والرحلات والإجازات. محمد عبد الله عنان، عبد العالي لمدبر، محمد سعيد حنشي، أحمد شوقي بنبين. د.ت.
- **فهرس الكتب المخطوطة في السيرة النبوية المحفوظة في الخزانة الحسنية:** لمحمد سعيد حنشي، وعبد العالي لمدبر، إشراف ومراجعة: أحمد شوقي بنبين، دار أبي رقراق، الرباط - المغرب، الطبعة الأولى: ١٤٣١ /٢٠١٠.
- **فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات:** لعبد الحي بن عبد الكبير الكتاني. دار الغرب الإسلامي، بيروت. ط ٢، ١٩٨٢م.
- **فهرس الكتب المخطوطة في السيرة النبوية المحفوظة في الخزانة الحسنية:** لمحمد سعيد حنشي، وعبد العالي لمدبر، إشراف ومراجعة: أحمد شوقي

بنبين، دار أبي رقراق، الرباط - المغرب، الطبعة الأولى: ١٤٣١ /٢٠١٠.

- **فهرس مخطوطات خزانة ابن يوسف بمراكش:** للصديق بن العربي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى: ١٤١٤.ه.
- **فهرس مخطوطات خزانة تطوان، القسم الثاني:** إعداد: المهدي الدليرو، ومحمد بوخبزة. وزارة المكلفة بالشؤون الثقافية. المملكة المغربية. الطبعة ١، ١٤٠٤هـ – ١٩٨٤م.
- **فهرس مخطوطات خزانة القرويين:** لمحمد العابد الفاسي، دار الكتاب الدار البيضاء، الطبعة الأولى: ١٣٩٩ /١٩٧٩ هـ.
- **فهرس المخطوطات العربية المحفوظة في الخزانة العامة بالرباط:** ليفي بروفنصال، راجعها صالح التادلي، وسعيد المرابطي. سنة ١٩٩٨م.
- **فهرس المخطوطات العربية والأمازيغية:** لمحمد القادري وأحمد أيت بلعيد وعادل قيبال، مؤسسة الملك عبد العزيز آل سعود للدراسات الإسلامية والعلوم الإنسانية، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الأولى: ٢٠٠٥م.
- **فهرس مخطوطات مكتبة عبد الله گنون:** لعبد الصمد العشاب، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الرباط - المغرب، الطبعة الأولى: ١٤١٧هـ.
- **الفهرس الموجز لمخطوطات مؤسسة علال الفاسيّ:** عبد الرحمن بن العربي الحريشي. مؤسسة علال الفاسيّ، الرباط. ط١، ١٩٩٢م.
- **الفهرس الوصفي لمخطوطات خزانة الزاوية الحمزية العياشية بإقليم الرشيدية:** إشراف: حميد لحمر، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الرباط - المغرب، الطبعة الأولى، ١٤٣٠هـ .
- **مستعذب الأخبار بأطيب الأخيار:** لمحمد بن أحمد الفاسي الفهري، تحقيق: أحمد عبد الله باجور، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى: ١٤٢٥هـ /٢٠٠٤م.
- **معجم طبقات المؤلفين على عهد دولة العلويين:** عبد الرحمن ابن زيدان. دراسة ببليومترية وتحقيق: د. حسن الوزاني. منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية. ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.
- **معجم المؤلفين: تراجم مصنفي الكتب العربية:** عمر رضا كحالة. مؤسسة الرسالة. ط ١، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.
- **معجم المطبوعات العربية والمعرّبة:** يوسف إليان سركيس. دار صادر، بيروت. ١٩٨٠م.
- **معجم المطبوعات المغربية:** إدريس بن الماحي الإدريسي القيطوني الحسني. مطابع سلا، سلا. ١٩٨٨م.
- **المعسول:** محمد المختار السوسي. طبع بمطبعة النجاح، الدار البيضاء، المغرب الأقصى. صدر على أجزاء من عام ١٩٦٠ إلى ١٩٦٣م.
- **معلمة الفقه المالكي:** عبد العزيز بنعبد الله. دار الغرب الإسلامي، بيروت – لبنان. ط ١. ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.
- **منظومات السيرة النبوية في الغرب الإسلامي:** مصطفى بن مبارك عكلي، منشورات الرابطة المحمدية للعلماء، مركز الدراسات والأبحاث وإحياء التراث، دار الأمان، الرباط - المغرب، الطبعة الأولى: ١٤٣٦هـ -٢٠١٥م.
- **موسوعة أعلام المغرب:** تنسيق وتحقيق: محمد حجي. دار الغرب الإسلامي، بيروت. ط ١، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.
- **النبوغ المغربي في الأدب العربي:** عبد الله گنون. دار الثقافة، الدار البيضاء، د.ت.
- **نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني:** لمحمد بن الطيب بن عبد السلام القادري. تحقيق: محمد حجي وأحمد توفيق، مطبعة النجاح الجديدة، البيضاء، المغرب. ١٩٨٢م.

التّراث الأدبي التّونسي ما بين الحربين: ميكانيزم الدّفاع عن الذّات الوطنية

عاطف عبد الستّار
تونس

شهدت البلاد التّونسيّة خلال النّصف الثّاني من القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين توتّرا سياسيّا حادّا أدّى إلى ضعف الدّولة وتفكّك هياكلها ممّا جعلها تسقط فريسة سهلة بيد المستعمر الفرنسي سنة ١٨٨١م. فانبرى التّونسيّون دون هوادة يدافعون عن وطنهم بكلّ الأساليب المتاحة، وكان أهل الأدب كعادتهم روّاد هذه المرحلة المبكّرة من العطاء الإبداعي يشدّون العزائم ويشحذون الهمم فكانت نتاجاتهم الأدبية رمزا من رموز العبقريّة التّونسيّة، وذاكرةً حافظةً لقيم الشّعب ومقوّما من مقوّمات الهُوية الحضاريّة وخصوصيّتها. فهي بما تحمله من قيم ومعان، دلالة واضحة على العراقة والأصالة والامتداد، وعلامة مشرقة في تاريخ البلاد حاضرا ومستقبلا. هكذا كان الموروث الأدبي التّونسي ما بين الحربين درعا واقيا من هجمات المستعمر الفرنسي ومنافحا شرسا عن هويّة البلاد العربية الإسلاميّة، ولذلك نسعى في هذا البحث إلى التّعريف به وإلى إبراز دوره في الكفاح ضدّ المستعمر الفرنسي حتّى نالت الدّولة استقلالها معتمدين في ذلك منهجا وصفيّا استقرائيّا.

ليس بخاف عنّا اليوم أنّ الأدب العالمي المعاصر لم يعد يقتصر على معالجة بعض القضايا الجوهريّة والكونيّة الكبرى الّتي عمّرت طويلا في ذهن الإنسان، وعصفت بالنّفس البشريّة وولّدت داخلها الشّعور بالحيرة والقلق الدّائمين من قبيل منزلة الإنسان في الكون والطّبيعة وحظّه من الحريّة والعدالة والمسؤوليّة... بقدر ما تحوّل الاهتمام لدى جلّ أهل الفكر والأدب صوب المشاغل الحياتيّة واليوميّة الّتي ألقت بأثقالها وأعبائها على كاهل الإنسان دون هوادة كالاحتكار والاستغلال وهمومه وجشع رؤوس الأمـوال وغطرستهم وأنانيّة المتحكّمين في مصادر الثّروة ووسائل الإنتاج.

فتـغيّرت هواجس أصحـاب القلم منذ تلك

اللّحظة وصُرفت الأنظار نحو علاقة الإنسان بالإنسان بمعزل عن كلّ أشكال الاختلاف، وهكذا صار التّركيز على المعاني ذات البعد الإنساني الثّابت والمستوحاة من الواقع المعيش أحد أهمّ مقوّمات الأدب العالمي حتّى برزت للوجود إنتاجات أدبيّة في غاية الإبداع وعلامات مُضيئة في تاريخ الإنسانيّة قاطبة احتوت قيما خالدة وصورا من الخيال البشري في أسمى لحظات توقه للتّجاوز والابتكار.

وتعدّدت الرّوايات وتنوّعت الأشعار والآثار القصصيّة من حيث المعنى والمبنى ولمعت في هذا المجال أسماء عديدة من كلّ بقاع الأرض خلّدت ذكراها بأعمال أدبيّة عبّرت بشكل واضح وجلي عن رغبة كلّ فرد في الانفتاح على الآخر والتّواصل معه والتأثّر والاستيعاب والتمثّل والتّعديل من زاوية نفسيّة، اجتماعيّة، أنثروبولوجيّة أو تاريخيّة، ممّا ساهم في زعزعة فكرة المركزيّة الثقافيّة والسّبق الحضاري.

ومن بين هذه الأسماء نذكر "جيورج إليوت" (George Ilyot)، "مارسيل بروست" (Marcel Proust)، "غوستاف فلوبير" (Gustave Flaubert)، "ويليام شكسبير" (William Shakespeare) "هونوري بلزاك"(Honoré de Balzac)، "لوي تولستوي" (Loi Tolstoi)، "إيميل زولا" (Emile Zola) و"دُستيفسكي" (Dostoievsky) وغيرهم.. ومن عالمنا العربي نجد نجيب محفوظ، وتوفيق الحكيم، وطه حسين، وجبران خليل جبران، ومحمود تيمور، وغسّان كنفاني، وعلاء الدّيب، ومحمّد عفيفي، ومحمّد الماغوط وغيرهم...

وقد أفرزت الثّقافة التّونسيّة كغيرها من الثّقافات عمالقة تصدّروا قائمة الإبداع الإنساني بعضهم من حظي بشهرة عالميّة مثل أبو القاسم الشّابي ومحمّد بيرم التّونسي، وبعضهم ثبتت مكانته في المستوى القومي كمحمّد الشّذلي خزنه دار (هزار الخضراء) ومحمود المسعدي، زين العابدين السّنوسي، وصالح سويسي القيرواني، والبشير خريّف وعلي الدّوعاجي وبوراوي بوعجينة.. وبعضهم من كرّس البحث الجامعي منزلتهم في حدود الوطن كمصطفى الفارسي ومحّي الدّين خريف ومحمّد طرشونة ومحمّد صالح بن عمر ومحمّد رشاد الحمزاوي والهادي بن صالح وعبد المجيد عطيّة والطّاهر قيقة وعروسيّة النّالوتي وحسن نصر... لما حوته رواياتهم وأقاصيصهم وأشعارهم من قيم دينيّة ووطنيّة وأدبيّة ومفاهيم حضاريّة تحمل بين طيّاتها روح التّغيير نحو الأفضل في بلاد فتيّة رافضة للأوضاع المتردّية الّتي ورثها الأحفاد عن الأجداد.

وقد وردت في هذا الصّدد عدّة دراسات أكاديميّة قيّمة تصدّت للموروث الأدبي التّونسي بالشّرح والتّفسير والتّحليل وذهبت أشواطا بعيدة في تقييمه وبيان غزارته وأهميته من النّاحية النوعيّة، الكميّة والتّاريخيّة، ومن هذه الدّراسات نذكر:

"**تاريخ الأدب التّونسي الحديث والمعاصر**" لمجموعة من الباحثين، من منشورات المجمع التّونسي للعلوم والآداب والفنون (بيت الحكمة)، تونس، ١٩٩٣ . أحمد الودرني، **الأدب التّونسي الحديث وسؤال الجماليّة**، دار ابن زيدون للنشر. تونس، ٢٠٠٧ . ابراهيم السّامرائي، **من الأدب**

التونسي الحديث: اللّون التّقليدي المحافظ، العدد ١٢ من مجلّة الآداب الّتي تصدر فصليّا عن كليّة الآداب جامعة بغداد ١٨ نوفمبر ٢٠٢١ . جعفر ماجد، **الأدب التّونسي ما بين الحربين،** مقال ضمن مؤلّف جماعي بعنوان "تاريخ الأدب التّونسي الحديث والمعاصر"، المجمع التّونسي للعلوم والآداب والفنون بيت الحكمة، ١٩٩٣ . محمود طرشونة، **مباحث في الأدب التّونسي المعاصر: دراسات نقديّة في مؤلّفات المسعدي والمدني والفارسي وخريّف،** المطابع الموحّدة، تونس، ١٩٨٩...

إنّ هذه الدّراسات رغم أهميّتها (على الأقلّ من النّاحية النّوعية)، إلاّ أنّها انحصرت جميعها تقريبا في ثلاثة قراءات مهيمنة، فأمّا الأولى فهي تأريخيّة بامتياز، أي أنّها قراءة جافّة وصارمة خالية من كلّ نفس شاعري، وأمّا الثّانية فقد سلّطت الضّوء على المبنى دون المعنى أي اعتنت بالقيمة الأدبية والفنيّة للنصّ دون التعرّض إلى المسائل الجوهريّة الكامنة بين السّطور، في حين قدّمت القراءة الثّالثة مقاربة نقديّة مُسقطة انبنت أساسا على المقارنة المزيّفة مع بقيّة الأنماط الأدبية في بيئات أخرى مختلفة ممّا أفقد المادّة أصالتها ورونقها.

في حين نسعى نحن في هذه الورقات إلى تجاوز ما سبق لنلفت انتباه القارئ إلى قضيّة محوريّة كان لها الأثر البارز في صنع الأحداث ودفع حركة الإبداع إلى أقصاها ألا وهي نشأة ما يُعرف بـ "الأدب الوطني" من قبل كوكبة من الكتّاب والشّعراء المقاومين الّذين انخرطوا في مشروع نضالي حاسم لمجابهة الاستعمار الغاشم، فكان لنتاجهم الأثر الكبير في نفوس التونسيين عامّة حتّى اعتبرهم الشّعب "قادة التّحرير". ولا غرو في ذلك فقد قدّموا لنا مآثر خالدة مُفعمة بالحياة ظلّت تتأجّج بقوّة داخل كلّ تونسي إلى يوم النّاس هذا مفنّدة بذلك ادّعاءات الشّاعر التّونسي المتشائم "ألبرت ممي" الّذي حكم على الأدب التّونسي بالوفاة، أو ما جاء على لسان الدّكتور العراقي ابراهيم السّامرّائي الّذي سعى إلى النّيل من الشّعر التّونسي والتّقليل من شأنه.

وعلى هذا النّحو ارتأينا أن نعتمد في هذا البحث على المنهجين الوصفي والاستقرائي ونرتكز على مختلف المعطيات والإمكانيّات المتاحة من نصوص ومقالات ودراسات، نستند إليها في بناء أفكارنا ونستشهد بها كلّما دعت الحاجة إلى ذلك للاستئناس بآراء أصحابها في الموضوع، سعيا وراء إضفاء مزيد من المصداقيّة والتّأييد للأفكار الّتي نطرحها أو نتبنّاها، فضلا عن مُحاولة خلق ضرب من الحوار الدّافئ والبنّاء في الإطار الّذي يخدم الطّرح الأساسي للبحث المُعنون **"التّراث الأدبي التّونسي ما بين الحربين: ميكانيزم الدّفاع عن الذّات الوطنية".**

وقد قسّمنا بحثنا عموما إلى لحظتين أساسيّتين، تتناول الأولى الجانب التّعريفي لمصطلحات البحث الأساسيّة على غرار "التّراث" و "الأدب"، فيما تعرض الثّانية تفاصيل مرحلة بين الحربين بوصفها مرحلة ثريّة وهامّة من تاريخ البلاد التونسيّة ساعدت على صدور الكثير من المؤلّفات والصّحف الوطنيّة الّتي كان لها دور مؤثّر في دفع عجلة المقاومة الفكريّة والميدانيّة والإصلاح السّياسي والاجتماعي آنذاك، ثمّ

في الارتقاء بالوعي الوطني وتكريس الانتماء التّونسي للعالم العربي الإسلامي.

فما المقصود إذا بـالأدب؟ ومـاهـي أهـمّ خصائصه البنيويّة والشكليّة؟ وماهي أبرز تقسيماته وعناصره؟ ثمّ ما مكانة الأدب التّونسي من دائرة الأدب العالمي؟ وماهي ظروف نشأته وتطوّره على الصّعيد الوطني؟ وكيف أسهم في دفع حركة الإبداع والمقاومة وفي رسم ملامح الهويّة التّونسيّة ما بعد الاستقلال وإثبات وحدة وخصوصيّة الشّعب التّونسي حتّى صار نوعا من ميكانيزمات الدّفاع عن الذّات؟

١) مقاربات تحوم حول التّراث الأدبي:

أ) في معنى التّراث وتعدّد مدلولاته في الثّقافة العربية الإسلاميّة:

يُعدّ "التّراث" من أبرز المفاهيم والقضايا الّتي انشغل بها الفكر العربي الحديث والمعاصر منذ أواخر القرن التّاسع عشر وبدايات القرن العشرين، نظرا لأهميّته في بناء الثّقافة العربية الحديثة معرفيّاً وفكريّاً وتصوّريًا وفي الحفاظ على الهويّة والذّات والكينونة الوجوديّة.

والغريب في الأمر أنّ المصطلح (التّراث) لازال يشكو الغموض والضبابيّة إلـى يوم النّاس هذا، فقد تنازعته ثلّة من الباحثين العرب بحسب علومهم ومناهجهم وخلفيّاتهم الفكريّة والإيديولوجيّة حتّى أضحى معضلة لغويّة وفكريّة تتعدّد بتعدّد المجالات الّتي يستعمل فيها وعلى قدر الصّفات والنّسب الّتي تقترن به، من معالجة بنيويّة تكوينيّة ترتكز على استقراء دلالات الألفاظ والمفاهيم واستكشاف المعاني والمعطيات الدلاليّة، إلى معالجة تاريخيّة تعنى بتبيان الأبعاد التّاريخيّة والسياسيّة والاجتماعيّة والاقتصاديّة والثقافيّة الّتي أفرزت هذه الإشكاليّات الفكريّة والفلسفيّة المطروحة من قبل صاحب كلّ مقاربة، إلى وظيفة إيديولوجيّة يحويها المعطى الدّلالي أو الفكري الداخلي...[١]

والتّراث لغة أصل التّاء فيه واو، والتّراث والميراث ما وُرِثَ والتّراث ما يخلفه الرّجل لورثته والتّاء فيه بدل الواو.[٢] و**"ورث الوارث: صفة من صفات الله عز وجل، وهو الباقي الدّائم الّذي يرث الخلائق، ويبقى بعد فنائهم، والله عزّ وجلّ يرث الأرض ومن عليها، وهو خير الوارثين. أي: يبقى بعد فناء الكلّ، ويفنى من سواه، فيرجع ما كان ملك العباد إليه وحده لا شريك له. ورثه ماله ومجده، وورثه عنه ورثا ورثة ووراثة وإراثة. ورث فلان أباه يرثه وراثة ومِيراثا ومَيراثا. وأورث الرّجل ولده مالا إيراثا حسنا. ويقال: ورثت فلانا مالا أرثه ورثا وورثا إذا مات مورثك، فصار ميراثه لك. وقال الله تعالى إخبارا عن زكريا ودعائه إيّاه: "هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوب". أي: يبقى بعدي فيصير له ميراثي. والورث والإرث والتّراث والميراث: ما ورث؛ وقيل: الورث والميراث في المال؛ والإرث في الحسب.."**.[٣]

وورد في معجم العين للخليل ابـن احمد الفراهيدي أنّ لفظ "التّراث" مرادف لكلّ من "الإرْث"و"الوَارِث"، "المِيرَاث"،[٤] و"التّراث" مصدر لـ "وَرَثَ" وأصلها "وَرَثَ يَرِثُ وِرثًا وتراثًا فلانًا: انتقل مال فلان بعد وفاته ويقال: توارث القوم: وِرث بعضهم بعضا، وتوارث القوم المال والمجد: وراثة بعضهم عن بعض (كابرا عن كابر) قدما.[٥] وهـذا ما ذهب إليه

الرّاغب الأصفهاني كذلك لمّا عدّ أنّ **"الوراثة والإرث انتقال قُنية إليك من غيرك من غير عقد ولا ما يجري مجرى العقد، ويسمّى بذلك المنتقل على الميّت فيُقال للقنية الموروثة ميراث وإرث وتراث أصله وارث فقلبت الواو ألف وتاء".**[٦]

نستنتج من هاته التّعريفات إذا أنّ الرّعيل الأوّل من اللغويّين وأصحاب اللّسان والفقه وحملة العلم والدّين وكلّ من سار على دربهم من الأجيال الّتي تلتهم، لم يوظّفوا كلمة "التّراث" بحمولته المعجميّة الحديثة، فالتّراث والإرث والوِرَثُ مترادفة. هكذا قال ابن الأعرابي ومن بعده بن سيده، وقيل: الـوِرَثُ والميراث في المال والإِرْثُ في الحسب[٧] ممّا يُشير إلى أنّ الميراث الثّقافي لأنّ الحسب هو مفاخر الآباء وشرف الفِعال الّتي يرثها الأبناء ويتغنّون عنها وهذا ثابت في أشعار العرب في الجاهليّة وبعد الإسلام.

وقد جاء هذا المعنى بصفة صريحة في النصّ القرآني للدّلالة على الميراث الدّيني والثّقافي ﴿**يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِن آلِ يَعْقُوبَ**﴾**[سورة مريم** -الآيـة ٦] أي وراثـة النبوّة والعلم والفضيلة بالأساس دون المال، فالمال لا قدر له عند الأنبياء حتّى يتنافسوا فيه[٨] وهو المعنى عينه الّذي أورده الأب لويس معلوف صاحب **"المنجد في اللّغة العربية المعاصرة"** (١٩٠٧) حيث رأى أنّ التّراث مصدر لـ وَرَثَ وأصلها وَرِثَ يَرِثُ وِرْثاً وتُرَاثاً فلاناً: انتقل مال فلان بعد وفاته ويقال: تَوَارَثَ القوم: وَرِثَ بعضهم بعضا، وتوارث القوم المال والمجد: وراثة بعضهم عن بعض (كابرا عن كابر) قدمًا.[٩] في حين اعتبر الزّمخشري هذا الاستعمال الأخير لكلمة "الإرث" (أي الميراث الثّقافي) من قبيل المجاز.[١٠]

وأمّـا الكندي فقد تحدّث عن فضل القدماء وواجب الشّكر لهم وضرورة الأخذ عنهم- في مجال العالم والفلسفة في مقدّمة رسالته المعروفة بـ "كتاب الكندي إلى المعتصم بالله في الفلسفة الأولى"، ولم يستعمل العبارة الشّائعة لدينا اليوم، عبارة عن "تراث الأقدمين"، بل استعمل تعابير أخرى مثل: "ما أفادونا من ثمار فكرهم"،[١١] وكذا الشّأن تقريبا بالنّسبة لابن رشد الّذي استعمل عبارات تخلو تماما من كلمة "تـراث" أو ما يرادفها، فيقول مثلا **"فبين أنّه يجب علينا أن نستعين على ما نحن بسبيله بما قاله من تقدّمنا في ذلك"**.[١٢]

فهذه اللّفظة إذا وبهذه الصّيغة لم ترد بالمفهوم الثقافي والحضاري الّذي التصقت به دلاليّا في العصر الحديث والمعاصر على حدّ سواء، فهي بما تحمله من **"المضامين الّتي في أذهاننا اليوم نحن عرب القرن العشرين لم تكن تحملها في أيّ وقت مضى"**[١٣] بل وردت الكلمة بمفهومين: أحدهما معنوي يرتبط بالحسب والنّسب.. والثّاني مادّي يتعلّق بالتّركة الماليّة وماله علاقة بالأصول والمنقولات (وقد عني الفقهاء عناية كبيرة بطريقة توزيع تركة الميّت على ورثته حسب ما قرّره القرآن في باب الفرائض)، ومع ذلك فإن الكلمة الشّائعة والمتداولة لدى الفقهاء أنفسهم هي كلمة "ميراث" بالإضافة طبعا إلى: ورث، يرث، ورّث، توريث، الورثة..

وأمّا لفظة ‹التّراث› بهذه الصّيغة فلا نكاد نعثر لها على أثر في خطابهم بعكس الحقول المعرفية

الأخرى مثل الأدب وعلم الكلام والفلسفة وعلوم الطّبيعة... فهي بحمولتها المعجمية **"أقلّ هذه المصادر استعمالا وتداولا عند العرب الّذين جُمعت منهم اللّغة"**[١٤] على حدّ تعبير المفكّر المغربي المعاصر محمّد عابد الجابري ويقول في "مدخل إلى القرآن الكريم": **"لقد أكّدنا مرارا أنّنا لا نعتبر القرآن جزءا من التّراث، وهذا الشّيء نؤكّده من جديد. وفي الوقت نفسه نؤكّد أيضا ما سبق أن قلناه في مناسبات سابقة من أنّنا نعتبر جميع أنواع الفهم الّتي شيّدها علماء المسلمين لأنفسهم حول القرآن سواء كظاهرة قرآنية بالمعنى الّذي حدّدناه هنا أو كأخبار وأوامر ونواه، هي كلّها تراث لأنّها تنتمي إلى ما هو بشري".**[١٥]

هنا يلتقي الجابري مع ثلّة من المفكّرين المعاصرين العرب أمثال أنور الجندي[١٦] وعبد العزيز بن عثمان التّويجري[١٧] ومحمّد أركون وعبد الله العروي وجورج طرابيشي[١٨] وغيرهم... في حين اختلفت رؤية المفكّر السّوري المعاصر طيب تيزيني عن معاصريه ليعتبر أنّ التّفكير في التّراث ليس وليد عصر النّهضة بل هو قديم في التّاريخ العربي[١٩] وكذلك قول الدّكتور شوقي ضيف الّذي شرح في كتابه "في التّراث والشّعر واللّغة" نظريته في وحدة التّراث الدّيني والعلمي للأمّة العربية الإسلاميّة، وهي نظرية تؤكّد على تكامل التّراث في إطار منظومة مترابطة الحلقات وهو بذلك لا يستثني القرآن من بوتقة التّراث:

"**إنّ أمّتنا العربية ذات تراث واحد روحي وعقلي وأدبي، ونور تراثها الرّوحي الباهر هو القرآن الكريم المعجزة الّتي ليس لها سابقة ولا لاحقة في تاريخ الحياة الرّوحيّة الإنسانيّة**"،[٢٠] وهو ما يكشف لنا بوضوح أنّ القول ببداية الاشتغال بالتّراث ليس محلّ تسليم من قبل كلّ المفكّرين العرب.

وبالتّالي فالتّراث بناء على هذين التّعريفين في مفهومه الشّامل هو الذّاكرة الإنسانيّة بكل تجلّياتها المعرفيّة والتّقنية والعلميّة والثقافيّة والأدبيّة والفنيّة والجماليّة، سواء أكانت عبارة عن ثقافة شعبيّة أو عالميّة، وهو شكل ثقافي متميّز يعكس الخصائص البشريّة عميقة الجذور، ويتناقل من جيل إلى آخر، ويصمد عبر مدّة زمنية متفاوتة نوعيًا ومتميّزة بيئيًا، تظهر عليه التغيّرات الثقافيّة الدّاخليّة والعاديّة ولكنّه يحتفظ دائمًا بوحدة أساسيّة مستمرّة.

ولعلّ أكثر التّعريفات شمولا هو ما اقترحه محمّد عابد الجابري في أحد كتاباته المتأخّرة وهو تعريف جمع فيه بين المعنوي والمادّي من التّراث، وبين القومي والإنساني، وبين تراث الماضي البعيد وتراث الماضي القريب مضيّقا مجال الحاضر إلى نقطة هي نقطة اتّصال الماضي بالحاضر، حيث يقول "**التّراث هو كلّ ما هو حاضر فينا أو معنا من الماضي، سواء ماضينا أم ماضي غيرنا، سواء القريب منه أم البعيد. إنّ هذه المقاربة العامّة تشمل التّراث المعنوي من فكر وسلوك والتّراث المادّي كالآثار وغيرها، ويشمل التّراث القومي (ما هو حاضر فينا من ماضينا) والتّراث الإنساني (ماهو حاضر فينا من ماضي غيرنا)، كما يربط تراث الماضي بالحاضر مباشرة، فليس التّراث هو ما ينتمي إلى الماضي البعيد وحسب، بل هو أيضا**

ما ينتمي إلى الماضي القريب، والماضي القريب متّصل بالحاضر، والحاضر مجاله ضيق فهو نقطة اتّصال الماضي بالمستقبل. وإذا فما فينا أو معنا من حاضرنا من جهة اتّصاله بالماضي هو تراث أيضا".[٢١]

وأمّا فيما يتعلّق بالتّحديد الزّمني للتّراث وتنزيل المصطلح تاريخيّا، فإذا اعتبر الأستاذ عبد العزيز ابن عثمان التّويجري أنّ التّراث ليس محدّدا بتاريخ معيّن، فإنّ الجابري يرى أنّ التّراث (العربي) بمختلف حقوله المعرفية والجمالية والرّمزية (عقيدة وشريعة ولغة وأدبا وفنّا وكلاما وفلسفة وتصوّفا...) قد تشكّل في إطار مرجعي تاريخي وإبستيمولوجي هو عصر التّدوين (القرنان الثّاني والثّالث للهجرة) وأنّ هذا التّراث قد توقّفت موجاته مع قيام الدّولة العثمانيّة (ق ١٠-١٦هـ) أي مع انطلاق النّهضة الأوروبية الحديثة.[٢٢]

ويتّفق في ذلك مع حسين مروة الّذي يعود بالتّراث إلى الزّمن الّذي لم يكن التّراث فيه قد أصبح تراثا بعد "**أي الزّمن الّذي كان لا يزال يولد فيه هذا التّراث ويتوالد، ينمو ويتطوّر**"[٢٣]فيما يرى محمّد أركون أنّ التّراث ينقسم إلى ثلاثة مراحل لكلّ منها خصائصها وهي على النّحو الآتي: مرحلة القرآن والتّشكيل الأوّلي للفكر الإسلامي (٦٢٢ م – ٧٦٧م)، مرحلة العصر الكلاسيكي (٧٦٧ م – ١٠٥٨ م) ثمّ المرحلة الثّالثة ألا وهي السّكولاستيكيّة أو عصر الانحطاط (ما تلا المرحلة السّابقة إلى القرن التّاسع عشر وربّما حتّى الآن).[٢٤]

نخلص ممّا سبق ذكره إلى القول بأنّ التّراث مفهوم حديث تشكّل في سياق أسئلة الخطاب النّهضوي العربي، أي أنّه نشأ وترعرع بين أحضان النّهضة وكان في جانب كبير منه أحد إفرازات الوضع الحضاري الحديث الموسوم بالتبعيّة والتقهقر وهيمنة الآخر.. كما يبدو أنّ كلمة "التّراث" لم ترد بالمفهوم الثّقافي والحضاري الّذي التصقت به دلاليّا مثلما هو الشّأن في أيّامنا هذه، بل وردت الكلمة كدلالة لفظيّة ومعجميّة على التّركة الماليّة أو العلمَ والصّلاح ونحوهما أو على الحسب والنّسب.

بيد أنّ المعاصرين وظّفوا مصطلح "التّراث" بمفهوم آخر مفاده كلّ ما خلّفه الأجداد للأحفاد على صعيد الآداب والمعارف والفنون والعلوم، أو هو بمثابة الذّاكرة الثقافيّة والحضاريّة والرّوحيّة والدّينيّة الّتي تبقى للأبناء والأحفاد من أجدادهم وآبائهم، ويعني هذا أنّ الدّلالة الحديثة للتّراث بمثابة توظيف مجازي للدّلالة المعجميّة القديمة.[٢٥] وقد لا يختلف الأمر كثيرا بالنّسبة للّغات الأجنبيّة حيث لاحظنا أنّ كلمة "تراث" في كثير من المراجع والقواميس لا تفيد الموروث الثّقافي والفكري والدّيني والمعرفي، بل تحمل نفس الدّلالات والمعاني الّتي ملأت صفحات المعاجم العربيّة، كالتّركة والإرث والحسب كذلك.[٢٦]

ولئن اعتبر كلّ من "بيار بابلون" و"أندري كاستل" أنّ التّراث نشأ وترعرع في حضن الكنيسة وبين أركان القصور الملكيّة في العصور الوسطى حيث تنامت ثقافة جمع القطع النّفيسة ذات القيمة العالية،[٢٧] فإنّ "كريزستزوف" قد ذكر أنّ التّراث الثّقافي الأوروبي كان منشؤه إيطاليا زمن النّهضة،[٢٨] في حين ذكرت موسوعة "Universalis" أنّ كلمة "تراث" جاءت في

أوّل الأمر في سياق قانوني في بداية السّبعينيّات للإشارة إلى الإنتاجات البشريّة ذات الطّبيعة الفنيّة الّتي خلفها الماضي، ولم يتمّ بعد تحديد محتوى ومعنى هذا المصطلح.

ومن أجل قصر استخدامه على الفنون الجميلة وحدها، فإنّ المستخدمين يعتزمون استبعاد تعبيرات أخرى ضيّقة المحتوى والإفادة، أو تقتصر على السّياق الفرنسي وحده أي "المعالم التاريخية". وفي أواخر السّبعينيّات من القرن الماضي، اتّسع مدلول كلمة "تراث" ليؤكّد على هذا البعد الجماعي للتّراث: "التّراث الأوروبي" ثمّ "التّراث العالمي" للإشارة إلى الآثار والأشياء الأماكن.[٢٩]

وقد استمرّ هذا المفهوم في التطوّر تدريجيّا منذ إقحامه في الخطاب اليومي الفرنسي سنة ١٩٨٠ الموافقة لسنة التراث. ويمكن القول إنّه وإلى حدّ تلك اللّحظة لازال في طور التّشكّل والتّبلور إلى سنة ١٩٩٠ حيث سعت وزارة الثّقافة الفرنسيّة الاستفادة من مناهج علم الاجتماع في حقل الفنون الجميلة (المتاحف، الآثار التّاريخيّة، علم الآثار الأثري..) لتوسيع نطاق عملها إلى مجالات جديدة كالإثنولوجيا والعلوم والتّكنولوجيا والثقافة الماديّة الّتي تمّ استكشافها بعد ذلك من قبل بعض الباحثين أمثال بوردين، هنري بيير جيودي وأندريه.. على شاكلة نظرائهم البريطانيين علي وجه الخصوص.

ومنذ ذلك الحين أضحت كلمة "التراث" تدلّ على الإنتاج البشري الأكثر تنوّعا ولها طابع شمولي يسمح بفهم متعدّد التخصّصات للفنون الجميلة وجميع أنواع الفنون الأخرى، ويتجنّب المزالق ذات النّزعة الهرمية الّتي من شأنها أن تقتصر على أبرز الأعمال الفنيّة دون غيرها.[٣٠] فلقد أصبح التّراث الآن حسب أستاذ الأنثروبولوجيا الفرنسي جون لويس "تورناتور" **"ظاهرة حيّة تتجاوز إلى حدّ كبير دائرة المتخصّصين متحرّرة من احتكار الدّولة ممتدّة خارج أرضها الخصبة.."**[٣١]

ويُضيف الجابري هنا أنّ كلمة (l'héritage) بالفرنسيّة استعملت "**في معنى مجازي للدّلالة على المعتقدات والعادات الخاصّة بحضارة ما، وبكيفيّة عامّة "التّراث الرّوحي"، ولكن حتّى في هذه الحالة، يظلّ معنى الكلمة فقيرا جدّا بالقياس إلى المعنى الّذي تحمله كلمة تراث في الخطاب العربي المعاصر**".[٣٢] ولكن هناك كلمات أجنبية يمكن أن تتضمّن دلالة التّراث بالمفهوم المعاصر ككلمة الثقافة (Culture) وكلمة المعرفي أو الإبيستمي (Epistimé) .. وهذا ما يحيلنا مباشرة إلى بيان أنواع وأشكال التّراث المتعارف عليها في مختلف الأوساط المعرفية كالتّراث الثّقافي والتّراث الأثري والتّراث المادّي والتّراث المعنوي والتّراث الشّعبي..

نستنتج إذا أنّ التّراث في مفهومه البسيط والعادي هو الذّاكرة الإنسانيّة بكل تجلّياتها المعرفيّة والتّقنية والعلميّة والثقافيّة والأدبيّة والفنيّة والجماليّة، سواء أكانت عبارة عن ثقافة شعبيّة أم عالميّة، وهو شكل ثقافي متميّز يعكس الخصائص البشريّة عميقة الجذور، ويتناقل من جيل إلى آخر، ويصمد عبر فترة زمنية متفاوتة نوعيًا ومتميّزة بيئيًا، تظهر عليه التغيّرات الثقافيّة الدّاخليّة والعاديّة ولكنّه يحتفظ دائمًا بوحدة أساسيّة مستمرّة، ويُمكن أن نقسّم التّراث إلى

قسمين: تراث مادّي كالمباني الأثريّة والصّروح الّتي تجيء معبّرة بلغة واضحة لا لبس فيها ولا غموض عن الغرض الّذي أنشأت من أجله[٣٣] وما اتّصل بها من فنون تطبيقيّة وقطع فنيّة تضمها المتاحف، وتراث معنوي قوامه كلّ ما أنتجه المفكّرون الأول والعظماء من حكم وأمثال وأزجال وأناشيد..

وإذا كان التّراث بمعنى الذّاكرة الشّعوريّة واللاّشعوريّة الّتي يخزنها الإنسان بصفة عامّة، فيمكن أن نعرّف التّراث إذا تعريفا عاما شاملا، فنقول: بأنّه كلّ ما تركه الأجداد والآباء من معارف، وآداب، وعلوم، وتقنيات، وفنون، وتجارب دينيّة، وممارسات سياسيّة وقانونيّة، ودستوريّة وتنظيميّة أو هو باختصار شديد ذلك "**الموروث الثّقافي والفكري والدّيني والأدبي والفنّي**".[٣٤]

وفي هذا الإطار يتنزّل الموروث الأدبي التّونسي بوصفه ومقوّما من مقوّمات هُويتنا الحضاريّة وخصوصيّتها الّتي تتفرّد بها بين بقيّة الشّعوب والثقافات ورمزا من رموز عبقرية أجدادنا وذاكرةً حافظةً لقيم شعبنا بداية من ابن خلدون الّذي يعتبره الأستاذ محمود طرشونة "**مثالا للفكر الخلاّق الرّافض للأنماط المعرفيّة السّابقة والمعاصرة له، والمجتهد في ابتكار نظام فكري طريف اعتُبر اكتشافا علميّا بهر النّاس ولا يزال..**".[٣٥]

لذلك صار من الحكمة العودة إليه والبحث في بحاره وإعادة قراءته بعيون ناقدة معاصرة لاستحداثه والاستفادة من مخزونه قصد توظيفه في أعمال فنيّة وإبداعيّة معاصرة تتماشى مع ذائقتنا الجماليّة ومع قيمنا وسائر مكتسباتنا الحضاريّة، طالما أنّه من غير المنطقي أن ينهمك كلّ جيل في التّأسيس لبدايات جديدة في كلّ حقبة زمنيّة وفي كلّ جوانب الحياة من دون الاستئناس أو الاعتماد على عصارة أذهان من سبقه، فلن يكون ذلك إلاّ إهدار للوقت خصوصا وأنّ الكثير منّا اليوم قد فهم التّراث التّونسي على كونه تعبيرة ثقافيّة تُحفظ في أحد الأدراج ولا تحظى إلاّ باهتمام مناسباتي موسمي، أي عندما تقتضي الحاجة لذلك.

فلم يعد تراثنا في تصوّرنا الجمعي ذلك المزيج الثّمين من النّظم المعرفيّة والمنظومات الفكريّة والأخلاقيّة والجماليّة، وإنّما أضحى مجرّد أشكال جوفاء تتّجه نحو الاندثار يوما بعد يوم، ممّا نمّى في فريق منّا الرّغبة في القطيعة معه، والانفصال التامّ عنه، ولعلّ الأدب التّونسي خير دليل على هذا الجفاء والإهمال، فهو لم يعد يكتسي المكانة الّتي كان عليها سابقا بل ظلّ حبيس الرّفوف سجين المكتبات لا نكاد نسمع عنه شيئا إلاّ في بعض النّدوات العابرة أو الشّعارات العابرة الّتي لا يتجاوز صداها ثلّة من الباحثين وأصحاب القلم لا غير.

ب) الأدب التّونسي المعاصر: التّأثيرات والرّوافد وبلورة الشخصيّة الجديدة:

ذهب أهل اللّغة في تحديد معنى لفظة "الأدب" مذاهب شتّى، فمنهم من قال أنّه "**الظّرف وحُسن التّناول**"، ومنهم من قال أنّه "**عبارة عن معرفة ما يُحترز به عن جميع أنواع الخطأ**"،[٣٦] ولقد عرّفه السيّد المرتضى الحسيني الزّبيدي (١٧٩١) على أنّه "**محرّكة، الّذي يتأدّب به الأديب من النّاس،**

سُمّي به لأنّه يُؤدّب النّاس إلى المحامد وينهاهم عن المقابح، وأصل الأدب الدّعاء"،[٣٧] وذكر حنّا الفاخوري أنّ الأدب "**مجموعة الآثار المكتوبة الّتي يتجلّى فيها العقل الإنساني بالإنشاء أو الفنّ الكتابي**".[٣٨]

وقال الجرجاني (١٤١٣) في التّعريفات "**الأدب عبارة عن معرفة ما يُحترز به من جميع أنواع الخطأ – آداب البحث صناعة نظريّة يستفيد منها الإنسان كيفيّة المناظرة وشرائطها صيانة له عن الخبط في البحث وإلزاما للخصم وإفحاما**".[٣٩] وذكر الجولقي (١١٤٤م) ""**الأدب في اللّغة حسن الأخلاق وفعل المكارم، وإطلاقه على العلوم العربية مولّد حدث في الإسلام**".[٤٠]

ومن المعاصرين كالفيلسوف الفرنسي البلغاري "تزفيتان تودوروف" (Tzvetan Todorov) من رأى أنّ الأدب في معناه المألوف هو جميع أشكال المعارف والأفكار الّتي أنتجها العقل البشري في صيرورته التّاريخيّة، وقد بلغتنا هذه المعارف غالبا في شكل نصوص مكتوبة أو في صورة شفويّة تناقلتها الذّاكرة الاجتماعيّة جيلا بعد جيل...

ومع ذلك يبقى توظيف هذه الكلمة (الأدب) واستخدامها المكثّف في جميع الحقول المعرفة الإنسانيّة ضبابيّا ويبعث فينا إحساسا بغموضها إلى حدّ ما، "**إذ يسعنا في البداية أن نعثر لهذا الشكّ (في مشروعيّة مفهوم الأدب) على علل ويُمكننا بقليل هذا الشكّ بأسباب تجريبيّة. فلم نكتب بعد تاريخ هذه الكلمة كاملا، ولا معادلاتها في مختلف اللّغات وفي العصور المختلفة**"[٤١] فهي حديثة العهد في اللّغات الأوروبيّة ولا تكاد تتجاوز القرن الثّامن عشر، ناهيك بالكثير من اللّغات الإفريقيّة الّتي لا تعرف من تعبير نوعي يعني الإنتاجات الأدبيّة...

بيد أنّ المتتبّع لتاريخ الكلمة في بيئتها العربية، يُلاحظ أنّ العرب قبل الإسلام قد استعملوا لفظة "الأدب" بمعنى "**الخطّة الأخلاقيّة**" على حدّ تعبير حنّا الفاخوري، قال أعشى ميمون "**جروا على أدب منّي بلا نزق**"، واستعملوها أيضا بمعنى التّعليم، وحافظت الكلمة على هذا المعنى حتّى مجيء الإسلام وظلّت كذلك إلى أواخر العهد الأموي. ولمّا استفرد العبّاسيّون بالحكم ودانت لهم العرب والعجم على حدّ سواء ودخلت البلاد الإسلاميّة في مرحلة الرّخاء الاقتصادي والازدهار العلمي، امتدّ معنى الأدب إلى مجموع المعارف البشريّة تارة، وإلى المنهج الّذي يجب اتّباعه في فنّ من الفنون تارة ثانية، فقالوا "أدب الكاتب"، و"أدب المجالسة"..

قال "كارلو نالّينو": "**لا غرو أنّ لفظ الأدب عندهم (أي العرب) أخذ يعدل عن معنى محض الأخلاق المحمودة، الحاصلة من حسن تربية النّفوس، حتّى صار عبارة عن كلّ ما وجب مُراعاته ومعرفته والتحلّي به على من أراد مجالسة اللّطفاء والوجهاء، وتعمّد جميع أنواع التظرّف في أعماله وأفكاره وحديثه..**".[٤٢]

خلاصة القول، الأدب عند أهل بغداد منذ بداية القرن الثّالث للهجرة (٩م) "**إظهار الأخلاق المرضية للجلساء، والظّرف والأناقة في اللّباس والطّعام والشّراب وسائر أحوال الحياة، والأنس والفصاحة وعذوبة الكلام، ثمّ حفظ الأبيات والنّكت مع أخذ شيء من كلّ علم لتوشية**

الحديث بـه"،[٤٣] وقد ميّزوا بين الأديب والعالم فجعلوا "**الأديب من يأخذ من كلّ شيء أحسنه فيألفه، والعالم من يقصد لفنّ من العلم فيَعْتَلِمَهُ**"،[٤٤] ثمّ فرّعوا من تلك المعاني معنى خاصّا كان الأدب فيه جملة الفنون الكتابيّة المستظرفة، والأديب كلّ من أحسن العربية وتعاطى صناعتي النّظم والنّثر ببلاغة.

وأمّا في عهد النّهضة الأوروبيّة في القرن الخامس عشر للميلاد، فقد اشترك العرب مع الغرب في تحديد معنى الأدب حيث قسّموه لعام وخاصّ، فأمّا المعنى العام فهو عبارة عن جملة ما أنشأته أقلام العلماء والكتّاب والشّعراء، وأمّا المعنى الخاصّ فهو "**عبارة عن سبك في قالب ظريف، وصيغ على نمط الإنشاء الأنيق من الكلام المنظوم والمنثور**".[٤٥]

ويتألّف الأدب في شكله الأوّل من نوعين "**الشّعر والنّثر**"،[٤٦] ويأتي الشّعر على ثلاثة أنواع، حيث "**درج النقّاد الغربيّون الأُصَلاء على تصنيف العمل الشّعري لثلاثة أنواع كبرى باعتبار موضوع الشّعر وصورة بنائه**"،[٤٧] وللنّثر كذلك أنواع، فمنه النّثر المرسل "**وهو النّثر بالمعنى التّام**"[٤٨] ومنه "**النّثر المتوازن وهو شقيق السّجع**" ومنه السّجع "**والمرجّح أنّه الشّعر يتدرّج نحو النّثر وقد بدأ بالانعتاق من ربقة الوزن**".[٤٩] فيما يُقسّم هدسون (Hedson) الأدب إلى أربعة عناصر أساسيّة:

"**هنالك أوّلا العناصر الّتي تقدّمها الحياة ذاتها، وهي بمثابة المادّة الأولى لكلّ عمل أدبي سواء كان قصيدة أم مقالة أم مسرحيّة أم قصّة. ثمّ هنالك العناصر الّتي يُضيفها المؤلّف عندما ينقل تلك المادّة الأولى إلى أحد أنواع الفنّ الأدبي، وتقسّم تلك العناصر بدورها إلى أربعة أقسام: العنصر العقلي، أي الأفكار الّتي يأتي بها الكاتب لبناء الموضوع والّتي يعمل على التّعبير عنها في عمله الفنّي، ثمّ العنصر العاطفي أي الشّعور الّذي يُثيره الموضوع في نفسه، والّذي يُحاول أن يُثيره في نفس القارئ، ثمّ العنصر الخيالي أي القدرة على النّظر إلى الأشياء نظرا قويّا وعميقا، بحيث تتمثّل له الأشياء في صور وظلال، وبحيث يُصبح القارئ ذا مقدرة على ذلك النّظر الممثل والمصوّر...وهذا العنصر الرّابع هو العنصر الفنّي، أي عنصر التّأليف والأسلوب**".[٥٠]

وفي هذا الإطار العامّ يتنزّل الأدب التّونسي المعاصر بوصفه حلقة من حلقات الأدب الإنساني، يُساهم في اثراءه وتطويره ويُضيف إليه خصوصيّة قد لا يقدر عليها إلّا من تشبّع بالتّراث العربي وتفتّح على الإبداع الكوني مستفيدا منه ومتجاوزا لحدوده ومقوّماته على حدّ تعبير الأستاذ محمود طرشونة.

ولعلّ من أبرز المؤشّرات الدّالة على اشعاع الأدب التّونسي ونجاحه في استقطاب القرّاء من كافّة أنحاء العالم ما عثرنا عليه في المؤلّفات الإسبانيّة المهتمّة بالأدب التّونسي. فقد نشر الباحث الاسباني مرتينث منتابث" (Martinez Montavez) مقالا في "الكرّاسات التّونسيّة" بعنوان "**مظاهر الموضوعات التّونسيّة في الفكر والأدب الاسبانيّين المعاصرين**" وصف فيه مشاهدات "كوديرا زيدين" (Codera zaydin) وبونس بويجس (Pons Bolgues) صورا من

الحماية الفرنسيّة لتونس في مطلع القرن العشرين في نصوص ذات صبغة جغرافيّة سياسيّة. كما أطنب "مرتينث منتابث" في تحليل نصوص أدبية لبعض القصّاصين الاسبان الّذين استوحوا بعض الصّور من البيئة التّونسيّة في الرّبع الأوّل من القرن الماضي. [٥١]

ونشأ الأدب التّونسي نتيجة **لجملة من التحوّلات السياسيّة والفكريّة والاقتصاديّة الّتي كان لها الأثر الكبير على مسار الخطاب الشّعري والإبداعي عموما،** حيث شهدت البلاد التّونسيّة خلال النّصف الثّاني من القرن التّاسع عشر بوادر نهضة فكريّة شاملة عمّت جوانب عديدة من الحركة الإصلاحيّة الّتي سعى التّونسيّون آنذاك لإرسائها والسّير على منوالها للنّهوض بالبلاد واللّحاق بمصافّ الدّول المتقدّمة. ففي سنة ١٨٦٠ تم إنشاء مدرسة باردو العسكريّة الّتي كان لها الدّور البارز في تكوين نخبة من الضبّاط التّونسيين أثّروا بشكل واضح على الحياة الفكريّة لمّا اقتحموا عالم الكتب وقاموا بترجمة العديد من الكتب العسكريّة،[٥٢] ثمّ تعزّزت هذه المدرسة بالمعهد الصّادقي الّذي أنشأ عام ١٨٧٦، وكان لخرّيجيه وأساتذته الأثر البارز كذلك في تكوين الإطارات الفنيّة والإداريّة للدّولة،[٥٣] هذا بالإضافة إلى جامع الزّيتونة المعمور الّذي كان من أعرق المعالم العلميّة في بلاد المغرب الإسلامي ومعقلا من معاقل العروبة والإسلام في الرّبوع الإفريقيّة.

ولم تلبث هذه النّهضة التّعليميّة أن استكملت مقوّماتها بإنشاء المدرسة الخلدونيّة سنة ١٨٩٦ وقد كانت مشروعا ثقافيّا حضاريّا تظافرت على إنجازه ورعايته وإدارته ثلّة من الوطنيين التّونسيين،[٥٤] بهدف إحداث ضرب من التّوازن بين مختلف المناهج التّعليميّة الموجّهة من طرف السّلطة الاستعماريّة والّتي كانت تسهر على تسييرها لغايات معلومة، وبين المناهج التّعليميّة التّقليديّة الّتي كانت سائدة في جامع الزّيتونة ولم تُفلح الجهود إلى حدّ ما لإدخال تغييرات جوهريّة عليها لعدّة أسباب لا يسعنا المقام هنا للخوض فيها.

كما تزامن ذلك مع إنشاء المطبعة الرّسميّة وصدور جريدة الرّائد التّونسي سنة ١٨٦٠ ونشر العديد من المؤلّفات واستقدام الكثير من أصحاب القلم العرب كأحمد فارس الشّدياق ومنصور كرلينتي، وحمزة فتح الله للاستفادة من خبرتهم في إدارة جريدة الرّائد التّونسي وتسيير شؤونها على النّحو الّذي يعود بالمنفعة على المثقّفين والكتّاب آنذاك، فضلا عن دعم جهود الأدباء الّذين أشرفوا على الجريدة مثل محمود قابادو، ومحمّد بيرم الخامس، ومحمّد السّنوسي،[٥٥] حتّى بلغت النّهضة الفكريّة أوج عطائها في فترة حكم خير الدّين باشا (١٨٧٣-١٨٧٧) بنشر العديد من الكتب والمقالات والقصائد والدّراسات إلى جانب إعادة طبع بعض المصادر التّاريخيّة القديمة مثل كتاب "الحلل السّندسيّة" لابن السرّاج الأندلسي وكتاب خير الدّين التّونسي "أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك" وغيرهم..

وعلى هذا النّحو تواترت الأحداث وتتالت الإنجازات، وازداد شغف التّونسيين بالكتابة والإبداع لمواجهة الاضطرابات السياسيّة الّتي شهدتها البلاد في عهد محمّد الصّادق باي بعد انتصاب لجنة الكوميسيون المالي الّتي كانت تمثّل الدّول الأجنبيّة الدّائنة للخزينة التّونسيّة،

وما انجرّ عنها من تفشّي المجاعات واثقال كاهل الشّعب بالضّرائب، إضافة إلى الضّغط الّذي كانت تمارسه فرنسا منذ احتلالها للجزائر تمهيدا لفرض حمايتها على تونس تلك الّتي تمّت في سنة ١٨٨١,[٥٦]

وقد أتاحت جريدة "الرّائد التّونسي" في هذه الظّروف الصّعبة المجال أمام عدد كبير من الأدباء التّونسيين للكتابة والنّشر وحثّهم على المقاومة بالقلم والكلمة خصوصا مع انفتاحها على جميع الاختصاصات من كافّة حقول المعرفة: الحضارة والتّاريخ والجغرافيا والطبّ واللّغة والأدب والفنون والتّعليم والتّربية...واحتفظت لنا هذه الجريدة بأسماء العديد من الشّعراء التّونسيين الّذين برزوا خلال هذه الفترة بلغ عددهم نحو خمسين شاعرا من كافّة أنحاء الوطن نشروا أعمالهم على صفحات "الرّائد التّونسي" ومنهم: محمود قابادو، ومحمّد التطاويني، ومحمّد بن عثمان الحشايشي، وعلي الشوّاشي، وأحمد كريم، والباجي المسعودي، ومحمّد البارودي، ومحمّد الطّاهر بن عاشور، ومحمّد الصّادق ثابت والمكّي بن عزّوز..

ومن الكتّاب محمّد بيرم الخامس، ومحمّد السّنوسي، ومحمّد بن الخوجة.. الّذين حافظوا على جذوة حماسهم للكتابة والتّأليف رغم جميع المثبّطات القائمة في تلك والفترة ونقلوها إلى الجيل الّذي مثّلته جماعة جريدة "الحاضرة" وقد تأسّست سنة ١٨٨٨ فكانت أوّل جريدة وطنيّة مستقلّة تولّى تحريرها ثلّة من رجال الإصلاح بدافع الحماس والوطنيّة.

وعلى الرّغم من أنّ هدف الجريدة الأساسي كان معالجة القضايا السياسيّة والموضوعات المتّصلة بالحياة الوطنيّة، إلّا أنّها خصّصت جانبا من أعمدتها لنشر العديد من المقالات والرّحلات والقصائد الشّعريّة، وفسحت المجال رحيبا لنشر قصائد مختلفة لشعراء مثل أحمد بن أبي الضياف، والمكّي بن عزّوز، وعبد العزيز المسعودي، ومحمّد الأمين بوعلاّق وغيرهم...[٥٧] ويسجّل التّاريخ أنّ هذه الجريدة قد نشرت أوّل قصيدة عصريّة لصالح سويسي القيرواني (١٩٠٠) كان مضمونها الحماس الوطني وحثّ النّاس على النّهوض والدّعوة إلى الاستفاقة من السّبات السّياسي والغفلة، وإلى استقبال الحياة وتجديد العهد مع الحضارة، وهذا مطلعها:

أفيقوا يا بني الوطن المعلى

فقد طالت بكم سنة الرّقاد[٥٨]

صورة الشّاعر صالح سويسي القيرواني.

وقد مهّد هذا اللّون السّبيل للشّعر السّياسي والإجتماعي الّذي سيكون من فرسانه محمّد الشّاذلي خزندار " والّذي جمع في منظومه بين الوطنيّة والحسّ الدّيني ونزل بالشّعر إلى الجماهير يُلهب حماسها في شتّى المناسبات، فيقول مثلا في إحدى ردوده على سياسة التّجنيس الّتي اتّبعها المستعمر الفرنسي:

لست المبدّل جنسي

كلاّ ولا أتردّد

إن كـــان يـــرضـــى الـفـرنـســي

فـلـيـس يـــرضـــى مـحـمّـد[٥٩]

ويستمرّ الشّاذلي خزندار بنفسه القويّ في مواكبة الأحداث الوطنيّة والدّفاع عن عروبة تونس وإسلامها، فيستحقّ بغزارة شعره وحرارة معانيه لقب "أمير الشّعراء" أو "هزار الخضراء" كمّا سمّاه محمّد الفائز القيرواني،[٦٠] إلاّ أنّ اللّون الإجتماعي سيتطوّر مع الطّاهر الحدّاد الّذي أقحم المضامين الإصلاحيّة العمّاليّة وأضاف بذلك للشّعر الوطني بُعدا جديدا لم يُعرف قبله:

أتونس عندي في هواك تُولـــــــــع

وأنت منّي نفس عليك تقطـــــــــع

ظللت تعانين الحيـــــاة مريرة

تزيد بك البلوى وقومك هجـــــع

أضاعوك واستخذوا لسلطة معشـــــر

لنزف دمـاء الواهنين تجمّـــعوا[٦١]

صورة الشّاعر الشّاذلي خزندار.

ويفسّر الشّيخ ابن عاشور الظّروف الّتي ظهر فيها هذا اللّون الجديد من الشّعر ومصدر تسميته بالعصري فيقول **"ابتدأت الصّحافة الشّرقيّة تطلق هذا اللّقب على الشّعر الإجتماعي والحكمي، لا سيما الّـذي يُقصد به التّذكير بالمجد، والتّوجيه إلى مسالك النّهضة والتحرّر والتجرّد، وبدأ الأدباء والمفكّرون يمنحون ذلك النّحو في الأدب عنايتهم وإعجابهم، ويتطلّعون إلى مجاراة شعراء الشّرق في تلك السّبيل، حتّى كان الشّيخ محمّد النّخلي هو الّذي فتح لهم بسموّ همّته وطول باعه بقصيدة تجاوزت ثمانين بيتا نشرتها جريدة الحاضرة"**،[٦٢] وهذا مطلعها:

لم يبد أبدع مما كان إنســـــــان

بمـــا فـاءاه أزمـان وأمكـــــان

تجلو الحوادث آيات العجائب فـــــي

كلّ البقاع بما تبديه أذهـــــان

وصرح إيفل في باريس آيتـــــــه

قد فاق منها على الآثار تبيـــان[٦٣]

ثـمّ سـارت على منوالها عديد الصّحف والـمـجلاّت الّتي صـدرت خلال مطلع القرن واقتبست تسمية منها "الشّعر العصري" والّتي أصبحت عنوانا للتقدّم والتطوّر والثّورة على التّقاليد المتوارثة وشعارا من شعارات رجال الإصلاح ولا غرو في ذلك طبعا طالما أنّ الشّعر العصري في نظر الكثيرين آنـذاك جاء لحفز الهمم على اكتساب المعارف والعلوم ورفض التخلّف وحالة الانحطاط الأخلاقي والفكري الّتي كان يعيشها الشّعب آنذاك.

كما تميّزت الفترة المتراوحة بين ١٨٦٠ تاريخ ظهور الطّباعة والصّحافة بالبلاد التّونسيّة وبين سنة ١٩١١ تاريخ أحداث الزلاّج بوفرة الإنتاج الأدبي أساسا الشّعراء وصدور الكثير من المؤلّفات وظهور أوّل أقصوصة تونسيّة

تحت عنوان "اللّيلة الأخيرة بغرناطة" وأوّل رواية وهي "الهيفاء وسراج اللّيل" وأوّل نصّ مسرحي وهو "السّلطان بين جدران يلدز".. فهي مرحلة التّأسيس والتّأصيل والتّجذّر لهذه الأنماط الأدبيّة، وكذلك في روح المغامرة الّتي تحلّى بها العديد من كتّاب هذه المرحلة على حدّ تعبير الأستاذ محمّد صالح الجابري و"**الّذين وضعوا اللّبنات الأولى لتاريخ الأدب التّونسي**"[٦٤] ومهّدوا الطّريق أمام الأجيال اللاّحقة حتّى يواصلوا مسيرتهم على هذا الدّرب وأوّلهم الشّيخ محمّد الخضر حسين مؤسّس مجلّة السّعادة العُظمى سنة ١٩٠٤.

صورة الشّيخ محمّد الخضر حسين.

أولى الشّيخ محمّد الخضر حسين أهميّة كبرى للّغة والآداب كفرع من علوم الدّين وسعى بنفسه خلال فترة ما بين الحربين إلى تجاوز الأغراض الشّعريّة القديمة وقام بنشر قصائده الدّاعية إلى الإصلاح والأخذ بأسباب القوّة والتقدّم تحت عنوان "الشّعر العصري" وفتح أعمدة المجلّة للنّاقد التّونسي الشّهير عبد العزيز المسعودي ليُعالج قضايا الشّعر بأسلوب متطوّر ورؤية متجدّدة بعيدا عن كلّ أشكال التعصّب والتّقليد، وبعيدا عن مخاض الحركات الشبابيّة الإصلاحيّة الّتي نشطت بكثافة خلال الفترة السّابقة للحرب العالميّة الأولى ليُعلن عن بداية عهد جديد بانتهاء الحرب الأولى وتغيّر المفاهيم المعتادة بتصريح الرّئيس الأمريكي "ولسن" عن حقّ الشّعوب في اختيار مصيرها بنفسها بعيدا عن ظلم المستعمرين، وتزامن ذلك مع سقوط الخلافة العثمانيّة (١٩٢٤) واستعرت جذوة الوطنيّة الّتي كان قيام الحزب الحرّ الدّستوري سنة ١٩٢٠ من أبرز مظاهرها...

وستشهد العشرينات ظهور عدد متزايد من المجلاّت الّتي ستستقطب التيّارات الموجودة وتطبع هذه الفترة بخصوبة لم تعرفها الحياة الأدبيّة من قبل، فنشرت باكورات أقلام شابّة سيكون لها شأن فيما بعد مثل "محمّد الشّاذلي خزندار" و"مصطفى آغة" و"سعيد أبي بكر" و"زين العابدين السّنوسي" الّذي كان له دور بارز في تنشيط السّاحة الثقافيّة والأدبيّة بفضل مطبعته الخاصّة "مطبعة العرب" ومجلّته الّتي عُدّت ذاكرة هذه الفترة من تاريخ البلاد ألا وهي مجلّة "العالم الأدبي" (١٩٣٠-١٩٣٦)، سيما وأنّها سيّدة المجلاّت وحاملة مشعل النّهضة الأدبيّة في تونس ما بين الحربين.

صورة الصّحفي والمصلح والأديب زين العابدين السّنوسي.

ولا يفوتنا المقام هنا طبعا دون التّعريج

على علم من أشهر أعلام الشّعر التّونسي في تلك الحقبة، وهو شـابّ مرهف الحسّ حسن الـذّوق عميق الوعي بقضايا الانسان الكبرى كالحريّة والصّمود في وجه من سمّاهم "طغاة العالم"، غذّت قريحته وعمّقت إحساسه صور الواحات الخصبة في الجنوب التّونسي، وغابات الصّنوبر والفلّين الممتدّة في الشّمال، وشدائد صقلت موهبته الشّعريّة وروافد تراثيّة ورومنسيّة حرّكت شاعريته وثقفت انشائيته ودفعته دفعا نحو التّعبير عن أعماق الذّات البشرية في تفاعلها مع الطّبيعة والآخر.. إنّه أبو القاسم الشّابي الّذي تجاوز ابداعه حدود الذّات والوطن وغاص في باطن النّفس وعميق الوجدان يناجي الله تعالى مستأنسا بضوء النّجوم وفساحة الكون في حالات شعريّة متقلّبة بين الأمل والقنوط والنّشوة العارمة والحزن والشّجن،

صورة الشّاعر أبو القاسم الشّابي

نشأ الشّابي وترعرع في عصر هبّت فيه ريح النّهضة والإصلاح في المشرق العربي، ووفدت فيه على تونس روائع الأدب الرّومنسي ونتاج الأدب المهجري السّاعي إلى تجديد القوالب الشّعريّة الكلاسيكيّة وتنويع مصادر الالهام، فانصهرت كلّ تلك الرّوافد في فؤاد الشّاعر المترقي إلى مقام الرّوح في الشّهود ثمّ انعكست في إبداعه الشّعري فأفرزت لنا ديوانا يزخر بالمعاني السامية والعواطف الجيّاشة والمشاعر الجامحة الّتي تقف دليلا على حالة الحيرة الّتي انتابت الشّباب التونسي آنذاك بسبب ما تعيشه البلاد.

لقد فجّر أبو القاسم الشّابي الحبّ في فؤاده أكوانا وشموسا ونجوما وربيعا ورياضا وطيورا وفي صدره قصورا وغيوما و"حياة شعريّة" هي في نظره "حياة أهل الخلود" على حدّ تعبير الأستاذ محمود طرشونة كما يقول في قصيدة "هيكل الحبّ". وإنّه لمن النّادر أن نجد شاعرا أراد الحياة كما أرادها أبو القاسم وغنّى لها كما غنّى فكان دوما يرفض بقوّة حياة الخذلان والهوان الّتي يفرضها الاستعمار على شعبه ويصيح فيه بأعلى صوته:

ومـن لـم يُـعـانـقـه شـوق الـحـيـاة
تـبـحّـر فـي جـوّهـا وانـدثـر
فـويـل لـمـن لـم تـشُـقـه الـحـيـاة
مـن صـفـعـة الـعـدم الـمـنـتـصـر
كـذلـك قـالـت لـي الـكـائـنـات
وحـدّثـنـي روحـهـا الـمـسـتـتـر.[٦٥]

وازداد هذا الشّوق رسوخا في نفسه في "نشيد الجبّار" في أبيات صارت من الحكم المتداولة بين النّاس لشدّة ما فيها من صدق اللّهجة وقوّة العزيمة والتّعبير:

سَـأعـيـشُ رَغْـمَ الـدَّاءِ والأَعـداءِ
كـالـنَّـسْـر فـوقَ الـقِـمَّـةِ الـشَّـمَّـاءِ
أرْنُـو إلى الشَّمْسِ المُضِيئةِ هازِئاً
بـالـسُّـحْـبِ والأَمـطـارِ والأَنـواءِ

لا أرْمــقُ الـظِّـلَّ الكئيبَ ولا أرَى
مَــا فــي قَــرارِ الــهُــوَّةِ الــسَّــوداءِ
وأَسـيـرُ فـي دُنـيـا المَشَاعرِ حالِماً
غَــرِداً وتـلـكَ سَـعـادةُ الـشـعَـراءِ.

وأمّا بخصوص القصّة، فقد شارك صاحب "العالم الأدبـي" بنفسه في خروج القصّة من اللّون الأدبي ومن إطار الحكاية وربطها بحياة النّاس وجعل لها ركنا أسماه "من قصص الحياة" فأصبحت القصّة عندها مرآة لذلك المجتمع. كما برزت أيضا في هذه الفترة أسماء أخرى في النّقد الأدبي مثل "حسن حسني عبد الوهّاب" الّذي فتح بابا في مجلّة "الفجر" سمّاه "ديوان الأدب التّونسي" خصّصه للأدباء التّونسيين منذ الفتح الإسلامـي وقد بادر "سعيد أبو بكر" بتطوير الكتابة الشّعريّة شكلا ومضمونا إضافة إلى "محمّد الحليوي" الّذي ستثبت كفاءته على امتداد السّنين وارتبط اسمه بالشّابي إلى ما بعد وفاته.[٦٦]

النّاقد الأدبي حسن حسني عبد الوهّاب.

الشّاعر سعيد أبو بكر.

الشّاعر محمّد الحليوي.

وأمّا فيما يتعلّق بالقصّة التّونسيّة فقد سارت بخطى ثابتة منذ أن نشر صالح السّويسي "الهيفاء وسراج اللّيل" بمجلّة (خير الدّين) وكان غرس "العالم الأدبي" طيّبا إلاّ أنّ الكتابة القصصيّة بقيت في الجملة تقليدا لكتّاب المشرق واستلهاما للأدب الغربي، وكان لدخول "محمود بيرم" تونس وتأسيسه مجلّة "الشّباب" الدّور الكبير في تطوير القصّة والأثر الشّديد على أسلوب "علي الدّوعاجي" إذ أحكم كلاهما علاقة القصّة بالمجتمع والحياة وخرجا من دروب التصنّع والتّقليد، حتّى صارت الكتابة عند الدّوعاجي وظيفة اجتماعيّة سواء في "نزهة رائقة" والّتي جمعت بين الفكاهة والنّقد، أو في "أمن تذكر جيران بذي سلم" الّتي تصف شخصيّة المؤدّب المحتال وعادات النّاس في المناسبات الدّينيّة، أو في "سهرت منه اللّيالي" الّتي أعطت اسمها لمجموعة الدّوعاجي...

الشّاعر محمّد بيرم التّونسي.
الكاتب علي الدّوعاجي.

كما سطع نجم القصّة التّونسيّة في مجلّة "المباحث" محمود المسعدي الّذي تولّى رئاسة المجلّة بعد وفاة محمّد البشروش ومثّل في نظر البعض صورة الرّجل المثقّف الّذي نهل من الثّقافة الغربيّة لدى تخرّجه من جامعة السّوربون الفرنسيّة وحاول الجمع بين الثّقافتين الأجنبيّة والمحليّة. وظهر في الأثناء شاعران شابّان أحدهما كان متأثّرا بالشّاعر الفرنسي بودلير (Beaudlaire) وهو "الصّادق مازيغ" الّذي يقول في إحدى قصائده:

ولا ترهبنّ طيف الحمام فإنّه

بشير بفكّ الأسر من ربقة تدمي

ومهد الصّفا ترب تقادم جوهرا

وضمن فصل القول في الصّوغ والحطم[٦٧]

فيما يميل الثّاني إلى الشّعر الوجداني وإن غلبت عليه الأغراض الوطنيّة في قصائده الأخيرة وهو "محمّد زيد" من شعراء "المباحث" حيث يقول:

أنا ذاك الغريب أنكره القوم

فولّى عنهم بحظّ الأديب

آه يا تونس الحبيبة ما أهلك

بالرّافعين من مغصوب

أبدا ولا أبناؤك الخلّص

غير الأسى وغير النّحيب[٦٨]

وهكذا انتهت الفترة ما بين الحربين على أفول نجم وصعود نجم آخر، وكبقيّة الحقول المعرفة الأخرى ظلّ الأدب التّونسي يعكس ويستجيب لمطالب الشّعب التّونسي ولطموحاته وهواجسه وآلامه حتّى إذا مرّت الحرب العالميّة الثّانية وجمّدت الحركة الأدبيّة لسنوات (١٩٣٩-١٩٤٥) عاد النّشاط مجدّدا بصدور مجلّة "الثريّا" في ديسمبر ١٩٤٣ واستئناف كلّ من "المجلّة الزّيتونيّة" و"المباحث" لنشاطهما المعهود واهتمّت الصّحافة على وجه الخصوص بالمقال الأدبي والسّياسي مستجيبة بذلك لتيّار الشّعور الوطني الّذي وجد في الإصلاح الزّيتوني سنة ١٩٤٦ وتكوين الاتّحاد العام التّونسي للشّغل جانفي ١٩٤٦ وإحداث البكالوريا العربية (١٩٤٦-١٩٤٧) بعض مظاهره الفكريّة الثقافيّة وكان ذلك تمهيدا لإرسال البعثات العلميّة للمشرق. وساعدت كلّ هذه العوامل على ربط البلاد التّونسيّة بانتمائها العربي الإسلامي، **"وكان لعودة الصّحافة والإذاعة إلى نشاطهما كبير الأثر في تنشيط الحركة الثقافيّة باعتبارهما أهمّ عاملي تبليغ تلك الفترة".**[٦٩]

وعلى هذا النّسق سار الأدب التّونسي بين أخذ وعطاء ورفض واستجابة واتّصال وانفصال وتواصل العطاء من ثمانينات القرن الماضي ومواجهة المستعمر مرورا بالاستقلال ومرحلة بناء الدّولة الحديثة، فلم يكن أمرا حادثا أو مسقطا أو هو مجرّد تجربة عابرة في تاريخ البلاد وإنّما هو فكر منقدح من المجتمع التّونسي نفسه، كتابات حملت بين أسطرها هموم شعب وهواجس فئة مثقّفة تسعى بقوّة لانتشال بلادها من مستنقع الفقر والرّذيلة والانحطاط، لتلج به عوالم المعرفة والتقدّم والرقيّ، ولن يكون ذلك متاحا إلاّ بالتّظافر والاتّحاد لمواجهة كلّ التحدّيات وعلى رأسها المستعمر الفرنسي الّذي أرسى قواعده ونشر جنوده وأغلق وحطّم وحرق واغتال ودمّر

وسعى جاهدا لقطع كلّ سبل النّضال.

لذلك أصبح من الضروري في نظر الأدباء تكثيف الجهود وتنويع أساليب المواجهة حتّى يعجز المستعمر عن الإحاطة بكلّ المحاولات خصوصا وأنّ للكلمة تأثير يعادل تأثير الرّصاص بل ويفوقه في كثير من الأحيان. ففي مرحلة الستّينات من هذا القرن غلب الأسلوب الرّومانسي على جلّ الإنتاجات الأدبيّة إضافة إلى الأسلوب الكلاسيكي الغالب على مبنى القصائد الّتي كانت في مُعظمها صدى لتجربة الروّاد في مشرق الوطن العربي.

وقد تناولت قضايا وطنيّة واجتماعيّة لذلك ظلّت رؤيتها وجدانيّة مفعمة بعاطفة جيّاشة تتوق للانعتاق والتحرّر في جانب منها خصوصا مع نشوب ثورة الجزائر (١٩٥٤-١٩٦٢) وثورة العراق في نوفمبر ١٩٥٨، ووحدة مصر وسورية في ١٩٥٨، ولكنّها لم تخل من نزعة واقعيّة واضحة كرّسها بعض الشّعراء التّونسيّين ومنهم محمّد صالح الجابري ومحّي الدّين خريف بالإضافة إلى الميداني بن صالح وعلي شلفوح والطيّب الرّياحي الّذين عبّروا عن معاناة الجماهير في تونس وفي الوطن العربي عموما من جرّاء هزيمة الجيوش العربية ضدّ العدوّ الصّهيوني أو ما بات يُعرف بنكسة ١٩٦٧، وحاولوا الرّفع من معنويات الشّعب العربي وتجاوز هذه النّكسة والسّعي قدما نحو ردّ الاعتبار.

الخاتمة:

هكذا كانت الفترة المتراوحة بين منتصف القرن التّاسع عشر ومطلع القرن العشرين إلى يومنا هذا زاخرة بالأحداث السياسيّة والاجتماعيّة وبضروب النّشاط الفكري والأدبي بمختلف أنواعه، ولعلّ أهمّ ما يُميّز هذه المرحلة ظهور حركة النّشر والطّباعة وإنشاء أوّل مطبعة وأوّل جريدة الأمر في أوّل المسار، وكان ذلك إيذانا ببداية مرحلة ثريّة وهامّة من تاريخ بلادنا ساعدت على ظهور العديد من الكتب وصدور الكثير من المؤلّفات والصّحف الوطنيّة الّتي كان لها دور مؤثّر في دفع عجلة المقاومة الفكريّة والإصلاح السّياسي والاجتماعي آنذاك، ثمّ في الارتقاء بالوعي الوطني وتكريس الانتماء التّونسي للعالم العربي الإسلامي.

فكان الإنتاج الأدبي سلاحا فعّالا يتوهّج تارة ويخفت تارة أخرى ويتغيّر من حقبة زمنيّة لأخرى حسب التحدّيات الّتي يواجهها والقضايا الّتي يُعالجها.. وتنوّعت الأجناس والأغراض من الكلام المنظوم إلى الكلام المنثور إلى القصّة والأقصوصة والرّواية وأدب المسرح والأدب الشّعبي وأدب المهجر والأدب النّاطق باللّغة الفرنسيّة، وتظافرت جميعها لتصوغ لنا تصوّرا واضحا عن أهميّة الأدب التّونسي كتراث يستمرّ عبر بنية المتخيّل والذّاكرة الثقافيّة.

الهوامش

(١) باحث في التّراث الإسلامي من تونس.

(٢) محمّد عابد الجابري، نحن والتّراث: قراءات معاصرة في تراثنا الفلسفي، المركز الثّقافي العربي، ط٦، ١٩٩٣، ص ٣٢.

(٣) ابن منظور (أبو الفضل جمال الدّين محمّد بن مكرم)، لسان العرب المحيط، دار صادر، بيروت، ط ١، ١٩٩٨، ص ٢٠٠. ٢٠١.

(٤) ابن منظور، **لسان اللّسان، تهذيب لسان العرب**، هذبه بعناية: المكتب الثقافي لتحقيق الكتب، تحت إشراف الأستاذ عبد أحمد علي مهنا، الجزء الثاني، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، ط١ سنة ١٩٩٣، ص ٧٢٨-٧٢٩.

(٥) الفراهيدي (الخليل ابن أحمد)، **معجم العين**، تحقيق مهدي المخزومي وابراهيم السّامرّائي، مكتبة لبنان بيروت، ج١، ص ٤٣.

(٦) محمّد علي الصّابوني، **مختصر تفسير أبن كثير**، دار القرآن الكريم، بيروت، لبنان، ط٧، ١٩٨١، المجلد الثالث، ص٦٣٨.

(٧) الرّاغب الأصفهاني، **المفردات في غريب القرآن**، ماذة (وَرَثَ)، ص ٥١٨.

(٨) أنظر لسان العرب لابن منظور، مادّة وَرَثَ.

(٩) الرّاغب الأصفهاني، **المفردات في غريب القرآن**، ماذة (وَرَثَ)، ص ٥١٩.

(١٠) لويس معلوف، **المنجد في اللّغة العربية المعاصرة**، المطبعة الكاثوليكيّة، بيروت، ط ١٩، ص٨٩٥.

(١١) الزّمخشري (جاد الله أبي القاسم محمود بن عمر)، **أساس البلاغة**، تحقيق د. محمّد نبيل طريفي، دار صادر بيروت، ط١ ٢٠٠٩، ص ٤٩٥.

(١٢) محمّد عابد الجابري، التّراث ومشكل المنهج، المنهجيّة في الأدب والعلوم الإنسانيّة، دار توبقال للنّشر، الدّار البيضاء، ط١ ١٩٨٦، ص ٧٢-٧٣.

(١٣) ابن رشد، **فصل المقال فيما بين الحكمة والشّريعة من الإتّصال**، تحقيق محمّد عمارة، ط٣ دار المعارف، القاهرة، ١٩٩٩.

(١٤) محمّد عابد الجابري، **التّراث والحداثة: دراسات ومناقشات**، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط٤، ١٩٩١، ص ٢١.

(١٥) الجابري، **التّراث والحداثة**، نفسه، ص ٢١/ امبارك حمدي، **التّراث وإشكاليّة القطيعة في الفكر اللحداثي المغاربي: بحث في مواقف المفكّرين المغاربة المعاصرين من التّراث: الجابري، أركون، العروي**، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت،٢٠١٧، ص ٧٦.

(١٦) الجابري، **مدخل إلى القرآن الكريم**، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط٢،٢٠٠٧، ج١، ص ٢٦.

(١٧) "**لابدّ دائما من أن تكون التّفرقة واضحة بين التّراث وبين الميراث، وأن نكون قادرين على الوضوح الكامل إزاء فهم كلمات (القديم والماضي والتّراث) وعلاقتها بذلك الموروث الإسلامي الأصيل**". أنور الجندي، **معلمة الإسلام**، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٢، ١٩٨٢، ج٢، ص ١٢٣.

(١٨) عبد العزيز بن عثمان التّويجري، **التّراث والهويّة**، منشورات المنظّمة الإسلاميّة للتّربية والعلوم والثّقافة – إيسيسكو – ٢٠١١.

(١٩) لم تكن كلمة "تراث" إلى حين الحملة النّابليونيّة على مصر تعني إطلاقا ما تعنيه لنا اليوم، فمفهوم التّراث بل الوعي بوجود تراث بمعنى "ثقافة الأسلاف" قد رأى النّور هو نفسه عقب صدمة اللّقاء مع الغرب ومن جرّاء الاحتكاك بـ"ثقافة الآخر". جورج طرابيشي، **هرطقات عن الدّيمقراطيّة والعلمانيّة والحداثة والممانعة**، دار السّاقي بالاشتراك مع رابطة العقلانيين، بيروت، ٢٠٠٦، ص ٩٦.

(٢٠) طيب تيزيني، **من التّراث إلى الثّورة**، دار بن خلدون، دمشق، دار الجيل، ط٣، ١٩٧٩، ص ٤٩- ١٢٢.

(٢١) شوقي ضيف، **التّراث والشّعر واللّغة**، سلسلة مكتبة الدّراسات الأدبية، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٧، رقم ١٠٠.

(٢٢) محمّد عابد الجابري، **التّراث والحداثة، دراسات ومناقشات**، نفسه، ص ٣٥/ امبارك حمدي، **التّراث وإشكاليّة القطيعة في الفكر الحداثي المغاربي..** نفسه، ص١١٢.

(٢٣) الجابري، **التّراث ومشكل المنهج، المنهجيّة في الأدب والعلوم الإنسانيّة**، نفسه، ص ٣٠.

(٢٤) حسين مروّة، **النّزعات المادية في الفلسفة العربية**

daient néanmoins écarter d'autres expressions jugées trop restrictives dans leur contenu, ou limitées au seul contexte français : " Monuments historiques ", notamment. À la fin des années 1970, il était entendu qu'en adoptant le mot " patrimoine ", on insistait sur la dimension collective de l'héritage : on parla progressivement de " patrimoine européen ", puis de " patrimoine mondial" pour désigner des monuments, des objets et des lieux .Universalis. Fr: Patrimoine: art et culture.

(31) .Universalis. Fr: Patrimoine: art et culture.

(32) Jean-Louis TORNATORE, *L'esprit de patrimoine*, Terrain. Revue d'ethnologie de l'Europe, 55, 5 septembre2010, p. 106127 - .

(٣٣) الجابري: نفسه، ص ٧٣– ٧٤.

(34) Valéry (P), Eupalions, ou L'Architecture, Gallimard, Paris, 1924, p 106.

(٣٥) محمّد عابد الجابري، **التّراث ومشكل المنهج**، نفسه، ص ٧٤.

(٣٦) محمود طرشونة، **مباحث في الأدب التّونسي المعاصر: دراسات نقديّة في مؤلّفات المسعدي والمدني والفارسي وخريّف**، المطابع الموحّدة، تونس، ١٩٨٩، ص ١٤.

(٣٧) أنظر حنّا الفاخوري، **الجامع في تاريخ الأدب العربي**، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٨٦، ص ١٣.

(٣٨) حنّا الفاخوري، **الجامع في تاريخ الأدب العربي**، نفسه، ص ١٣.

(٣٩) نفسه، ص ٣.

الإسلاميّة، دار الفرابي، بيروت، ط ٦، ١٩٨٨، ج١، ص ٤٨ – ٧٢.

(٢٥) محمّد أركون، **قضايا في نقد العقل الدّيني: كيف نفهم الإسلام اليوم؟** ترجمة هاشم صالح، دار الطّليعة، بيروت، ط٢، ٢٠٠٠، ص ٢٨٣.

(٢٦) جاء في تعريف اليونسكو للتّراث أنّه "**ميراث الماضي الّذي نتمتّع به في الحاضر وننقله إلى الأجيال القادمة**". عون الشريف قاسم، **معركة التّراث**، دار القلم، بيروت، ١٩٨٠، ص٦٧.

(27) le patrimoine comme étant " un bien, l'héritage commun d'une collectivité, d'un groupe humain. Il désigne un fonds destiné à la jouissance d'une communauté élargie aux dimensions planétaires et constitué par l'accumulation continue d'une diversité d'objets que rassemble leur commune appartenance au passé, oeuvres et chefs-d'oeuvre des beaux- arts et des arts appliqués, travaux et produits de tous les savoirs et savoir- faire des humains ". Françoise CHOAY, l'Allégorie du patrimoine, édition du seuil 1992,1996, 1999, nouvelle édition revue et corrigé (actualisée en 2007). p.9.

(28) Krzysztof POMIAN, "Musée et patrimoine"، *in Patrimoines en folie*, Paris, France, Éditions de la Maison des sciences de l'homme, 1990, p. 180.

(29) Issu du vocabulaire juridique, le mot " patrimoine " a été utilisé au début des années 1970 pour désigner les productions humaines à caractère artistique que le passé a laissées en héritage et on n'a pas fini d'explorer le contenu du terme dans son acception récente. Pour en limiter, en fait, l'emploi aux seuls beaux-arts, les utilisateurs enten-

(٤٠) الجرجاني (الفاضل العلاّمة علي بن محمّد الشّريف – ١٤١٣) ، **كتاب التّعريفات**، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٨٥، ص ١٤.

(٤١) حنّا الفاخوري، نفسه، ص ١٣.

(٤٢) تزفيتان تودوروف، **مفهوم الأدب ودراسات أخرى**، ترجمة عبود كاسوحة، منشورات وزارة الثقافة، الجمهوريّة العربية السّوريّة، دمشق ٢٠٠٢، ص ٥.

(٤٣) كارلو نالّينو، **تاريخ الآداب العربية من الجاهليّة حتّى عصر بني أميّة**، دار المعارف، مصر، ١٩٥٤، ص ٣٠.

(٤٤) نفسه، ص ٢٦.

(٤٥) ياقوت الحموي، **إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب**، تحقيق إحسان عبّاس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٩٩٣، ، ص ١٧.

(٤٦) كارلو نالّينو، نفسه، ص ٤١.

(٤٧) رئيف خوري، **الدّراسة الأدبية**، دار المكشوف، بيروت، ط ١٩٤٥، ص ٣١.

(٤٨) نفسه، ص ١٠٢.

(٤٩) نفسه، ص ١١٨.

(٥٠) محمّد العيّاري، **علاقة الأدب بالمجتمع: رئيف خوري نموذجا**، رسالة لنيل شهادة الكفاءة في البحث مرقونة في كليّة العلوم الإنسانيّة والاجتماعيّة بتونس، ١٩٨٩، ص ٤٩.

(٥١) هدسن، نفسه، ص ١٥–١٦.

(٥٢) لمزيد من المعلومات في هذا الشّأن يُمكن العودة إلى كتاب "**مباحث في الأدب التّونسي المعاصر: دراسات نقديّة في مؤلّفات المسعدي والمدني والفارسي وخريّف**" للأستاذ حمود طرشونة، نفسه، ص ٢٤.

(٥٣) ابن أبي الضياف، **إتحاف أهل الزّمان**، "تاريخ أحمد باي"، تحقيق أحمد عبد السّلام، د.ت، تونس، ١٩٧٦، ج٦، ص ٧٠.

(54) Abdelmoula Mahmoud, L'Université Zaytounienne et la société Tunisienne, Tunis, 1971, pp 85-86.

(55) Op. cit, p 134-135.

(٥٦) محمّد صالح الجابري، **الأدب التّونسي الحديث والمعاصر (١٨٦٠–١٩٢٠)**، مقال ضمن مؤلّف جماعي بعنوان "**تاريخ الأدب التّونسي الحديث والمعاصر**"، المجمع التّونسي للعلوم والآداب والفنون بيت الحكمة، ١٩٩٣، ص ١١. ولمزيد من التّفاصيل يُمكن العودة أيضا إلى:

(57) Chennoufi Moncef, Le problème des origines de l'imprimerie et de la presse Arabes en Tunisie dans sa relation avec la renaissance 1847-1887, Ed. Université de Lille 1974, Tome II, pp 232-251.

(58) Ganiage (J), Les origines des Protéctorat Français en Tunisie (1861-1881), P.U.F, Paris, 1959, pp 471-669.

(٥٩) أنظر محمّد صالح الجابري، **الأدب التّونسي الحديث والمعاصر (١٨٦٠–١٩٢٠)**، نفسه، ص ١٥.

(٦٠) جريدة الحاضرة، ٢ أكتوبر ١٩٠٠.

(٦١) محمّد صالح الجابري، نفسه، ص ٤٤.

(٦٢) ابراهيم السّامرائي، **من الأدب التونسي الحديث: اللّون التّقليدي المحافظ**، العدد ١٢ من مجلّة الآداب الّتي تصدر فصليّا عن كليّة الآداب جامعة بغداد ١٨ نوفمبر ٢٠٢١، ص ٢.

(٦٣) نفسه، ص ٤٥.

(٦٤) محمّد الفاضل بن عاشور، **الحركة الأدبيّة والفكريّة بتونس**، القاهرة، ١٩٥٦، ط٢، الدّار التّونسيّة للنّشر، ١٩٧٢، ص ٩٧.

(٦٥) جريدة الحاضرة، ١٨ جوان ١٩٨٩.

(٦٦) محمّد صالح الجابري، **الأدب التّونسي الحديث والمعاصر (١٨٦٠–١٩٢٠)**، نفسه، ص ٣٨.

(٦٧) إرادة الحياة، قصيدة من بحر المتقارب نظمها أبو القاسم الشّابي في ٢٦ جمادى الأولى ١٣٥٢ هـ الموافق ١٦ سبتمبر ١٩٣٣، وتُعدّ من أشهر القصائد في الشّعر العربي الحديث حيث تستخدم الأبيات الأولى من القصيدة في النّشيد الوطني التّونسي.

(٦٨) جعفر ماجد، **الأدب التّونسي ما بين الحربين**، مقال ضمن مؤلّف جماعي بعنوان "**تاريخ الأدب التّونسي الحديث والمعاصر**"، المجمع التّونسي للعلوم والآداب والفنون بيت الحكمة، ١٩٩٣، ص ٤٥-٤٦.

(٦٩) جعفر ماجد، **الأدب التّونسي ما بين الحربين**، نفسه، ص ٥٦.

(٧٠) جعفر ماجد، نفسه، ص ٥٧.

(٧١) محمّد الفاضل بن عاشور، نفسه، ص ٤٣٣.

المصادر والمراجع

المصادر:

- ابن أبي الضياف، **إتحاف أهل الزّمان**، "تاريخ أحمد باي"، تحقيق أحمد عبد السّلام، د.ت، تونس، ١٩٧٦، ج٦.
- ابن رشد، فصل المقال فيما بين الحكمة والشّريعة من الإتّصال، تحقيق محمّد عمارة، ط٣ دار المعارف، القاهرة، ١٩٩٩.
- ابن منظور، **لسان اللّسان، تهذيب لسان العرب**، هذبه بعناية: المكتب الثقافي لتحقيق الكتب، تحت إشراف الأستاذ عبد أحمد علي مهنا، الجزء الثاني، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، ط١ سنة ١٩٩٣.
- الجرجاني (الفاضل العلّامة علي بن محمّد الشّريف – ١٤١٣)، **كتاب التّعريفات**، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٨٥.
- الزّمخشري (جاد الله أبي القاسم محمود بن عمر)، **أساس البلاغة**، تحقيق د. محمّد نبيل طريفي، دار صادر بيروت، ط١ ٢٠٠٩.
- الفراهيدي (الخليل ابن أحمد)، **معجم العين**، تحقيق مهدي المخزومي وابراهيم السّامرّائي، مكتبة لبنان بيروت، ج١.
- حنّا الفاخوري، **الجامع في تاريخ الأدب العربي**، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٨٦.
- ياقوت الحموي، **إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب**، تحقيق إحسان عبّاس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٩٩٣.
- المراجع باللغة العربية:
- أنور الجندي، **معلمة الإسلام**، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٢، ١٩٨٢، ج٢.
- امبارك حمدي، **التّراث وإشكاليّة القطيعة في الفكر الحداثي المغاربي: بحث في مواقف المفكّرين المغاربة المعاصرين من التّراث: الجابري، أركون، العروي**، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت،٢٠١٧.
- تزفيتان تودوروف، **مفهوم الأدب ودراسات أخرى**، ترجمة عبود كاسوحة، منشورات وزارة الثقافة، الجمهوريّة العربية السّوريّة، دمشق ٢٠٠٢.
- جعفر ماجد، **الأدب التّونسي ما بين الحربين**، مقال ضمن مؤلّف جماعي بعنوان **"تاريخ الأدب التّونسي الحديث والمعاصر"**، المجمع التّونسي للعلوم والآداب والفنون بيت الحكمة، ١٩٩٣.
- جورج طرابيشي، **هرطقات عن الدّيمقراطيّة والعلمانيّة والحداثة والممانعة**، دار السّاقي بالاشتراك مع رابطة العقلانيين، بيروت، ٢٠٠٦.
- حسين مروّة، **النّزعات المادية في الفلسفة العربية الإسلاميّة**، دار الفرابي، بيروت، ط٦، ١٩٨٨، ج١.
- شوقي ضيف، **التّراث والشّعر واللّغة**، سلسلة مكتبة الدّراسات الأدبية، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٧.
- رئيف خوري، **الدّراسة الأدبية**، دار المكشوف، بيروت، ط ١٩٤٥.
- طيب تيزيني، **من التّراث إلى الثّورة**، دار بن خلدون، دمشق، دار الجيل، ط٣، ١٩٧٩.
- عبد العزيز بن عثمان التّويجري، **التّراث والهويّة**، منشورات المنظّمة الإسلاميّة للتّربية والعلوم والثّقافة

– إيسيسكو – ٢٠١١.

- عون الشريف قاسم، **معركة التّراث**، دار القلم، بيروت، ١٩٨٠.
- كارلو نالّينو، **تاريخ الآداب العربية من الجاهليّة حتّى عصر بني أميّة**، دار المعارف، مصر، ١٩٥٤.
- لويس معلوف، **المنجد في اللّغة العربية المعاصرة**، المطبعة الكاثوليكيّة، بيروت، ط ١٩.
- محمّد أركون، **قضايا في نقد العقل الدّيني: كيف نفهم الإسلام اليوم؟** ترجمة هاشم صالح، دار الطّليعة، بيروت، ط٢، ٢٠٠٠.
- محمّد الفاضل بن عاشور، **الحركة الأدبيّة والفكريّة بتونس**، القاهرة، ١٩٥٦، ط٢، الدّار التّونسيّة للنّشر، ١٩٧٢.
- محمّد العيّاري، **علاقة الأدب بالمجتمع: رئيف خوري نموذجا**، رسالة لنيل شهادة الكفاءة في البحث مرقونة في كليّة العلوم الإنسانيّة والاجتماعيّة بتونس، ١٩٨٩.
- محمّد صالح الجابري، **الأدب التّونسي الحديث والمعاصر (١٨٦٠-١٩٢٠)**، مقال ضمن مؤلّف جماعي بعنوان **"تاريخ الأدب التّونسي الحديث والمعاصر"**، المجمع التّونسي للعلوم والآداب والفنون بيت الحكمة، ١٩٩٣.
- محمّد عابد الجابري، **التّراث والحداثة: دراسات ومناقشات**، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط٤، ١٩٩١.
- **التّراث ومشكل المنهج، المنهجيّة في الأدب والعلوم الإنسانيّة**، دار توبقال للنّشر، الدّار البيضاء، ط١ ١٩٨٦.
- **نحن والتّراث: قراءات معاصرة في تراثنا الفلسفي**، المركز الثّقافي العربي، ط٦، ١٩٩٣.
- **مدخل إلى القرآن الكريم**، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط٢، ٢٠٠٧، ج١.
- محمّد علي الصّابوني، **مختصر تفسير أبن كثير**، دار القرآن الكريم، بيروت، لبنان، ط٧، ١٩٨١، المجلد الثالث.

- المراجع باللغات الأجنبية:

- Abdelmoula Mahmoud, *L'Université Zaytounienne et la société Tunisienne*, Tunis, 1971.
- Chennoufi Moncef, *Le problème des origines de l'imprimerie et de la presse Arabes en Tunisie dans sa relation avec la renaissance 1847-1887*, Ed. Université de Lille 1974, Tome II.
- Françoise CHOAY, *l'Allégorie du patrimoine*, édition du seuil 1992,1996, 1999, nouvelle édition revue et corrigé (actualisée en 2007).
- Ganiage (J), *Les origines des Protéctorat Français en Tunisie (1861-1881)*, P.U.F, Paris, 1959.
- Jean-Louis TORNATORE, *L'esprit de patrimoine*, Terrain. Revue d'ethnologie de l'Europe, 55, 5 septembre2010.
- Krzysztof Poman, Musée et patrimoine"، *in Patrimoines en folie*, Paris, France, Éditions de la Maison des sciences de l'homme, 1990.
- Valéry (P), *Eupalions, ou L'Architecture*, Gallimard, Paris, 1924.

النخيل في التراث الشعبي مصدر من مصادر القوة الناعمة الإماراتية

طالب غلوم طالب
كاتب وباحث إماراتي

يهدف البحث إلى التعرف على «النخيل كمصدر من مصادر القوة الناعمة الإماراتية وأثره في المعتقدات الشعبية الإماراتية». وأوضح البحث أن نخلة التمر من الأشجار التي قدسها العرب عمومًا وشعوب منطقة الخليج العربي خصوصًا؛ حيث نُقشت على الأختام في الحضارات القديمة، وذُكر اسمها في الأساطير السومرية، وقد أشارت بعض الدراسات أن النخلة ربما قد جُلبت إلى أرض سومر من منطقة الخليج العربي للإكثار، وكانت النخلة هي المتميزة في تقديرهم ومكرمة في الشعائر والأساطير الخاصة بهم. وأكد البحث أن للتمر قيمة غذائية عالية، فهو فاكهة الصحراء ومن الأغذية الأساسية لدى العرب؛ لذلك اهتمت الحضارة العربية بالنخيل منذ القدم، وتناول البحث عددًا من النقاط منها: إبراز مفهوم القوّة الناعمة ومدى فاعليتها في الترويج لمختلف المنتجات التراثية الإماراتية، وعلى رأسها (النخلة) كرمز من رموز الهوية الإماراتية. ثانيًا: أهمية النخلة في الحضارة والهوية العربية. ثالثا: النخلة في الشعر العربي.

أهمية البحث: يمكن استقراء أهمية الدراسة الحالية من خلال ما تم ذكره آنفًا إلا أن تناول كل من الأهمية العلمية والعملية للدراسة ستساعد المهتم بدراسة القوة الناعمة على فهم أهمية هذه الدراسة بشكل أدق، فتتجسد الأهمية العلمية للدراسة في كونها تعد الدراسة العربية الأولى التي ربطت بين مصادر التراث الإماراتي والقوة الناعمة لدولة الإمارات.

إشكالية الدراسة: يكمُن جوهر المشكلة في ضرورة البحث في أثر التراث الشعبي الإماراتي وخاصة النخيل في بلورة مصادر متجددة من القوة الناعمة الإماراتية وتأثير ذلك في دعم مُقوّمات الجذب التراثية الإماراتية؛ وذلك نظرًا لعدم تناول أي دراسة عربية سابقة هذا النوع من العمل البحثي.

منهجية البحث: اعتمد الباحث على التحليل

الوصفي لكل من النخيل وأثره في الحضارة العربية، وكذلك ربطه بمصادر القوة الناعمة الإماراتية مستخدمًا المنهج الوصفي التحليلي، وذلك وفقًا للبحث المكتبي والاستناد إلى مجموعة من المصادر والمراجع العلمية، وعن طريق البحث من خلال شبكة الإنترنت.

كما استنتج الباحث أن التنوع الجغرافي الذي حظيت به دولة الإمارات العربية المتحدة وتعدد الأقاليم المناخية بها، جعلها بيئة صالحة لنمو وتكاثر الكثير من أنواع الأشجار ومن بينها النخلة، التي تتطلب بمختلف أنواعها وأنواع ثمارها بيئات مناخية وجغرافية محددة، وها هي بحسب وجهة نظر الكاتب تجتمع في الإمارات، فالواحات والأراضي المنخفضة عن سطح البحر، التي توفر نسبة أوكسجين مناسبة لنضوج التمور، والجبال التي توفر أنواعًا مناسبة من التربة لزراعة ونمو النخيل، والسهول حيث تكثر المياه العذبة وتواجد الأفلاج والعيون والمياه الجوفية بدرجات ملوحة معتدلة، كما استنتج الباحث أن استغلال مصادر القوة الناعمة متمثلةً في النخيل يسهم في تدعيم الثقافة الإماراتية ودورها الريادي الإقليمي والعالمي، **كما يمكن** الاستفادة من مُقوّمات الجذب التراثية ذات الصلة بالنخيل التي تحظى بها دولة الإمارات العربية المتحدة وخاصة في استثمار زراعة النخيل على مجال واسع داخل الدولة، ومن ثم إدراجها في حملات الدعاية السياحية وفق رؤية محلية وإقليمية وعالمية ممنهجة.

المقدمة:

لا تحل مناسبة في دولة الإمارات العربية المتحدة إلا ونرى الرطب والتمور تُزيّن المكان بل وتحتل صدارته؛ وذلك لأهمية هذه الفاكهة الصحراوية من الناحية الغذائية وارتباطها بالتراث الشعبي لأبناء الإمارات، فهي ثمار طيبة من شجرة مباركة أصلها ثابت وفرعها في السماء.

إنها شجرةُ الحياة لأبناء الصحراء، عاشت مع الإنسان وتحملت شظف العيش ولولاها ما استطاع أن يبقى على قيد الحياة، فكانت له الطعام والمسكن والمأوى وأدوات العيش في زمن ما قبل النفط، وتعتبر إرثًا حضاريًا يتفاخر به كل إماراتي بما كانوا عليه وما آلت إليه جهودهم في مسيرة التنمية والبناء، فكان عهد الشيخ زايد الخير –رحمه الله - مثالاً يحتذى في خدمة الشجرة المباركة (نخيل التمر)، فقد زرع منها الملايين إلى أن تبوأت دولة الإمارات العربية المتحدة المركز الأول بالعالم بزراعة أكبر عدد من أشجار نخيل التمر بحسب موسوعة (جينس للأرقام القياسية).

فالنخلةُ كانت وستبقى محور حياتنا ومحبتنا وإرثًا اجتماعيًا لا غنى عنه في طول البلاد وعرضها، كما أن أبناء الوطن قد تفننوا في حبهم لها وولعهم بجمالها رسمًا وغناءً وتصويرًا ومهرجانات هنا وهناك، كمهرجان «ليوا» للرطب الذي وضع المنطقة الغربية من إمارة أبو ظبي على خريطة صناعة التمور وتسويق الرطب حول العالم، حتى أن أحد أبنائها قام بصناعة مجلس متنقل على شكل رطبة.. إنها رطب وتمور الإمارات التي يفتخر بها كل إماراتي، وحبه لها يشهد به القاصي والداني حتى أن أهل الإمارات يسمونها شجرة الحياة.

ولعل شجرة الحياة (نخيل التمر) تُمثل أحد عناصر الهوية الإماراتية والتي تعتبر أحد مصادر القوة الناعمة الإماراتية لاتصالها العميق بالتراث الحضاري الإماراتي وتأثيرها في تكوين الشخصية الإماراتية وتراثها الشعبي، وقد حدّد (جوزيف ناي) في كتابه (القوة الناعمة وسيلة النجاح في السياسة الدولية)[1] ثلاثة موارد للقوة الناعمة لأي دولة كالتالي:

- ثقافتها (في الأماكن التي فيها جذب للآخرين).
- قيمها السياسية (عندما تطبقها بإخلاص في الداخل والخارج).
- سياستها الخارجية (عندما يراها الآخرون مشروعة وذات سلطة معنوية وأخلاقية).

أهداف البحث:

وقد هدف البحث إلى:

- إلقاء الضوء على مفهوم القوّة الناعمة ومدى فاعليتها في الترويج لمختلف المنتجات التراثية الإماراتية، وعلى رأسها (النخلة) كرمز من رموز الهوية الإماراتية.
- إيضاح أهمية النخلة في الحضارة والهوية العربية.
- إلقاء الضوء على النخلة في الشعر العربي.

الدراسات السابقة:

دراسة مسعود بن سعيد بن ناصر الحضرمي، أحمد بن عبد الله بن مسعود العزيزي **(النخلة في الموروث الثقافي العماني)**، وزارة الثقافة والرياضة والشباب، وقد جاء هذا الكتاب معتمدًا على توثيق الشهادات التاريخية للرواة العمانيين من المعمرين وكبار السن سواء من الرجال أم النساء الذين بلغ عددهم ٧٥ مواطنًا ومواطنة، واهتم الباحثان بدراسة العلاقة بين النخيل والثقافة العُمانية، فرصدوا احتفاء الأدب العُماني والفنون الشعبية العُمانية والشعر بالنخيل، كما تتبعوا الأمثال الشعبية العُمانية التي ارتبطت بالنخيل والتمور، والأهازيج التراثية الشعبية المرتبطة بالنخيل، والألعاب الشعبية العُمانية وموقع النخلة فيها.

دراسة صلاح عبد الستار محمد الشهاوي **(النخيل في الشعر العربي)** صادرة عن مركز عبد الرحمن السديري الثقافي، حيث رصد أصالة النخيل في الجزيرة العربية وعشق أهل الجزيرة العربية له، والذي تجسد في مجموعة من قصائد الغزل ووصف عطائها اللامنتهي مؤكدًا على الصلة الحميمية للإنسان العربي بالنخلة.

دراسة عبد الباسط عودة إبراهيم **(نخلة التمر في المعتقدات الشعبية)** صادر عن أرشيف الثقافة الشعبية للدراسات والبحوث والنشر، سلطنة عمان، حيث رصد الباحث موقع النخلة في المعتقدات الشعبية العراقية والمصرية، كما رصد الأدوات المستخدمة في طلوع النخل والمصطلحات المرتبطة بعملية إنبات النخيل.

الإطار النظري للبحث

إن القوةَ الناعمةَ تُكسِبُ الدولة قوة روحيّة ومعنويّة عبر ما تُجسّده من أفكار ومبادئ وأخلاق ومن خلال الدعم في مجالات البنية التحتية وجودة الحياة والثقافة والفن، ما يُؤدي بالآخرين إلى احترام هذه الثقافة والإعجاب بها واتباع مصدرها[1].

علاوة على ذلك فالقوةُ الناعمةُ تنتقلُ عبر القيم الثقافية والسياسية؛ فهي تعني الاستحواذ على قُلُوب وعُقُول البشر في جميع أنحاء العالم، وتهدف القوّة الناعمة إلى استمتاع الدولة التي تمارسها بقبول الشعوب ضمنيًا؛ فحين تتضامن الجماهير العالمية مع أي دولة تأكد أنها تملك من القوّة الناعمة ما يجعل الجماهير تتعاطف معها، فدولة الإمارات العربية المتحدة اليوم تُمارس قوتها الناعمة بشتى الطرق والوسائل، ويتجسد ذلك في المراكز الثقافية التي تنشئها والمعونات الإنمائية التي تتبناها تجاه معظم دول العالم منذ عهد الآباء المؤسسين، وقد تم استخدام هذا المفهوم ليؤثر في الرأي العام بصورة إيجابية وخاصة إذا كانت القوة الناعمة بعيدة عن السياسة ومحبوبة ولها شعبية، ويوضح جوزيف ناي أن أفضل الدعايات التي يمكن أن تمارسها أعتى شركات التسويق والإعلام تقف بجانب القوّة الناعمة مكتوفة الأيدي وليس لها صدى يذكر أمامها.

فقد استطاعت دولة الإمارات العربية المتحدة أن تنشر ثقافة التسامح في كل ربوع العالم من خلال تبنيها هذه القيمة خلال عام ٢٠١٩ – ٢٠٢٠م، وعملت على نشر ثقافتها من خلال فنونها المختلفة والتي يبرزها المجلس الوطني للسياحة والآثار، حيث تُؤدِّي هذه العوامل إلى تعاطف الشعوب التي تتصل بالثقافة الإماراتية ويدعم إحساسهم بالولاء إليها فتميل إلى محاكاة طريقة حياة الشعب الإماراتي وتجربة مأكولاته وأزيائه وشراء منتجاته وتعلم لغته العربية ولهجته المحلية بل والسياحة الممنهجة والمتتالية فيها.

ونلاحظ تأثير القوّة الناعمة التراثية والثقافية في استقطاب السائحين وتنشيط القطاع السياحي في دولة الإمارات العربية المتحدة، فقد نجحت في الوصول إلى شرائح كبيرة من السائحين الأجانب، كما تُعد دولة الإمارات العربية المتحدة من أبرز دول المنطقة التي اهتمت بإبراز مواطن جمالها والترويج لمناطقها السياحية لدعم نشاطها الاقتصادي، فهي تشتهر بسياحة المؤتمرات والمعارض السياحية وتبذل لذلك قصارى جهدها حتى أصبحت من أوائل الدول ذات الشهرة العالمية بسياحة المعارض والمؤتمرات بالإضافة إلى سياحة التسوق، بجانب إبراز حضارتها القديمة التي ترتكز على النخلة كرمز وطني لدولة الإمارات العربية المتحدة[٢].

النخلة مقدسة في الحضارة الشعبية القديمة:

فنخلة التمر من الأشجار التي قدّسها العرب عمومًا وشعوب منطقة الخليج العربي خصوصًا، حيث نُقشت على الأختام في الحضارات القديمة وذُكِر اسمها في الأساطير السومرية، وتشير بعض الدراسات إلى أن النخلة قد تكون جُلبت من أرض سومر إلى منطقة الخليج العربي للإكثار، وقد نظر السومريون إليها باحترام نظرًا لجدب أرضهم واعتبروها صهر النحاس، وكانت النخلة هي الفائقة في تقديرهم ومكرمة في الشعائر والأساطير؛ ففي ترنيمة للإلهة (تنسينا) تعلن فيها عراقة مدينتها (أيسين) التي هي أقدم حتى من دلمون فتقول: بيتي وُجِد قبل دلمون وكان طرازه من شجر النخيل.

وُجِدت النخلة قبل عهد (الوركاء) في الألف

الرابع قبل الميلاد على شكل نقوش على إناء مصنوع من الرخام يضم مشهدًا لكاهنٍ يُقدم سلة من التمر إلى الإلهة (أنانا) عشتار، والتي يرمز لها سُكّان وادي الرافدين بالنخلة المُقدّسة في كافة نقوشهم وآثارهم[٣].

لم تكن النخلة مُقدّسة فقط كرمز، بل كانت النخلة نفسها تُقدس وتُدلل كونها الشجرة الوحيدة التي تُخدم بعناية، فحتى التكاثر والتلقيح في النخيل يفضل أن يقوم به الإنسان حتى يكون المحصول مضمونًا ووافرًا، وربما كان منظر خدمة النخيل ورعايتها في دلمون مألوفًا، وهكذا خرج لنا هذا المثل السومري (كانوا يدللون ملوكهم كما تدلل نخيل دلمون) والمثل يصور لنا كيف كان أهل دلمون يُقدّسون النخيل ويهتمون به ويرعونه رعاية متميزة، حتى أن كل نخلة كانت لها معاملة خاصة، حتى ضُرب بها المثل أعلاه من كثرة الاهتمام، وهناك قصائد سومرية تُظهر لنا هذا المثل جليًا فيها، فهذا هو الملك (شلجي) الذي حكم سومر بين (٢٠٩٤ق.م – ٢٠٤٧ق.م) يسطر قصيدة يمدح فيها نفسه فيأتي في سياق الوصف:

أنت مدلل من قبل ناينيجالا

كنخلة في أرض دلمون المقدسة.

ونشر عالم السومريات الأمريكي (صامويل نوح كريمر) في المجلدات الشرقية ١٩٤٩م ترجمة لنص سومري يتحدث عن نشأة أول نخلة في الكون، وقد ترجم هذا النص الشاعر العراقي شوقي عبد الأمير في كتيب بعنوان (ميلاد النخلة) عام ٢٠٠٤م، كما أن تسمية أرض العراق بأرض السواد تعود إلى النخيل؛ ذلك أن عرب الجزيرة حين دخلوا بعد الفتح الإسلامي ورأوا خضرة النخيل عن بعد فتساءلوا ما ذلك السواد؟ وتأتي الأساطير السومرية لتؤكد مرجعية السواد متعددة الدلالات في تشكيل نخيل أرض الرافدين وملامحه الأولى ابتداء من هذه الأسطورة حيث يأمر الإله (انكي) الغراب أن يسرق الكحل الأسود من خزانة سحرة (أريدو) ويحلّق به قرب الأهواز ليرشه بذورًا سوداء لشجرة خضراء، هي مزيج من السحر والخرافة والقداسة، يتدخل الغراب الأسود والكحل الذي سرقه في تعزيز فكرة السواد في أرض الرافدين.

والنخلة هي رمز الإله تموز إله الخصب الذكوري بحسب أسطورة عشتار، وتموز كانت تدخل ضمن التعاويذ الخيرة الشافية والحامية مثلما كانت أجزاؤها تدخل ضمن ممارسات الطب الشعبي القديم، وللتمر فعل سحري يعتقد به العامة منذ قديم الزمان كمنشط حسي ومحرك للغريزة، وما تزال هذه العادة مستخدمة حتى يومنا هذا.

ترجم A,H, Sayce بعض النصوص الأثرية عن نخلة التمر حيث ورد فيها أن الشجرة المقدسة التي يناطح سعفها السماء وتتعمق جذورها في الأغوار البعيدة هي الشجرة التي يعتمد عليها العالم في رزقهم، فقد كانت بحق شجرة الحياة وعلى هذا تمثلت في أوقات مختلفة في هياكل بابل وأشور[٤].

النخلة في الحضارة العربية:

نخلة التمر هي الشجرة الوحيدة التي رافقت العرب في إنشائهم لحضاراتهم وترحالهم في الشرق والغرب لنقل أسس الحضارة العربية

والإسلامية إلى تلك الديار القصية بعد ظهور الدين الإسلامي والرسالة المحمدية الشريفة.

بالنخلة بدأت الحياة، هي من أول مخلوقات الكون خلقت مع أبي البشر آدم عليه السلام؛ لذا قال عنها الرسول الأمين (صلى الله عليه وسلم): «أكرموا عمتكم النخلة، فإنها خلقت من الطين الذي خلق منه آدم»[٥]، فالنخلة أكرم الشجر كما وصفها الرسول الكريم (صلى الله عليه وسلم)، ليس من الشجر شجرة أكرم على الله من شجرة ولدت تحتها مريم ابنة عمران.

وفي ذلك قال الشاعر سيف المري:

هامت بحب النخلة الشعراء

فجرت على سنن الهوى الأهواء

أعلِمْتَ من خبر المسيح وأمه

لما أتاها المولد الوضاء؟

وتساقط الرطب المبارك عندما

هزت بجذع النخلة العذراء[٦].

ثمارها التمر من الأغذية الرئيسة لدى العرب ومن لزوميات الفطور وإكرام الضيف، قال النبيﷺ : «بيت ليس فيه تمر جياع أهله»[٧]، والنخلة تحمل سر الوجود والديمومة والبقاء وتحمل سر الخلود وتبقى بعد الفناء، حيث أوصى الرسول الكريم (صلى الله عليه وسلم) بزراعة فسائلها حتى وإن قامت الساعة حيث قال (صلى الله عليه وسلم): «إن قامت الساعة وفي يد أحدكم فسيلة فإن استطاع أن لا تقوم حتى يغرسها فليغرسها» (صحيح الألباني) و(صحيح البخاري)[٨].

ولولا شجرة النخيل لما وجدت معظم الواحات المنتشرة في شبه الجزيرة العربية، ولم يكف أحد من العرب عن الترحال، وإن رجال القبائل يحملون في حزامهم حقيبة من الجلد غير المدبوغ يدسون فيها نوى التمر الذي يأكلونه، حيث يجمعونها لتكون وجبة لإبلهم، لذلك هي استحقت أن تكون شجرة العرب الأولى لارتباطها بحياة الناس منذ قديم الزمان، فذُكِرت في تراثهم وأشعارهم وكتبهم ومؤلفاتهم، فلم تحظ شجرة في تراثنا العربي بما حظيت به النخلة من تكريم، حتى أنها نالت مكانة عظيمة وكرمتها الأديان السماوية، ففي الديانة اليهودية اعتُبِر التمر من الثمار السبعة، وأطلق اليهود على النخيل والتمر لفظ (تمارا)، ويُروى عنهم أنهم لاحظوا اعتدال جذع النخلة وقوامها المديد وخيرها الوفير فأطلقوا على بناتهم اسم (تمارا) تبركًا بالنخلة ورمزًا لخصوبتها، ويعتبر المسيحيون سعف النخيل رمزًا للمحبة والسلام، فقد فرش أنصار السيد المسيح عليه السلام سعف النخيل في طريقه لأورشليم بيت المقدس للمرة الأولى، حيث كان سعف النخيل علامة من علامات النصر، وكان لها النصيب الأكبر في الإسلام في القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة في المعاملات، ومُجّدت وذكرت في التوراة والإنجيل وفي القرآن الكريم وحظيت باهتمام بالغ وكبير في ديننا الإسلامي الحنيف، حيث ورد ذكرها في العديد من الآيات القرآنية كونها شجرة مباركة تمدّ الإنسان بالطاقة وتوفر له لقمة العيش ومصدر الرزق، كما أنها تتميز عن المحاصيل الزراعية غذائيًا واقتصاديًا.

ومن الأقوال العربية المأثورة عن النخلة

(الراسيات في الوحل، والمطعمات في المحل، وتحفة الكبير وصمتة الصغير وزاد المسافر).

وهي تصف نخلة التمر وصفًا دقيقًا؛ فلا بديل للتمر كغذاء متكامل فهو يحتوي على عناصر مثل الحديد والبوتاسيوم، وتحوي الثمار مقادير معتدلة من الكالسيوم والمغنيسيوم والكلورين والمنجنيز، كما أن التمور غنية بفيتامين (A) و(B٧)[٩].

ولما كانت أرض العرب والمسلمين عبر تاريخها الطويل تؤلف فيها النخيل الباسقات غابات وارفة الظلال، أصبحت هذه الأرض الطيبة جنة معروشة بعرائس الطيبات من ذات الطلع النضيد والثمر الجني.

النخلة في عيون المؤلفين العرب:

ونظرة إلى النخلة عند المؤلفين والمصنفين في أسفار الحضارة العربية نجد تلك الإشادة الكبيرة بحق سيدة الشجر (النخلة الكريمة)، حيث ألّف العرب عدة كتب في الزراعة وعلم الفلاحة دلت على اهتمامهم بزراعة النخلة واستخدامهم للأسلوب العلمي والعملي في زراعتها، حيث أغنوا المكتبة العلمية بمؤلفاتهم وتراجمهم في العلوم المختلفة والحياتية والزراعية وخاصة نخلة التمر، حيث زاد اهتمام العرب والمسلمين بالنخلة في مطلع القرن الثاني للهجرة، ولعل المتبع لمؤلفات العرب عن نخلة التمر سيجدها تندرج في ثلاثة مجاميع وتتمثل في:

الكتب والرسائل التي تحدثت عن النخلة والتمر:

مثل كتاب (النخلة) لأبي عمر عمرو بن العلاء الشيباني (ت: ٢٠٦هـ)، أيضًا كتاب (التمر) لأبي سعيد بن أوس الأنصاري البصري (ت: ٢١٥هـ)، وكتاب (النخل والكرم) لأبي سعيد عبد الملك بن قريب الأصمعي البصري (ت: ٢١٦هـ) وقد نشر هذا الكتاب المستشرق (هفنر) و(لويس شيخو) في مجموعتهما الموسومة (البُلغة في شذور اللغة) سنة ١٩٤١م ببيروت، وكتاب (الزرع والنخل) لعمرو بن بحر الجاحظ البصري (ت: ٢٥٥هـ)، وفي (معجم البلدان) لياقوت الحموي[١٠]، وأشار المصنفون العرب لذكر النخيل والتمر والرطب وكل ما يخصّ النخلة المباركة، حيث نجد أن الأجداد الأوائل قد وقفوا على كثير من دقائق زراعة النخيل، وكثيرًا ما اتفقت معلوماتهم مع نتائج البحوث المعاصرة، وقد تنقص عنها أو تزيد، ومن ذلك معرفة العرب لدور الجمارة في حياة النخلة، وأن اتخاذ النخل من الفسائل يفضل اتخاذه من نواة، ولكنهم اعتقدوا أن الأرض المثلى لزراعة النواة هي المالحة، ونصحوا بأن يُلقى ملح في أصل الشجرة كل عام[١١].

الكتب التي تتناول رحلات العرب والمسلمين وما شاهدوه خلال رحلاتهم عن النخلة مع ذكر كل ما له علاقة بها:

نخلتان: تثنية النخلة، قال السكري: عن يمين بستان ابن عامر وشماله نخلتان يقال لهما النخلة اليمانية والنخلة الشامية، قال في تفسير قول جرير:

إني تذكرني الزبير حمامة

تدعو بمجمع نخلتين هديلا

قالت قريش ما أذل مجاشعًا

جارًا وأكرم ذا القتيل قتيلا

نخل بالفتح ثم السكون: اسم جنس النخلة منزل من منازل بني ثعلبة من المدينة على مرحلتين وقبل موضع بنجد من أرض غطفان مذكور في غزوة ذات الرقاع، وهو موضع في طريق الشام من ناحية مصر ذكره المتنبي فقال[١٢]:

فمـرت بـنـخـل وفـي ركـبـهـا

عـن الـعـالـمـيـن وعـنـه غـنـى

ونخل: منزل لبني مرة بن عوف على ليلتين من المدينة، وقال زهير:

وإنـي لـمـهـد مـن ثـنـاء ومـدحـه

إلـى مـاجـد تبقى لـديـه الـفـواضـل

أحـابـي بـه مـيـتًـا بـنـخـل وأبـتـغـي

خـبـاءك بالقيل الـذي أنـا قـائـل[١٣]

ما دوّنه الشـعـراء العرب في مصنفاتهم اللغوية ودواوينهم الشعرية عن النخلة:

من الطرائف في كتب التراث ما رواه الشعبي من أن قيصر ملك الروم كتب إلى عمر بن الخطاب –رضي الله عنه- يقول: «أما بعد فإن رسلي خبرتني أن قبلكم شجرة مثل آذان الفيلة ثم تنشق عن مثل الدر الأبيض، ثم تخضر فتكون كالزمرد الأخضر، ثم تحمر فتكون كالياقوت، ثم تنضج فتكون كأطيب فالوذج أكِل، ثم تينع وتيبس فتكون عصمة للقيم وزادًا للمسافر، فإن تكن رسلي صدقتني فإنها من شجر الجنة»، فكتب إليه عمر بن الخطاب: «بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى قيصر ملك الروم، السلام على من اتبع الهدى، أما بعد فإن رسلك صدقتك، وإنها الشجرة التي أنبتها الله عز وجل على مريم حين نفست بعيسى، فاتق الله ولا تتخذ عيسى إلهًا من دون الله»[١٤].

فالنخل أفضل ثـروة، فقد أُثِـر عن هارون الرشيد قوله: «نظرنا فإذا كل ذهب وفضة على وجه الأرض لا تبلغان ثمن نخل البصرة»، ويقولون في مصر: «عنده مال والنخل حمال»، ويقولون في العراق: «المال مال والنخيل والخيل لو أقبلن»[١٥]، والنخل طويل العمر، ولهذا يدعو الناس لبعضهم بطول العمر فيقال: «يعطيك عمر النخلة»، وقد غرس معاوية غرسًا في أواخر خلافته وقـال: ما أغرسها طمعًا في إدراكها، ولكن ذكرت قول الأسدي:

لـيـس الـفـتـى بـنـبـي يـسـتـضـاء به

ولا تكون لـه فـي الأرض آثـار[١٦]

والصلة بين العربي والنخلة صلة حميمة مؤكدة، حتى لكأن العربي يحس أن بينه وبينها وشائج قربى، وكذلك يُعرف عن العربي أنسه بالنخلة وحبه لها، فهذا هو عبد الرحمن الداخل رأى فيها أنيسًا له في غربته في الأندلس وأنها غريبة هناك عن أرضها مثله فقال:

تـبـدت لـنـا وسـط الـرصـافـة نخلة

تناءت بأرض الغرب عن بلد النخل

فقلت شبيهي في التغرّب والنوى

وطول اكتئابي عن بنيّ وعن أهلي

نـشـأت بـأرض أنـت فيها غريبة

فمثلك فـي الإقـصـاء والـنـأي مثلي

سقتك غـوادي المزن في المنتأى

الذي يصح ويستمر المساكين بالويل[١٧]

والشعر العربي مملكة النخلة التي تطاولها

فيها قامة، ولم تعامل النخلة في الشعر العربي بأقل مما عومل به البشر، ولأن هناك تاريخًا مشتركًا بين العربي والنخل، تغنى بنخله ونخيله، تغنى به طلعًا وفي أول التمر ثم غناه وهو خلال؛ وهو ما اخضرّ من التمر، ثم شدا به بسرًا ثم رطبًا ثم تمرًا.

ولا يكاد الشعر العربي القديم أو الحديث يخلو من ذكر النخيل، فيقول امرؤ القيس واصفًا شعر المرأة:

وفرع يزين المتنُ أسود فاحم
أثيث كقنو النخلة المتعثكل[١٨]

ويقول زهير بن أبي سلمى:

وهل ينبت الخطيّ إلا وشيجُهُ
وتُغرس إلا في منابتها النخل[١٩]

وكما حفظ لنا الشعر سِيَر المشاهير من الناس حمل إلينا سير الشهيرات من النخل، وأشهر نخل العرب نخلتا حلوان.. كانتا من غرس الأكاسرة، وقد ضُرب بهما المثل في طول العمر، قيل فيهما شعر كثير نختار منه قول حماد عجرد:

جعل الله مسدرتي قصر شير
عن فداء لنخلتي حلوان
جئت مستعدًا فلم تسعداني
ومطيع بكت له النخلتان[٢٠]

وقال مطيع بن إياس فيها:

أسعداني يا نخلتي حلوان
وابكيا لي من ريب هذا الزمان
واعلما إن علمتما أن نحسًا
سوف يلقاكما مفترقان[٢١]

وقال خالد بن صفوان يصف النخيل:

كأن النخيل الباسقات وقد بدت
لناظرها حسنًا قباب زبرجد
وقد علقت من حولها زينة لها
قناديل ياقوت بأمراس عسجد[٢٢]

ويقول السري الرفاء:

فالنخل من باسق فيه وباسقة
يضاحك الطلع في قنواته الرطبا
ضحت شماريخه في النحر مطلعة
إما ثريا وإما معصما خضبا
تريك في الظل عقيانًا فإن نظرت
شمس النهار إليها خلتها لهبًا [٢٣]

ويقول أيضًا:

وكأن النخل حول قبابها
ظل الغمام إذا الهجير توقدا
من كل خضراء الذوائب زيّنت
بثمارها جيدًا لها ومقلدا[٢٤]
خرقت أسافلهن أعماق الثرى
حتى اتخذن البحر فيه موردا
شجر إذا ما الصبح أسفر لم ينح
للأمن طائره ولكن غردا

والنخلة عروس أخذت زينتها، وفي ذلك يقول أبو نواس[٢٥]:

لا أنعت الروض إلا ما رأيت به
قصرًا منيفًا عليه النخل مشتهل

النخيل في التراث الشعبي مصدر من مصادر القوة الناعمة الإماراتية

فهالة من صفتي إن كنت مختبرًا

ومخبرا نفرا عني إذا سألوا

نخل إذا جليت إبان زينتها

لاحت بأعناقها أغداقها النخل(٢٦)

أما المعري فقد شرب من ماء دجلة وزار أشرف الشجر فيقول:

شربنا ماء دجلة خير ماء

وزرنا أشرف الشجر النخيلا

ووصف الشاعر علي الشرقي النخلة قائلاً:

والنخل حول النهر مثل عرائس

نصت غدائرها على غدران

والطلع من رطب يشق ثيابه

متنشّرًا كتنشّر الجذلان(٢٧)

وقال الشاعر ابن وكيع التنيسي في وصف البلح:

أما ترى النخل قد نثرت بلحا

جاء بشيرًا بدولة الرطب

مكاحلَ من زمرد خرطت

مقمعات الرؤوس بالذهب(٢٨)

وقال الشاعر ظافر الحداد:

انظر إلى البسر إذ تبدى

ولونه قد حكى الشقيقا

كأنما حوصه عليه

زبرجد مثمِرٌ عقيقا(٢٩)

ويقول أمير الشعراء أحمد شوقي:

أرى شجرًا في السماء احتجب

وشق العنان بمرأى عجب

مآذن قامت هنا وهناك

ظواهرها درج من شذب

أهذا هو النخل ملك الرياض

أمير الحقول وعرس العزب

طعام الفقير وحلوى الغني

وزاد المسافر والمغترب

فيا نخلة الرمل لم تبخلي

ولا قصرت نخلات الترب(٣٠)

والشاعر محمود حسن إسماعيل شاعر عاشق النخل، فلا ترى إحدى قصائده حتى تنتصب في وجهك نخلة، ولعل أشهر قصائده (النيل) يقول في مطلعها:

سمعت في شطك الجميل

ما قالت الريح للنخيل

يسبح للطير أو يغني

ويشرح الحب للخميل(٣١)

وقالت الشاعرة عاتكة وهبي الخزرجي في النخلة:

تباركت يا نخلة الشاطئين

يا آية الأعصر الباقية

نهلت الخلود من الرافدين

فبوركت مسقية ساقية

أظلي أيا نخلة الشاطئين

فؤادي بأفيائك الحانية(٣٢)

والنخلة في الجزيرة العربية تميزت في أصالتها، ولأهل الجزيرة عشق أكثر من غيرهم لها، هذا العشق سُكِبت من خلاله قصائد غزل، ولعل أروع ما قيل في هذا الصدد أبيات الشاعر محمد بن عبد القادر الإحسائي يصف فيه اجتماعًا له مع بعض ندمائه من المشايخ والطلبة في عين أم سبعة فيقول:

كأن جموع النخل في عرصاتها
صفوف عذارى حملتها الغلائل
إذا روحت ريح الشمال رؤوسها
تميل كما مال المحب المواصل
فيا حبذا برد النسيم بظلها
ويا حبذا ذاك التقى والمنازل[٣٣]

أما الشاعر الإحسائي محمد الحلواج فيقول فيها:

شموخ بلا زيف تحدّت جذوره
عوادي الليالي والفناء المسهدا
ألا يا نخيل الله لا جد جذعك
من الأرض بتار يدك المشيدا[٣٤]

أما الشاعر يوسف أبو أسعد فقال:

من وشوشات النخل للشبعان
صُغت القوافي وانتزعت بياني
وشحتها بالزهر يعبق نشره
حتى بدت ضربًا من الأغصان
وسكبت من ذوب الفؤاد مشاعري
فترنحت مثل الدمى أوزاني[٣٥]

ونتأمل إبداع عبد الله الجشي ووفاءه للنخلة هذه الشجرة المباركة لما تمثله من عطائها اللامنتهي الدائم والوفير مصداقًا لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم (بيت ليس فيه تمر أهله جياع):

يا نخلة وقفت بالشط باسقة
يصب في تاجها أضواءه زُحَلُ
مدت إلى الشمس أيديها مصافحة
وأرسلت ظلها في النهر يغتسل
تغلغل الماء في أعراقها عذبًا
فأثمر الدر والمرجان والعسل
لقد وهبت لنا ظلاً تفيء له
سلا خيمة رثة في البيد ترتحل[٣٦]

تأثير النخلة في التصميمات المعمارية الإماراتية:

لعبت النخلة دورًا اجتماعيًا وتراثيًا وثقافيًا وأيضًا اقتصاديًا في الإمارات لتحظى باهتمام كبير من الشعب الإماراتي، حيث يوجد بها ما يقرب من (٤١) مليون نخلة، فقد توالت الأسر الإماراتية على زراعتها والاعتناء بها وأصبحت جزءًا مهمًا من موروثها الشعبي؛ لما لها من دور عظيم في فترة ما قبل النفط، فقد كانت مصدر رزق للمزارعين وشريكتهم في الصحراء وشظف العيش، ووجهًا جميلاً من وجوه كرمهم، إذ اعتبروا تقديم التمر مع القهوة دليلا على إكرام الضيف، كما تغزّل وتغنى شعراء الإمارات والعرب قديمًا بالتمر وأشجار النخيل. وقد خصصت الإمارات أكبر المعارض

والجوائز رفيعة المستوى باسم (جائزة خليفة الدولية لنخيل التمر)، كما تقيم المهرجانات الخاصة بالتمر سنويًا، وتشارك المهرجانات والمعارض التي تقام خارج الإمارات.

إن دبي هي إحدى أهم المناطق السياحية في العالم ودرة التاج السياحية للوطن العربي، عانقت السحاب بالناطحات الشاهقة، ولكنها أيضًا لم تنسَ مياه الخليج فبنت نخلة جميرة أكثر الجزر الصناعية إبهارًا في العالم، لكن بناء حكومة دبي لتلك الجزر الصناعية ليس بالأمر السهل، فهي تعتبر من أعظم المشاريع في المنطقة خصوصًا مع وجود التيارات المائية القوية.

هناك طريقتان لعمل الجزر الصناعية؛ إما عن طريق ردم البحر أو عن طريق توسعة لشاطئ طبيعي، ومن أهم العوامل الرئيسية لبناء هذه الجزر بعد دراسة الجدوى الاقتصادية للمشروع هو تحديد الموقع المناسب عن طريق مسح لقاع البحر والاستعانة بالغواصين لضمان الدقة ودراسة قوة التيارات البحرية والزلازل لموقع المشروع، ولكن كيف تتم حماية الجزر من التيارات المائية؟ وقد تم ذلك بإنشاء كاسر الأمـواج عن طريق ردم كميات كبيرة من الصخور والقوالب الخرسانية الضخمة لتكوين ما يسمى بالجبال الاصطناعية القوية التي تواجه الأمواج مع ترك فتحات فيه لتجديد المياه بالداخل.

وتنقل الصخور إلى مكان العمل أو أقرب ميناء محملة في سفن النقل ويتم الحصول على مواد الردم من قاع المناطق البحرية المحيطة باستخدام مضخات كبيرة من سفن عائمة، وتم إرسال غواصين خبراء لاستكشاف التكوينات الصخرية وقاع البحر لضمان جدوى المشروع.

ويستخدم المهندسون كراكات لشفط الرمال من المياه الضحلة، ثم يتم تصفيتها وإعادة ضخها بمضخات عملاقة على متن سفن بعمليات تسمى بالتكريك، بهدف صنع أرضية صالحة للعمل، ويتم تقويتها عن طريق ضغط التربة لمنع هبوط مستواها إذا حدث زلزال.

بدأت عمليات تطوير جزيرة نخلة جميرا عام ٢٠٠١م، واستمرت رحلة الإنشاء لست سنوات مرت خلالها بعدة محطات؛ بدأت بإنشاء البنية التحتية الأساسية عام ٢٠٠٤م، وكانت الجزيرة جاهزة للبناء بعد عامين، حيث تم تزويد الجزيرة بأربعة وتسعين مليون متر مكعب من الرمال والتي تم جلبها من قاع البحر، وسبعة ملايين طن من الصخور من جبال الحجر، وبنهاية عام ٢٠٠٩ كان هناك (٢٨) فندقًا ومنتجعًا تم افتتاحها بالكامل على الهلال لاستقبال السياح.

الرحلة لم تكن صعوبتها في طريقة الإنشاء ولكن التكلفة الباهظة أيضًا، حيث بلغت تكلفة إنشاء جزيرة النخلة ١٢ مليار دولار باستثناء المباني والمنتجعات، لتصبح بعد ذلك نخلة جميرًا موطنًا لمنتجع أتلانتس المترامي الأطراف بقيمة ١,٥ مليار دولار، والـذي يضم حديقة مائية وحوض أسماك تحت الماء.

وقد بلغت مساحة الجزيرة (٥٦٠) هكتارًا، ويسكن بها ما يقرب من (٧٨٠٠٠) شخص من (٧٠) جنسية مختلفة، فهي توفر نمطًا معيشيًا راقيًا لسكانها، وقد ذاع صيت نخلة جميرا على المستوى العالمي ما أدى إلى استضافة أشهر نجوم العالم سواء لغرض السياحة أو الاستجمام،

لتؤكد بذلك على قوة الإمارات الناعمة في جذب عقول مختلف الشعوب.

وقد حصلت جزيرة نخلة جميرا على لقب أعجوبة العالم الثامنة، حيث انفردت بالتخطيط في إنشائها حتى إنهائها بالشكل المناسب والذي يعتبر وجهة سياحية تمثل قوة ناعمة للدولة الإماراتية.

تأثير النخيل في الألعاب الشعبية الإماراتية:

لعبة «خيل يريد»، وهي لعبة جماعية للأطفال، تعتمد على سعفة النخيل، يتم وضعها بين الرجلين، ويمسك الطفل مقدمتها بيده اليمنى وعصا بيده الأخرى تستعمل لضرب السعفة من الخلف أثناء الجري.

لعبة «القرقعانة»، تُصنع من عذق النخيل، ويشرخ إلى ثلاثة شروخ، ويمسك الطفل بمؤخرة العزق ويحركها بقوة، وأثناء ذلك تحدث صوتًا قويًا.

لعبة «خوصة بوصة»، وهي لعبة تمارسها البنات، حيث يرددن أثناءها كلمات يقلن فيها: «مرينا على عريب - يلقطون الشباح واللباح - حوصة - بوصة - بالنبوصة - ياكي الدود - من حندود - من عجارب - من السود - عاليا عاليا - اعطينا سيفك - بنلا جيبه - عبدالله - بن سعيد - لادغته - عقربية - شكر بية - دوسة - خيل – لومطية».

لعبة «المروحة» يستخدم فيها خوص النخيل الذي يتم تقطيعه إلى أربعة أضلاع متساوية، بحيث تأخذ شكل الريشات الأربع لمراوح الهواء المعروفة، ويثقب منتصف الخوصات الأربع في منطقة المركز، ثم توضع العصا، وأثناء الجري تتحرك المروحة بسرعة.

لعبة «البعير من الكرب»، فتصنع من كرب النخيل، ويتم ربطها بواسطة خيط على شكل قطار، يجره الطفل، ويوضع فوق الكرب عروس من القماش، وهي عبارة عن نموذج مصغر من الهودج، وتقليد جميل لحياة البدو وأعراسهم، يعكس تمسكهم بأصالة تراثهم الجميل[٣٧].

النخلة والصناعات الإبداعية

إن النخلة لها أهمية كبيرة في التفاعل مع البيئة أخذًا وعطاءً، لذلك يتكيف الإنسان مع البيئة التي يعيش فيها ويتأثر بها ويؤثر فيها، تعطيه مما تجود به ويعطي نفسه وما يملكه من أشجار وحيوانات لكي يعيش، ويبحث دائمًا عن كنوزها ومقدراتها التي لا تنضب، لذا فإن شجرة النخيل هي الحياة والبيوت والطعام والظل والدفء والتجارة لدى الإماراتي، وكلما زادت ثروة الإنسان الإماراتي من عدد أشجار النخيل، زادته رفعة وشموخًا ومكانة وغنى في المجتمع البسيط الذي يعيش فيه.

وقد دخلت مكونات النخيل في الصناعات الإبداعية الإماراتية منذ القدم، حيث كان هناك العديد من الحرف اليدوية التي تتسم بالروعة والجمال واشتهر بها الشعب الإماراتي مثل (السقافة)، حيث يحاك الخوص بصورة هندسية لإنتاج سلسلة كبيرة، ويتم صبغها بالألوان لإنتاج العديد من المنتجات مثل (الحصر - والمهفات والمغطى – الحبال – والجفير – والعريش).

وقد كانت النخلة أساسًا لمشروع الشيخ زايد

بن سلطان آل نهيان الزراعي والبيئي عندما قال: «أعطوني زراعة أضمن لكم حضارة»، فانتشرت المساحات الخضراء على يديه لتصبح الإمارات أرض العطاء.

تأثير النخيل في التراث والأمثال الشعبية الإماراتية:

وقد ترسخت هذه الثقافة والمعارف الخاصة بالنخلة مع مرور الزمن في العقل الجمعي الإماراتي، فأنتجت تاريخًا وموروثًا شعبيًا غنيًا من أهازيج وأمثال شعبية وألغاز وقصص ومعتقدات شعبية، وهكذا توغلت ثقافة النخلة في النتاج الفكري الإماراتي.

من أهم الأمثال المتصلة بالنخلة:

(الطول طول نخلة والعقل عقل صخلة)[٣٨]

نخلة هي شجرة النخيل، وصخلة هي أنثى الصغير من الماعز، ويُضرب هذا المثل للإنسان الذي يكون طويلاً ولكن تفكيره ناقص.

(ضربة وطارت الكربة)[٣٩]

الكربة: هي مؤخرة الخوصة سعفة النخل، ويضرب هذا المثل عندما يتخذ الإنسان قرارًا سريعًا في موضوع ما وكذلك تكون ردة الفعل لديه سريعة جدًا.

(مثل العوانة حتاتها بعيد)[٤٠]

العوانة: هي شجرة النخيل المعمرة والطويلة جدًا يطلق عليها عوانة، ويقال هذا المثل عندما يقوم القريب بتقديم العطاء والمساعدة للناس الأبعد من عائلته ويترك الأقارب الذي يستحقون العطاء.

(عوانة راحل ارتحت من لقاطها)

عوانة: نخلة طويلة، ويقال هذا المثل عندما يواجه الإنسان مشكلة وتنتهي بشكل باتّ، وهنا يرتاح صاحبها من متطلباتها، والنخلة الطويلة هناك صعوبة في الوصول إلي قمتها وتلقيحها وكذلك جني ثمارها.

(حزام كربة)[٤١]

الكربة: جذع الخوصة لشجرة النخيل، ويُضرب هذا المثل لصعوبة حل المشكلة؛ لأن الكرب هناك صعوبة كبيرة لربطه بالحبل.

(الخشاش يطيح والبسر يتعلق)[٤٢]

الخشاش: هو الخلال بداية استواء الثمر غير المفيد أكله للإنسان، وعادة يكون بسبب قلة التلقيح ويتساقط دائمًا، والبسر ذات اللون الأصفر أو الأحمر وهي عادة ما تكون مرتبطة بشماريخ العذق للنخلة، ويقال هذا المثل للناس الضعفاء الذي يقعون بسرعة، أما الأقوياء فيصمدون وسقوطهم يكون نادرًا.

(لا تستوي مثل الليفة طارت واحترقت)[٤٣]

الليفة: مفرد وجمعها ليف، ويستخرج الليف من جذع النخلة وله استخدامات شتى؛ في صناعة الحبال، ويستخدم كذلك لإشعال النار في الحطب، والليفة تشتعل بسرعة، ويضرب هذا المثل عندما يكون الفرد سريع الانفعال والغضب.

(برد الليف ولا شداد الحرير)[٤٤]

قديمًا كانت المطية غالية عند صاحبها، وكانوا يبدعون في صناعة العدة للمطية، حيث يقومون بوضع بطانة من الحرير للعدة التي توضع على ظهر الجمل، وكانت المطايا ترغي من حرارة

الحرير؛ لأنه بطبعه حار على الجلد، والليف الذي يستخرج من شجرة النخيل بارد على الجلد، فيقال هذا المثل عندما ترغي المطية.

(فرض عمود الأرض إن بعته غناك وإن كلته هناك)[٤٥]

الفرض: اسم لأحد أنواع النخيل لونه أسود على بني، يمتاز بطعمه المتوسط حيث لا يوجد فيه السكر الكثير، وينصح بتناوله لمرضى السكري، ومن يمتلك نخلة الفرض يعد غنيًا سواء في البيع أو الأكل وذلك لجودة ثمار هذه النخلة.

(شبابك أفسل به أو انسل به)

أفسل: فعل أمر ويرتبط بكلمة الفسيلة وهي شجرة النخلة الصغيرة عندما تقتلع من تحت أمها يطلق عليها فسيلة، والفسيلة هي استثمار للمستقبل وضمان لثمر النخل، ويقال هذا المثل عندما يكون الشاب في بداية حياته لا بد أن يفسل ويزرع النخل للمستقبل أو يتزوج لزيادة النسل والاستقرار الأسري.

(عين المال صاحية) [٤٦]

المال: النخيل أو الحلال، ويضرب هذا المثل لكي يكون صاحب المال حريصًا على ماله ويتابع ويشرف بنفسه على ماله ولا يعتمد اعتمادًا كليًا على غيره.

(لي ما عنده دباس ما يأخذ الناس)[٤٧]

الدباس: نوع من أنواع النخيل تكثر زراعته في المنطقة الغربية (الظفرة وليوا)، ونخلة الدباس لها قيمة معنوية كبيرة جدًا عند أهالي المنطقة، ولا يزالون يحافظون على زراعتها والعناية بها، ويُضرب هذا المثل للقيمة الكبيرة لنخيل الدباس لأنها مصدر غذاء ومال صاحبها، ومن لا يملك النخلة لا يرتبط ببنت الناس.

(أحشفه على أحشفه ما تلصق)[٤٨]

أحشفه هي التمرة الناشفة، والتمر عادة ما يكون يابسًا إذا تعرض لفترات طويلة للشمس، يُضرب المثل في حال أن الإنسان لا يمكن أن يتوافق مع إنسان يحمل صفة مذمومة مثل البخيل لا يمكن أن يعاشر إنسانًا بخيلاً مثله.

(احضر عن النبات وغيب عند اليداد)[٤٩]

النبات: هو وقت لقاح النخلة، واليداد يقصد به قص المذوق لثمار النخلة وقت نضوجها، ويقصد بهذا المثل أن يكون صاحب النخل حاضرًا في عملية التلقيح للنخيل، وبعد إتمام العملية لا بأس له بالغياب وعدم الحضور أثناء قص ثمار النخيل.

(جارب وعد وباعد ويد)[٥٠]

جارب: أي قرّب وباعد أي اجعل مسافة بين النخلة والأخرى، ويُقصد بهذا المثل أثناء زراعة النخيل جعل مسافة بين النخلة والأخرى ويفضل في حدود (١٠أمتار)؛ لأن النخلة كما يشاع عنها لا تكثر ثمارها إذا كانت نخلة أخرى قريبة منها.

(إذا صار صاحبك احشفه استو له تمرة)[٥١]

صاحبك: صديقك وحشفه أي تمرة يابسة، استو له أي كن له، ويقصد بهذا المثل أن الإنسان لا بد أن يقدم تنازلات لكي يتعاون مع الآخر في متطلبات الحياة؛ لأنه لا يستطيع أن يستغنى عنه بتاتًا، هنا واجب عليه أن يكون ودودًا متواضعًا يمتلك الذكاء الاجتماعي وبناء العلاقات الإنسانية لكي يعيش في وئام وسلام مع الآخرين.

(التمر بالخص والعيش بالقص)[٥٢]

الخص: مفردة من اللهجة المحلية ويقصد بها أن تأكل التمرة التي تعجبك من الإناء الموجود وتختار ما يناسب ذوقك، والقص أي تأكل من أمامك فقط ولا تأكل من أمام الآخرين.

(إذ بغيته يجنع طرشه يجلع)[٥٣]

يجنع: يقنع، طرشه: أرسله، يجلع: يقتلع التمر من الجراب أو القلة، إذا لم يقتنع الشخص بالكلام أو يتهمك بعدم الإخبار عن الحقيقة، هنا تطلب منه أن يذهب بنفسه ويرى بعينه ويقوم بقلع التمر لكي يقتنع بالواقع.

(بشارة الرطب)[٥٤]

وهي من دلالات البشارة عند أهل الإمارات، حيث عاش أهل الإمارات قديمًا بتفاؤل كبير، فقد كانت الحياة بسيطة جدًا والقناعة إحدى القيم المتجذرة لدى الكثيرين والتي توجه السلوك بطريقة فطرية لدى البدو في الصحراء، وهناك كلمات تقال في المواقف المختلفة ويستخدم فيها تعبير (بشارة الرطب)، حيث ينتظر أهل الصحراء وأصحاب النخيل محصولاً وفيرًا من الرطب، ويبذلون جهودًا كبيرة من رعاية وسقاية وتركيب وتلقيح، وعندما تبشر النخلة بحبات الرطب يأتي البشير لأصحاب النخيل قائلاً (بشارة بشارة بشرت النخل)[٥٥].

خاتمة:

تناول البحث إيضاح مفهوم القوة الناعمة، وأن عناصرها تنبع من مكوّنات البيئة التي تعيش بها كل أمّة، وأن بيئة الإمارات تحتل بها النخلة مكانة بارزة وحيوية، لها التأثير الأكبر في شتى مناحي الحياة ومناشطها، ولذلك كان للنخلة حضورٌ قوي في الموروث الحضاري والشعري، تغنّى بها الشعراء منذ العصر الجاهلي وحتى العصر الحديث، كما كان لها حضور بارز في المثل الشعبي، كما أن لها حضورًا ماديًا في سبل العيش، والصناعات التقليدية، وحتى ألعاب الأطفال، ومن ثم كان استلهام الحضارة الحديثة لها عملاً استثماريًا لمعطيات الماضي في صنع الحاضر واستشراف المستقبل.

التوصيات:

إن ثراء موضوع الدراسة لحريّ بأن يلقي الضوء على العديد من النقاط التي يمكن استلهامها لاستغلال مصادر القوة الناعمة في تدعيم الثقافة الإماراتية ودورها الريادي الإقليمي والعالمي، ولذلك فإن الدراسة توصي بالآتي:

الاستمرارية بالعمل على الاستفادة من مُقوّمات الجذب التراثية ذات الصلة بالنخيل التي تحظى بها دولة الإمارات العربية المتحدة وخاصة في استثمار زراعة النخيل على مجال واسع داخل الدولة، ومن ثم إدراجها في حملات الدعاية السياحية وفق رؤية محلية وإقليمية وعالمية ممنهجة.

تعاون دولة الإمارات العربية المتحدة مع منظمة اليونسكو لتنظيم مؤتمرات يحضرها نخبة من المثقفين والمفكرين والرموز الدبلوماسية للتسويق لزراعة النخيل وإبراز قوتها الناعمة.

توظيف التراث المتمثل في الصناعات الإبداعية والحرفية المعتمدة على النخيل للمحافظة على الثقافة العربية الإسلامية في

مجتمع الإمـارات واستخدامه لمقاومة أشكال التدخل الثقافي الأجنبي.

ضرورة التركيز على تطوير المهن الحرفية المتصلة بالنخيل للمحافظة على الموروث الشعبي الإماراتي.

البحث في إمكانية استخدام الموروث الثقافي الإماراتي المتمثل في النخيل من أجل مزيد من الولاء الاتحادي والاندماج السياسي، والدفع برؤية جديدة لهذه الوحدة الإماراتية وذلك بتأكيد الشخصية التاريخية له.

إيجاد علاقـات أكثر ديناميكية بين النخيل وعناصر الـتـراث الشعبي الأخـرى والواقع المجتمعي وخاصة في بحث القيم والمبادئ التراثية لخدمة تصدعات البنية الاجتماعية الحالية في الإمارات انطلاقًا من أن التراث يشكل علاقة حركية بين ماضي الأمة وحاضرها ومستقبلها.

إعداد دراسـات متخصصة في مجال القوّة الناعمة الإماراتية وارتباطها الوثيق مع الآثار الإماراتية بعمومها وإبـراز هـذه القوّة على المستوى الدولي.

تعظيم الاستفادة من الرموز والشخصيات الإماراتية الناجحة في مجال عملهم خارج الدولة في الترويج السياحي والثقافي والتراثي بشقيه المادي وغير المادي للإمـارات، والعمل على نشر الثقافة والقيم الإماراتية، وذلك من خلال منصات مواقع التواصل الاجتماعي الخاصة بهم، والتي يمكن أن يشاركها الملايين في كل دول العالم، وذلـك على غـرار ما حدث خلال عام ٢٠٢٢ في دولة قطر أثناء تنظيم كأس العالم لكرة القدم، حيث ارتدى لاعبو كرة القدم العالميون (البشت) كرمز للهوية القطرية للإعلان عن الثقافة المحلية الإماراتية من خلال (النخلة) لتصبح عالقة بأذهان شعوب العالم كأيقونة إماراتية.

إطلاق ألقاب تتعلق بالنخيل ومـن صميم التراث الإماراتي ومنحها للرموز الناجحة في المجال الرياضي أو الفني أو الثقافي خارج البلاد مثل (طلع الإمارات) في المسابقات التي تنظم للنشء؛ حيث إن هذه الشخصيات يكون لها شعبية جماهيرية عالية ما يعمل على تثبيت وتحسين الصورة الذهنية الإيجابية لدولة الإمارات لدى جميع شعوب العالم.

الهوامش

(1) 2004", Power Soft The., " S Joseph, Nye

(2) Nye, J., (2005), "SoftPower: Themeanstosuccessinworldpolitics" NewYork:Public Affairs, pp. 24

(٣) محمد سيف الشامسي (٢٠١٩) تعظيم القوّة الناعمة لدولة الإمـارات العربية المتحدة، مجلة جامعة الشارقة للعلوم الإنسانية والاجتماعية، مج ١٧، العدد ٢، الشارقة، الإمارات.

(٤) الحفيظ، عماد محمد دياب (٢٠١١)، بيئة الخليج وجزيرة العرب، دار صفاء للطباعة والنشر، عمان، ص ٣١٢.

(5) A,H, Sayce(2008) . Babylonians and Assyrians, Life and Customs. Kindle Edition

(٦) أخرجه العقيلي في «الضعفاء» (٤٣٠)، وابـن حبان في «الضعفاء» (٣ / ٤٤ - ٤٥ حلب)، والباغندي في «حديث شيبان وغيره» (١٩٠ / ١)

(٧) المري، سيف بن محمد (٢٠٠٩)، (قصيدة النخلة)

من ديوان العناقيد.

(٨) أخرجه مسلم في كتاب الأشربة، باب في ادخار التمر ونحوه من الأقوات للعيال، برقم ٣٨١٢.

(٩) أخرجه أحمد.

(١٠) إبراهيم، عبد الباسط (٢٠١٥)، التمور وأجزاء النخلة الأخرى منظومة غذائية وصحية وعلاجية شاملة، المركز الوطني للنخيل والتمور، الرياض، نشرة رقم ٣ – ص ٨٩.

(١١) ياقوت الحموي (د.ت) معجم البلدان، قدم له محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، مؤسسة التاريخ العربي، المجلد الأول، ص٤٥٥.

(١٢) يوسف عز الدين (١٩٨٤)، التراث الزراعي عند العرب، مجلة المجمع العربي العراقي، بغداد، العراق، الجزء الأول، المجلد الخامس والثلاثون، ص ١٢٤ – ١٢٦.

(١٣) إبراهيم، عبد الباسط عودة (٢٠١٦)، نخلة التمر في المعتقدات الشعبية، مج ٩، ع ٣٥، مسترجع من Record/com.mandumah./٧٧٩٢٨١ search//:http

(١٤) معلقة زهير بن أبي سلمى، في مدح هرم بن سنان، شرح زهير بن أبي سلمى ٢٣٣.

(١٥) الشهاوي، صلاح عبد الستار (٢٠١٣)، النخيل في الشعر العربي، مركز عبد الرحمن السديري الثقافي، الجوية، العدد ٤٠، مسترجع من .http://search ٤٨٢٤٣٠/mandumah.com/Record

(١٦) القزويني، زكريا (د.ت)، آثار البلاد وأخبار العباد، الإقليم الرابع، البصرة، دار صادر، بيروت.

(١٧) الزمخشري، محمود بن عمر بن محمد الخوارزمي (٢٠٠٩)، تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تحقيق الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، مج ١، مكتبة العبيكان

(١٨) عبد الرحمن الداخل، قصيدة (يا نخل أنت غريبة مثلي).

(١٩) معلقة أمرؤ القيس ٣٥، شرح المعلقات السبع.

(٢٠) معلقة زهير بن أبي سلمى، شرح زهير بن أبي سلمى ٢١٣.

(٢١) جماد عجرد، قصيدة نخلتي حلوان، معجم البلدان، طبعة أوربا، مادة حلوان.

(٢٢) مطيع بن إياس، قصيدة أسعداني يا نخلتي حلوان، معجم البلدان، طبعة أوربا، مادة حلوان.

(٢٣) معجم البلدان، ج٢، ص ٢٠٦ - ٢٠٧.

(٢٤) أحمد بن السري الكندي الحسن، قصيدة (حمسب الأمير سماح وطد الحسبا).

(٢٥) المرجع السابق.

(٢٦) الشهاوي، صلاح عبد الستار (٢٠١٣)، النخيل في الشعر العربي، مركز عبد الرحمن السديري الثقافي، مرجع سابق، ص ١١١.

(٢٧) الحسين بن هانئ (أبو نواس)، قصيدة (مالي بدار خلت من أهلها شغل).

(٢٨) علي الشرقي، قصيدة (خير الربيعين)، ديوان الشرقي.

(٢٩) الحسن بن علي بن أحمد بن محمد بن خلف الضبي التنيسي، قصيدة (أما ترى النخل قد نثرت بلحًا)، ديوان (ابن وكيع التنيسي).

(٣٠) ظافر الحداد، (ديوان شعر - ط)، ومنه في الفاتيكان (١٧٧١ عربي).

(٣١) أحمد شوقي، ديوان (عروس الصحراء والحقول).

(٣٢) محمود حسن إسماعيل، قصيدة (النيل)، ديوان النهر الخالد.

(٣٣) عاتكة وهبى الخزرجي، قصيدة (يا نخلة الشاطئين).

(٣٤) عبد القادر، محمد بن عبد الله بن عبد المحسن (١٩٨٢)، تحفة المستفيد بتاريخ الإحساء القديم والجديد، مكتبة المعارف، الرياض.

(٣٥) الحلواج، محمد، قصيدة (الممشوقة).

(٣٦) عبد اللطيف، يوسف أبو أسعد (١٩٨٢)، ديوان أغادير من واحة النخيل.

(٣٧) الجشي، عبد الله (د.ت)، قصيدة (وطن الذكريات).

(٣٨) هند مكاوي، النخيل علاقة وثيقة بتراث الإمارات، جريدة الخليج، ٢٩ مايو ٢٠١٧.

(٣٩) الطنيجي، سالم زايد (٢٠١٨)، دراسات في التراث الشعبي الإماراتي، معهد الشارقة للتراث، الشارقة، الإمارات، ص ١١٦.

(٤٠) الطنيجي، سالم زايد (٢٠١٨)، دراسات في التراث الشعبي الإماراتي، معهد الشارقة للتراث، الشارقة، الإمارات، ص١١٧.

(٤١) الطنيجي، سالم زايد (٢٠١٨)، دراسات في التراث الشعبي الإماراتي، معهد الشارقة للتراث، الشارقة، الإمارات، ص١١٨.

(٤٢) المرجع السابق، ص ١١٨

(٤٣) الطنيجي، سالم زايد (٢٠١٨)، دراسات في التراث الشعبي الإماراتي، معهد الشارقة للتراث، الشارقة، الإمارات، ص ١١٩.

(٤٤) المرجع السابق، ص ١٢٠

(٤٥) بن صندل، عبيد راشد (١٩٨٧)، الأمثال والألغاز الشعبية في دولة الإمارات العربية المتحدة، الإمارات ـ ص ١٠٦.

(٤٦) المرجع السابقٍ، ص ١٠٨.

(٤٧) الطنيجي، سالم زايد (٢٠١٨)، مرجع سابق، ص ١٢٠.

(٤٨) بن صندل، عبيد راشد (١٩٨٧)، مرجع سابق، ص ١١٥.

(٤٩) الطنيجي، سالم زايد (٢٠١٨)، مرجع سابق، ص ١٢٠.

(٥٠) بن صندل، عبيد راشد (١٩٨٧)، مرجع سابق، ص ١١٠.

(٥١) بن صندل، عبيد راشد (١٩٨٧)، مرجع سابق، ص ١١٢.

(٥٢) الطنيجي، سالم زايد (٢٠١٨)، مرجع سابق، ص ١٢١.

(٥٣) بن صندل، عبيد راشد (١٩٨٧)، مرجع سابق، ص ١١٣.

(٥٤) الطنيجي، سالم زايد (٢٠١٨)، دراسات في التراث الشعبي الإماراتي، معهد الشارقة للتراث، الشارقة، الإمارات، ص ١٢٢.

(٥٥) الطنيجي، سالم زايد (٢٠١٨)، المرجع السابق، ص ١٢٣.

(٥٦) زين العابدين، محمد (٢٠٢١) دراسات في التراث الشعبي الإماراتي، مجلة تراث، عدد ٢٥٩، مايو، نادي تراث الإمارات، الشارقة، ص ٩٤.

المصادر والمراجع

- إبراهيم، عبد الباسط (٢٠١٥)، التمور وأجزاء النخلة الأخرى منظومة غذائية وصحية وعلاجية شاملة، المركز الوطني للنخيل والتمور، الرياض، نشرة رقم ٣.
- إبراهيم، عبد الباسط عودة (٢٠١٦)، نخلة التمر في المعتقدات الشعبية، مج ٩، ع ٣٥، مسترجع من http://search.mandumah.com/Record/٧٧٩٢٨١.
- جوزيف ناي (٢٠٠٧)، القوّة الناعمة، وسيلة النجاح في السياسة الدولية، ترجمة محمد توفيق، الرياض: مكتبة العبيكان.
- حسن علي عبد الرحمن (٢٠٢١)، الموسوعة الإماراتية: الحرف والمهن والصناعات التقليدية، معهد الشارقة للتراث، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة.
- الحفيظ، عماد محمد دياب (٢٠١١)، بيئة الخليج وجزيرة العرب، دار صفاء للطباعة والنشر، عمان.
- زين العابدين، محمد (٢٠٢١) دراسات في التراث الشعبي الإماراتي، مجلة تراث، عدد ٢٥٩، مايو، نادي تراث الإمارات، الشارقة.
- الشهاوي، صلاح عبد الستار (٢٠١٣)، النخيل في الشعر العربي، مركز عبد الرحمن السديري الثقافي، الجوية، العدد ٤٠، مسترجع من search//:http.

٤٨٢٤٣٠/Record/com.mandumah

- الطنيجي، سالم زايد (٢٠١٨)، دراسات في التراث الشعبي الإماراتي، معهد الشارقة للتراث، الشارقة، الإمارات.
- فراج محمد عبد السميع (٢٠١٢)، دور مواقع التواصل الاجتماعي في تسويق مصر كمقصد سياحي دولي، وزارة السياحة، قطاع التخطيط والبحوث والتدريب، القاهرة.
- محمد سيف الشامسي (٢٠١٩) تعظيم القوّة الناعمة لدولة الإمارات العربية المتحدة، مجلة جامعة الشارقة للعلوم الإنسانية والاجتماعية، مج ١٧، العدد ٢، الشارقة، الإمارات.
- ياقوت الحموي (د.ت) معجم البلدان، قدم لها محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، مؤسسة التاريخ العربي، المجلد الأول.
- يوسف عز الدين (١٩٨٤)، التراث الزراعي عند العرب، مجلة المجمع العربي العراقي، بغداد، العراق، الجزء الأول، المجلد الخامس والثلاثون.
- المواقع الإلكترونية:
- البوابة الرسمية لحكومة دولة الإمارات العربية المتحدة، متاح على الرابط https://u.ae/ar-ae/information-and-services/visa-and-emirates-id/residence-visa/long-term-residence-visas-in-the-uae
- الموقع الرسمي لمؤسسة دبي المستقبل (٢٠١٧)، القوّة الناعمة ما هي؟ وكيف تستغلها الأمم في تطوير اقتصادها للمستقبل وتعميق تأثيرها العالمي؟ متاح على الرابط accessed August, ١٥, ٢٠١٧ /https://mostaqbal.ae
- دائرة أبو ظبي للثقافة والتراث، متاح على الرابط:
- https://abudhabiculture.ae/ar/about-us/department-of-culture-and-tourism
- المراجع الأجنبية:
- Nye, J., (2005), "SoftPower: Themeanstosuccessinworldpolitics" NewYork:Public Affairs
- A,H, Sayce(2008). Babylonians and Assyrians, Life and Customs. Kindle Edition

مخطوطة التحفة الجامعة لمفردات الطب النافعة؛ الطب النبوي كمصدر للمعرفة الطبية في الحضارة العربية الإسلامية

د. أيمن ياسين عطعط[1]
ألمانيا

لعبت الفترة ما بين القرنين الثاني والسابع الهجريين/الثامن والثالث عشر الميلاديين للحضارة العربية الإسلامية دورًا كبيرًا في تطور كافة العلوم، وخاصة في مجالي الطب والصيدلة؛ حيث تشير الدراسات التاريخية إلى أن أول صيدلية مستقلة عُرفت بالتاريخ كانت قد أُسست عام ١٣٧هـ/٧٥٤م في بغداد. كما ساهم ظهور الكتب والموسوعات؛ إن كانت الطبية ككتاب الحاوي في الطب لأبي بكر الرازي (المتوفى عام ٣١١هـ/٩٢٥م)، وكتاب القانون في الطب لابن سينا (المتوفى عام ٤٢٨هـ/١٠٣٧م)، أو الموسوعات الصيدلانية ككتاب الجامع لمفردات الأدوية والأغذية لابن البيطار الأندلسي (المتوفى عام ٦٤٦هـ/١٢٤٨م) وغيرها، في تطور علمي الطب والصيدلة في تلك الفترة التاريخية من الحضارة العربية وانتقالهما فيما بعد لغيرها من الحضارات.

على الجانب الآخر، فإنّ السنة النبوية للرسول محمد عليه الصلاة والسلام قد حَملتْ في طيّاتها العديد من الأحاديث التي تناولت الصحة والمرض، كما وردتْ العديد من السير أو القصص النبوية التي تحدثت عن الاستخدامات العلاجية لعددٍ من الأغذية أو النباتات التي كانت سائدة في ذلك الوقت. إن هذا المنظور الطبي للأحاديث النبوية أسهم في ظهور العديد من الكتب التي تتناول ما يُعرف باسم الطب النبوي؛ حيث تطول القائمة لذكر تلك الكتب ولعل من أشهرها كتاب الطب النبوي لابن قيم الجوزية (المتوفى عام ٧٥١هـ/١٣٥٠م)، وكتاب المنهج السوي والمنهل الروي في الطب النبوي لجلال الدين السيوطي (المتوفى عام ٩١١هـ/١٥٠٥م) وغيرها من تلك الكتب.

في القرن التاسع الهجري/الخامس عشر الميلادي قام العامِري الحَرَضي[2] (المتوفى عام ٨٩٣هـ/١٤٨٨م) بوضع كتاب أسماه التحفة الجامعة لمفردات الطب النافعة، والذي تناول فيه الأغذية وفوائدها العلاجية، كما أورد علاجاتٍ

لبعض الأمراض المتعلقة بعضو محدد من جسم الإنسان، أو الأمراض التي تصيب كامل الجسم، ولكن الملفت للنظر أنّ العامري الحَرَضي أورد عددًا من الأحاديث النبوية في كتابه كمصدرٍ من مصادر المعرفة الطبية. فهذه النقطة أثارت السؤال القائم على طبيعة العلاقة بين مصادر تاريخ الطب التقليدية عند العرب والطب النبوي. لذلك تهدف هذه المقالة لمناقشة منهج التأليف الطبي في الحضارة العربية الإسلامية، ودراسة كيفية ومدى اعتماد الموسوعات الطبية على الأحاديث النبوية كمصدر للمعرفة الطبية التي ظهرت في تلك الفترة الزمنية الهامة من تاريخ الطب بشكل عام.

١. مخطوطة التحفة الجامعة لمفردات الطب النافعة[٣]

تشير أغلب مصادر المؤلفين إلى أنَّ العامري الحَرَضي كان له علمٌ بمفردات الطب، بالإضافة لكونه كان محدثَ اليمن وشيخها في عصره[٤]، يقول اسماعيل باشا البغدادي: إن كتاب التحفة هذا يحتوي على جُملَة ما روي فِي الصَّحِيحَيْنِ عَن الصَّحَابَة. رغم أن العنوان يدل على أن هذا الكتاب هو مخصص بذكر الفوائد العلاجية للأدوية المفردة التي كانت سائدة في الحضارة العربية الإسلامية، دون التطرق إلى اعتماده على الطب النبوي كمصدر من مصادر المعرفة الطبية؛ حيث في حديثه عن سبب تأليفه للكتاب يقول الحَرَضي في بداية كتابه:

(فسألني بعض الإخوان الراغبين في خدمة المسلمين أن ألخص لهم مجموعًا في المفردات أو ما يضاهيها مما يتيسر ويستعان في عموم الأوقات فأجبت سؤالهم رجاء المثوبة فيه، ...، وجعلته على قسمين؛ قسم في العلل الخاصة والآخر في العامة مع مقدمة وخاتمة)[٥].

يستهل الحَرَضي كتاب التحفة بالمقدمة التي تحتوي على تفسيرات دينية لعددٍ من القصص من السيرة النبوية، واقتباسٍ عن ابن عباس رضي الله عنه قوله في قوله تعالى: ﴿**ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ**﴾[٦]، أن النعيم هو الصحة. كما يشير الحَرَضي لحديث النبي محمد عليه الصلاة والسلام: **{لكل داء دواء}**، والذي -من وجهة نظر الحَرَضي- هو الدليل على جواز التطبب في الجملة[٧]. ثم يقوم الحَرَضي بإضافة فصل بعنوان: **(في الرقى بالقرآن الكريم والأذكار النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والتسليم)**. مع ملاحظة أنَّ الحَرَضي يقول: إن الغاية من ذكره لتلك الرقى الشرعية هو أن ينال البركة في كتابه من خلال ذكرها[٨]. ومن ثمَّ قام الحَرَضي بتقسيم كتابه لعدد من الفصول واضعًا عناوين رئيسية لها، وسأورد هنا أهم فصول كتاب التحفة الجامعة لمفردات الطب النافعة:

١. ١. **فصل في طبائع الأغذية**: تحدث فيه الحَرَضي عن بعض أنواع الأغذية كالبقوليات، والحبوب، والألبان، واللحوم، والسمك، والبيض، والفواكه، بالإضافة إلى بعض الأغذية التي كانت تستخدم أيضًا كأدوية مفردة في الحضارة العربية الإسلامية. الملفت للنظر هنا أنَّ الحَرَضي قام بذكر عددٍ من الأحاديث أو القصص النبوية كمصادر علمية عند ذكره لهذه الأغذية وفوائدها، وكأنه أراد أن يُوجد توافُقًا بين ما هو معروفٌ ومتداولٌ في كتب الطب التقليدي، وبين ما ورد

عن الرسول محمد عليه الصلاة والسلام في كتب السيرة النبوية[٩].

١. ٢. فصل في الأمـراض الخاصة: بدأه الحَرَضي بأوجاع الرأس الظاهرة والباطنة: وفيه تحدث الحَرَضي عن عددٍ من الأمراض كالدوار، ووجع الرأس، والصرع، والجنون، وهنا نلاحظ أنَّ الحَرَضي يسرد أمراض البدن كافة من دون تقسيمها أو تبويبها أيضًا، والذي يمكن اعتباره -من ناحية الهيكلية أو المنهجية- أمـرًا غير مألوفٍ في تأليف الموسوعات الطبية العربية، كما نلاحظ أيضًا في هذا الفصل استعانة الحَرَضي ببعض الأحاديث النبوية التي تذكر معالجة بعض الأمراض مثل وجع الرأس والزكام، والأمراض التي تصيب العين، وعرق النسا.

١. ٣. فصل في الحميات العامة: تناول فيه الحَرَضي أهم أنواع الحمى التي قد تصيب جسم الإنسان، أو التي تترافق مع أمراض أخرى مثل أمراض آلام المفاصل، والبرص، وعضة الكلْب الكلِب، وما قد يرافقها من حمى.

١. ٤. فصل في ذكر بعض خواص المفردات: تحدث الحَرَضي فيه عن بعض الأدوية المفردة واستخداماتها الطبية، ولكن نلاحظ بأن القائمة اختصرت على ذكر ٤٧ دواء مفردًا، وقد يكون الحَرَضي قد اختار ما كان أكثر شيوعًا في الفترة الزمنية التي عاش فيها[١٠].

١. ٥. فصل علامـة الموت في المريض: هذا الفصل يشير إلى عددٍ من العلامات الشديدة الدالة على قرب الموت من المريض كما أوردها الحَرَضي، ولكن مما يلفت النظر أن الحَرَضي ينهي هذا الفصل بحديث الرسول عليه الصلاة والسلام: {**من أحب لقاء الله أحب اللهُ لقاؤه**}[١١].

١. ٦. فصل مما يقوله المريض والمحتضر:

على الرغم من أنه لا يتجاوز الصفحة الواحدة من حجم المخطوط، ولكنه يطرح نقطة غاية بالأهمية وهي المتعلقة بموضوع الأخلاق الطبية الإسلامية وتعاملها مع موضوع الاحتضار، وسأورد هذا الفصل فقط بغية الاستفادة منه لمن له اهتمام بهذا الموضوع والنقاش الدائر حاليًا حول الاحتضار من وجهة نظر الأخلاق الطبية وخاصة في الحضارة العربية الإسلامية، فيقول الحَرَضي:

(فصل مما يقوله المريض والمحتضر: فإن حاجة الناس إلى ذلك أبلغ من حاجتهم إلى التداوي، قال صلى الله عليه وسلم: أيما مسلم دعا بقوله لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين أربعين مرة فمات في مرضه ذلك أُعطي أجر شهيد، ومن برئ برئ وقد غَفَر الله له جميع ذنوبه. وقال: من قال في مرضه: لا إله إلا الله والله أكبر، لا إله إلا الله وحده لا شريك له، لا إله إلا الله له الملك وله الحمد، لا إله إلا الله ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ثم مات لم تطعمه النار. وقال: لقِّنوا أمواتكم لا إله إلا الله. وقال: من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة).

٢. تاريخ الطب عند العرب ونظرية الأخلاط

من أجل فهم تاريخ الطب عند العرب بشكل أوسـع لا بد من تعريف القـارئ ببعض أهم مبادئ الطب التقليدي التي كانت سائدة في صدر الحضارة العربية الإسلامية، وهي القائمة على ما يعرف بنظرية الأخلاط[١٢]، والتي تساعد في

فهم النصوص الطبية العربية التي أُلِّفَت في تلك الفترة الزمنية بشكل عام.

بُنيت نظرية الأخلاط على وجود أربعة سوائل تدور في الجسم وهي الخلط الدموي، والخلط البلغمي، والخلط الصفراوي، والخلط السوداوي، وهذه الأخلاط الأربعة مرتبطة بأربعة أركان هي المكونة بشكل أساسي لجسم الإنسان أو حتى جميع الكائنات الحية الموجودة على سطح الأرض، وهذه الأركـان الأربعة هي الهواء، والماء، والنار، والتراب. بالإضافة إلى ذلك فإنه يجب لكل شيء في الطبيعة أن يحمل صفة أو صفتين من الصفات الأربعة الرئيسية وهي حار أو بارد، ورطب أو يابس. وإنَّ التوازن الحاصل بين هذه الأركان والأخلاط هو السبب الرئيس في صحة الإنسان، وإنَّ أيَّ اختلال في هذا التوازن سينتج عنه بدء ظهور علامات المرض في جسم الإنسان.

فالقارئ للمخطوطات الطبية العربية سيلاحظ ارتباط فهم الأمـراض ومعالجتها بشكل وثيق بنظرية الأخلاط، كما أن موسوعات الأدوية المفردة تهتم بشكل كبير بذكر صفات كل دواء إن كان حارًا أو باردًا، رطبًا أو جافًا[١٣]، لما لتلك الصفات من دورٍ كبيرٍ في تحديد نوعية المعالجات المستعملة في علاج عددٍ من الأمـراض التي كانت منتشرة في الحضارة العربية الإسلامية.

بما أنَّ نظرية الأخلاط ذات منشأ يوناني فإن وجود البعد الطبي للأحاديث النبوية والمتعلق بتدبير الصحة والوقاية من الأمـراض، ساهم بظهور خطٍ مـوازٍ للمعرفة الطبية التقليدية، وخاصة عند المؤلفين الذين كانت لديهم معرفة بعلم الحديث النبوي، وإن مصادر المعرفة الطبية المبنية على الأحاديث النبوية عُرِفت فيما بعد باسم الطب النبوي.

٢. الطب النبوي

تم تجميع الأحاديث النبوية التي تحتوي على أحكام غذائية وطبية، حيث تطور الطب النبوي من مجموعات هذه الأحاديث إلى كتب طبية وتم وضعها في إطار النظرية الطبية، من دون رفض الطب التقليدي المبني على أسس نظرية الأخلاط، وإنما دمجوها مع المفاهيم الدينية القائمة على الأحاديث النبوية بغية الوصول إلى ما يسمى الطب النبوي، والذي لا يقدم النصائح فقط في علاج الأمـراض الجسدية وإنما هو استجابة للاحتياجات الروحية للمؤمنين[١٤]. وإن هذه الكتابات المتعلقة بالطب النبوي تبدو وكأنها ظاهرة فكرية وخطاب قائم على العلاقة بين الطب النبوي والطب التقليدي؛ ليكون شكلاً من أشكال الممارسة الطبية، ولدراسة العلاقة بين الصحة والمرض أو تصور الحياة الطبيعية[١٥]. وبالتالي أصبحت تلك الأحاديث النبوية تقدم مصدرًا للمعرفة الطبية.

إن من أوائل الكتب العربية التي عَنَت بما يُعرف بالطب النبوي هو كتاب الطب النبوي لأبي نعيم الأصفهاني (المتوفى عام ٤٣٠هـ/١٠٣٨م)[١٦]، من المثير للاهتمام أن بعض الأحاديث التي أوردها الحَرَضي في كتاب التحفة الجامعة هي مشابهة لما ورد عند الأصفهاني، مع العلم أنَّ الحَرَضي لم يشر لمصدر أحاديثه. ولكن تجدر الإشارة هنا إلى أنَّ كتاب الأصفهاني لا يحمل في طياته ذكر اقتباساتٍ من مصادر الطب

التقليدي[١٧].

ومن الكتب التي ظهرت أيضًا في هذا المجال كتاب الطب النبوي للضياء المقدسي (المتوفى عام ٦٤٣هـ/١٢٤٥م)[١٨]، والقارئ لهذا الكتاب سيلاحظ أيضًا باستثناء ذكر الأحاديث والقصص النبوية، فإن المقدسي لم يورد أية اقتباساتٍ من كتب الطب التقليدي المعتمدة على نظرية الأخلاط[١٩].

إن أشهر كتب الطب النبوي هو الكتاب الذي ظهر في القرن الثامن الهجري/الرابع عشر الميلادي لابن قيم الجوزية (المتوفى عام ٧٥١هـ/١٣٥٠م)[٢٠]، حيث اكتسب هذا الكتاب شهرة واسعة وكان من أهم مصادر الأحاديث والقصص النبوية المتعلقة بالطب والتغذية في الحضارة العربية الإسلامية، ولعل هذا الكتاب هو المصدر الرئيس للحَرَضي؛ لأن معظم الأحاديث التي ذُكِرت في كتاب التحفة الجامعة نجدها في كتاب ابن قيم الجوزية.

ولا بد من الإشارة إلى أن كتاب الطب النبوي لابن قيم الجوزية هو جزء من كتابه زاد المعاد في هدي خير العباد، وهو الكتاب الذي وضعه ابن القيم لجمع الأحاديث النبوية بغية تعميم المعرفة بالتقاليد الإسلامية، وكمساحة تهدف إلى تقديم المشورة للناس بشأن السلوك الصحيح، ولكي تكون بمثابة استجابة للاهتمام الذي أظهره عامة الناس بخصوص الأحاديث النبوية بشكل عام، ومن الواضح أنها لم تكن مكتوبة لعلماء آخرين، وإنما كانت تستهدف التعميم لأشخاص ليسوا على دراية بالتطبيق العملي لهذه التقاليد الإسلامية، ومن بينها كانت الأحاديث الطبية والتي ناقشت قضايا الصحة والمرض، وهذه الفصول الطبية في كتاب زاد المعاد هي التي نشرت بشكل منفصل فيما بعد تحت عنوان كتاب الطب النبوي لابن قيم الجوزية[٢١].

على الرغم من أنَّ كتاب ابن قيم الجوزية معروف بأنه كتابٌ للطب النبوي، ولكن المثير للاهتمام في هذا الكتاب وخاصة في الفصل المتعلق بالأدوية والأغذية المفردة، الذي اسماه ابن القيم (**فصل في ذكر شيء من الأدوية والأغذية التي جاءت على لسانه صلى الله عليه وسلم مرتبة على حروف المعجم**)، نلاحظ أن ابن القيم يذكر معلومات طبية مبنية على نظرية الأخلاط؛ حيث إنه يقتبس من بعض مؤلفي كتب الطب التقليدي كابن ماسويه (المتوفى حوالي ٢٤٢هـ/٨٥٧م)[٢٢]، وابن سينا، والغافقي (المتوفى عام ٥٦٠هـ/١١٦٥م)[٢٣]، كما أنه أورد اقتباسات لجالينوس. مما يجعله من الأمثلة الواضحة للاندماج بين مصادر خطي المعرفة الطبية الذين كانا سائدين في صدر الحضارة العربية الإسلامية، وكيف أصبحت تلك الأحاديث النبوية كمصدرٍ من مصادر المعرفة الطبية في تلك الفترة الزمنية[٢٤].

وهنا لا بد من التأكيد على أن ابن القيم ليس مسؤولاً عن تلك المعلومات المتعلقة بالأحاديث النبوية، وإنه هو كان حافظًا لمعرفة أصلية وردت في السيرة النبوية، هذه المعرفة ليست تعبيرًا عن معرفة في مرحلة زمنية محددة، وإنما هي تعبيرٌ عن معرفة دائمة وغير قابلة للتغيير، والتي يمكن فهمها بشكل مختلف من قبل المؤلفين المختلفين وفي أوقات زمنية مختلفة[٢٥].

في الفترة الزمنية الموافقة لابن قيم الجوزية ظهر أيضًا كتاب الطب النبوي للذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي (المتوفى عام ٧٤٨هـ/١٣٤٨م)[٢٦]؛ حيث قام الذهبي بتقسيم الكتاب لثلاثة أقسام رئيسية؛ القسم الأول يذكر فيه نظرية الطب، بينما القسم الثاني احتوى على ترتيب ألفبائي للأدوية والأغذية مع ذكر صفاتها واستخداماتها الطبية، ومن ثم أورد في القسم الثالث ذكر أعراض ومعالجات لعشرين مرضًا، ونلحظ هنا أيضًا الدمج بين مصادر خطي المعرفة الطبية، كما وجدنا في كتاب ابن قيم الجوزية.

إن هذا الدمج بين مصادر الطب التقليدي والأحاديث النبوية يظهر أيضًا في كتاب الطب النبوي لجلال الدين السيوطي (المتوفى عام ٩١١هـ/١٥٠٥م)[٢٧]، والمسمى باسم المنهج السوي والمنهل الروي في الطب النبوي، فبالإضافة لذكره عددٍ من الأحاديث النبوية حول الطب والتداوي؛ فإن السيوطي يقتبس عن ابن سينا فيما يتعلق بنظرية الأخلاط وباقي الأسس النظرية لها، أو ما كان يعرف باسم الكليات في الطب. وفي الفصل المسمى (**أحكام الأدوية**): نلاحظ أن السيوطي يقتبس مرة أخرى من كتب الطب التقليدي لابن سينا، والغافقي، كما يقتبس من كتاب الموجز في الطب لابن النفيس القرشي (المتوفى عام ٦٨٧هـ/١٢٨٨م)[٢٨]، بالإضافة لذكره للعديد من الأحاديث النبوية المقتبسة من كتاب ابن قيم الجوزية، ولكن لا بد من الإشارة إلى أن عدد الأحاديث الواردة في كتاب السيوطي هو أكثر بكثير مما ذكره ابن قيم الجوزية في كتابه الطب النبوي.

مما سبق نلاحظ أن بعض كتب الطب النبوي قد أوجدت بالفعل دمجًا بين مصادر المعرفة التقليدية المرتبطة بنظرية الأخلاط وبين الأحاديث والقصص النبوية، ولكن يبقى السؤال حول معرفة ما هو أول كتاب للطب النبوي أوجد هذا الدمج بحاجة لدراسة أوسع[٢٩].

٤. دراسة اعتماد كتب الطب التقليدي عند العرب على الطب النبوي كمصدر للمعرفة الطبية

بناءً على الاندماج بين مصادر المعرفة الطبية المعتمدة على أسس نظرية الأخلاط من جهة والأحاديث والقصص النبوية من جهة أخرى، والذي ظهر في بعض كتب الطب النبوي، يبرز هنا سؤال حول مدى وجود هذا الاندماج في الكتب العربية المتخصصة بالطب التقليدي والمبنية على نظرية الأخلاط، وإن كانت هذا الكتب قد اعتمدت على الطب النبوي كمصدر من مصادر المعرفة الطبية؟

للإجابة على هذا التساؤل سأبحث في أهم المؤلفين بتاريخ الطب العربي انطلاقًا من القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي ووصولاً إلى القرن الحادي عشر الهجري/السابع عشر الميلادي، وخاصة ممن كانت لديهم كتابات متعلقة بالأغذية أو الأدوية المفردة[٣٠].

فعند النظر في كتاب الحاوي في الطب لأبو بكر الرازي[٣١]، فإن الرازي في الأجزاء العشرين والحادي والعشرين المتعلقة بالأدوية المفردة لم يورد ذكر أية حديث أو قصة نبوية متعلقة بالاستخدامات العلاجية للأغذية التي ذكرها في كتابه، وقد يمكن تبرير ذلك بأن الرازي

كان متأثرًا بشكل واضح بالمصادر الطبية غير العربية وخاصة اليونانية، وهذه المصادر لم تكن لتتضمن أحاديثًا نبوية، وبالإضافة لذلك فإن الرازي يذكر في الكتاب أيضًا بضعًا من خبرته باستخدامه لفظ (لي)، أو لمشاهداته كأن يقول: وأهل مصر أو وأهل الشام وهكذا، ولكن على الرغم من ذلك فإنه لم يورد أية حديث نبوي في كتابه بشكل عام. وهذا ينطبق أيضًا على كتاب الاعتماد في الأدوية المفردة لابن الجزار (المتوفى حوالي عام ٣٩٥هـ/١٠٠٤م)[٣٢]، فإننا نلاحظ أن ابن الجزار بشكل عام لم يذكر أحاديثًا أو قصصًا من السيرة النبوية، والأكثر من ذلك فإن أغلب الأغذية التي أورد عنها الحَرَضي أحاديثًا نبوية لم ترد أصلاً في كتاب ابن الجزار.

بالانتقال إلى ابن سينا[٣٣]، الاسم الشهير في تاريخ الطب عند العرب، والمعروف باسم الشيخ الرئيس، صاحب كتاب القانون في الطب[٣٤]، في المجلد الثاني والذي خصصه ابن سينا للحديث عن الأدويـة المفردة نلاحـظ: أن ابن سينا لم يعتمد على ذكر أحاديثٍ أو قصصٍ من السيرة النبوية إن كان في الأغذية التي ذكرها الحَرَضي أو حتى في باقي الأدوية والأغذية التي ذكرها ابن سينا عمومًا في كتابه، ويمكن تفسير ذلك بأحد الاتجاهين: الأول أنَّ أغلب معلومات ابن سينا حول الأغذية والأدوية المفردة مقتبسة من ديسقوريدوس وجالينوس ولذلك لا نلاحظ وجودًا للأحاديث النبوية في كتاب القانون في الطب، الثاني أن منهجية التأليف الطبي في ذلك الوقت لم تكن لتذكر الأحاديث النبوية كمصدرٍ للمعرفة حول الاستخدامات العلاجية للأغذية، والأمر ذاته ينطبق على ابن هبل البغدادي (المتوفى عام ٦١٠هـ/١٢١٣م)[٣٥]، صاحب كتاب المختارات في الطب حيث نلاحظ أيضًا عدم ورود أحاديثٍ أو قصصٍ من السيرة النبوية في الكتاب، ويمكن تفسير ذلك بأن ابن هبل يقدم كتابه المختارات على أنه تلخيصٌ لكتاب القانون في الطب لابن سينا، ولذلك لم يكن يريد إضافة معلومات لم يوردها ابن سينا، أو أن منهجية التأليف الطبي في ذلك الوقت لم تكن بالفعل لتعتمد على ذكر أحاديثٍ أو قصصٍ من السيرة النبوية كمصدر للمعرفة متعلقٌ بالاستخدامات العلاجية لبعض الأغذية والأدوية.

٥. دراسـة اعتماد كتب الأدوية والأغذية عند العـرب على الطب النبـوي كمصدر للمعرفة الطبية

فيما يتعلق بموسوعات الأغذية أو الأدوية المفردة والتي ظهرت أيضًا في تلك الفترة الزمنية وما يليها، هنا يبرز اسم نجيب الدين السمرقندي (المتوفى عام ٦١٩هـ/١٢٢٢م)[٣٦]، صاحب كتاب الأغذية والأشربة للأصحاء[٣٧]، ولدى العودة إلى هذا الكتاب فإننا نلاحظ بأن السمرقندي أيضًا لم يذكر أحاديثًا نبوية متعلقة بالاستخدامات الطبية لبعض الأغذية، ولكن الملاحظ هنا بأن السمرقندي كان له اطلاعا بالأمور الدينية وظهر ذلك من خلال نقاشه لموضوع استخدام الخمر في المعالجة وتحريمه في الشريعة الإسلامية[٣٨]، وهو مما يدل على حصوله على خلفية معرفية دينية، ولكن عدم استخدامه لأية أحاديث نبوية قد يثير التساؤل أيضًا حول منهجية التأليف الطبي في تلك الفترة الزمنية للحضارة العربية الإسلامية. كما يمكن تفسير ذلك أيضًا بأن الغاية من تأليف هذه الكتب كان طبيًا خالصًا، وإن

القارئين لتلك الكتب والموسوعات لم ينتظروا ورود أحاديث نبوية في كتب الطب المعتمد على نظرية الأخلاط، ولذلك لم يشر مؤلفو تلك الموسوعات الطبية والصيدلانية إلى أحاديث نبوية أو قصص من السيرة النبوية، على الرغم من معرفتهم بها.

هذا الأمر ينطبق أيضًا على ابن البيطار (المتوفى عام ٦٤٦هـ/١٢٤٨م)[٣٩]، صاحب كتاب الجامع لمفردات الأدوية والأغذية، ولدى العودة لهذا الكتاب نلاحظ بأن ابن البيطار لم يورد أية حديثٍ أو قصةٍ من السيرة النبوية تختص بالاستخدامات العلاجية لبعض الأغذية، وبما أن ابن البيطار قد اعتمد على أهم المصادر العربية التي كانت سائدة في تلك الفترة حول الأدوية المفردة والأغذية فإن خلو كتابه من الأحاديث النبوية قد يؤكد ما أشرت له مسبقًا بأن منهجية التأليف الطبي التي كانت سائدة في الحضارة العربية الإسلامية قد تكون بُنيت على عدم المزج بين مصادر الطب التقليدي وأحاديث الطب النبوي. ومما قد يؤكد هذا الأمر أن ابن النفيس، صاحب كتاب المختار من الأغذية[٤٠]، لم يذكر أيضًا أية حديث أو قصة من السيرة النبوية تتحدث عن الاستخدامات العلاجية لبعض الأغذية الواردة بالكتاب، وهنا يثار سؤال حول متى بدأت الموسوعات الطبية أو المتعلقة بالأغذية والأدوية المفردة تذكر الأحاديث أو القصص النبوية كنوع من مصادر المعرفة في معرض حديثها عن الاستخدامات العلاجية لبعض الأغذية أو الأدوية؟

في أواخر القرن السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي قام الملك مظفر الغساني التركماني (المتوفى عام ٦٩٤هـ/١٢٩٥م)[٤١]، بوضع كتاب اسماه المعتمد في الأدوية المفردة، وهو يقول أنه قام من خلاله باختصار كتاب ابن البيطار الجامع لمفردات الأدوية والأغذية، وهو ما يبدو بالفعل من خلال قراءة هذا الكتاب، وخاصة أنه لم يحتوِ على أحاديث أو قصص من السيرة النبوية كما وجدنا في كتاب ابن البيطار، ولكن ما يثير الاهتمام بالفعل هو ما ورد في معرض حديث التركماني عن السفرجل[٤٢]، حيث يوجد في هامش الكتاب اقتباس عن كتاب تحفة العجائب؛ وقد احتوى هذا الاقتباس على حديث وقصة من السيرة النبوية توضح الفوائد العلاجية للسفرجل ليكون مصدرًا لتلك المعرفة الطبية[٤٣].

٦. بداية ظهور الطب النبوي كمصدر للمعرفة في كتب الطب التقليدي عند العرب

مما وجدناه سابقًا لا بد من العودة لكتاب تحفة العجائب وطرفة الغرائب لابن الأثير الجزري (المتوفى عام ٦٣٠هـ/١٢٣٣م)[٤٤]، حيث نلاحظ ابتداء من فصل النبات أنّ ابن الأثير يذكر العديد من الأحاديث أو القصص من السيرة النبوية التي تتناول الاستخدامات العلاجية لبعض النباتات، مثل النخيل، والتمر، والزيتون، والسفرجل، والتين، والزبيب، والرمان، والبطيخ، والقرع، وغيرها. والملاحظ أيضًا اعتماد ابن الأثير على الطب التقليدي المبني على نظرية الأخلاط في توصيفه للنباتات واستخداماتها العلاجية، وهو ما يمثل تمامًا الدمج بين مصادر خطي المعرفة الطبية في الحضارة العربية الإسلامية. على الرغم من أن ابن الأثير يقول في بداية المخطوطة أن معلوماته جمعها من عدة كتب

وفقًا للمعلومات المختلفة الواردة في كتابه، ولكن مما يثير الانتباه أنه يذكر كتاب ابن البيطار كمرجع له في كتابة فصل النبات، ورغم أننا وجدنا أن ابن البيطار لم يورد في كتابه أيًا من الأحاديث أو القصص النبوية حول الاستخدامات العلاجية لبعض النباتات، فهنا يتبادر إلى الأذهان سؤالٌ حول ما هو مصدر ابن الأثير في استخدام هذا المنهج المعتمد على الدمج بين مصادر الطب التقليدي والطب النبوي واعتماد الأحاديث النبوية كمصدر من مصادر المعرفة الطبية.

بما أن كتاب تحفة العجائب لا يمكن اعتباره موسوعة متخصصة بالنباتات أو الأدوية المفردة وذلك لاحتوائه على العديد من المواضيع المختلفة ومعظمها بعيدٌ تمامًا عن الطب والصيدلة، فإن وجود هذا الدمج بين مصادر الطب التقليدي والطب النبوي يطرح سؤالاً حول المنهجية التي كانت سائدة في الكتب غير الطبية، والتي تناولت في بعض أبوابها موضوع النباتات أو التغذية في الحضارة العربية الإسلامية. إن الإجابة على هذا السؤال تحتاج لبحث آخر يتناول النصوص غير الطبية والتي احتوت على أبوابٍ تتناول النباتات واستخداماتها العلاجية، وهنا لا يمكنني الإجابة بشكل دقيق، وأترك السؤال مفتوحًا للمهتمين بمتابعة البحث في هذا الموضوع بغية التوصل إلى إجابة شافية[٤٥].

ومن الكتب التي ظهرت في بدايات القرن السابع الهجري/الرابع عشر الميلادي كتاب الأحكام النبوية في الصناعة الطبية لابن طرخان الحموي (المتوفى عام ٧٢٠هـ/١٣٢٠م)[٤٦]، قام الحموي بتقسيم هذا الكتاب لعشرة أبواب، والقارئ لهذا الكتاب سيلاحظ الاندماج الواضح بين الأحاديث النبوية وبين مصادر الطب التقليدي المبنية على نظرية الأخلاط، حيث نلاحظ ورود اقتباسات عن ابن سينا وأبو بكر الرازي، بالإضافة لاقتباسات عن جالينوس وديسقوريدوس. وهنا يمكن ملاحظة أن الحموي اتبع أسلوبًا مبنيًا على ذكر الحديث النبوي أولاً، ومن ثم يقوم بشرحه من الناحية الطبية معتمدًا على معلومات الطب التقليدي، وبالتالي يمكن القول إن الحموي وضع مصادر الطب التقليدي في خدمة معلومات الطب النبوي، وبالتالي أوجد نوعًا من الاندماج العلمي بين مصادر خطي المعرفة الطبية الذين كانا سائدين في الحضارة العربية الإسلامية[٤٧].

اعتبارًا من القرن التاسع الهجري/الخامس عشر الميلادي تراجع ظهور الموسوعات الطبية العربية، ولكن يمكن الإشادة ببعض الأسماء التي ظهرت لاحقًا وخاصةً في القرنين العاشر والحادي عشر الهجريين/السادس عشر والسابع عشر الميلاديين، حيث كان لكتاباتها العلمية الطبية الأثر الكبير في الحضارة العربية الإسلامية، فعلى سبيل المثال في أواخر القرن العاشر وبدايات القرن الحادي عشر الهجريين/ السادس عشر الميلادي ظهر اسم هام في تاريخ الطب عند العرب وهو داوود الأنطاكي (المتوفى عام ١٠٠٨هـ/١٥٩٩م)[٤٨]؛ حيث كانت لكتبه شهرة واسعةٌ[٤٩]، ولدى النظر في كتب داوود الأنطاكي نلاحظ بأنه لم يورد أحاديثًا أو قصصًا من السيرة النبوية، ويبدو أن الأنطاكي إما لم تسنح له الفرصة للاطلاع على كتاب ابن قيم الجوزية، أو أنه اطلع عليه بالفعل، ولكنه أراد الالتزام بأسس ومنهجية كتب الطب التقليدي

القائمة على نظرية الأخلاط. دون ذكر أحاديثً نبوية كمصدر من مصادر المعرفة الطبية.

٧. الطب النبوي كمصدر للمعرفة الطبية في كتب الطب عند العرب في القرن الحادي عشر الهجري/السابع عشر الميلادي

من الأسماء التي ظهرت في القرن الحادي عشر الهجري/السابع عشر الميلادي وكان لكتاباته أيضًا أهمية في تلك الفترة وما تلاها هو صالح ابن سلوم الحلبي (المتوفى عام ١٠٨١هـ/١٦٧٠م)[٥٠]، ومن أهم كتبه كتاب غاية البيان في تدبير بدن الإنسان، وعلى الرغم من أن ابن سلوم الحلبي كان معروفًا بتأثره الكبير بآراء العديد من الأطباء الأوروبيين، ولعل أهمهم باراسيليوس (المتوفى عام ٩٤٨هـ/١٥٤١م)، والتي كانت مبنية على الربط بين الكيمياء والطب وهو ما كان يُعرف حينها باسم الطب الكيميائي الجديد، ولكن عند الاطلاع على كتاب غاية البيان وخاصة الأجزاء المتعلقة بالأدوية المفردة فإننا نلاحظ ورود العديد من الأحاديث والقصص من السيرة النبوية كنوع من مصادر المعرفة الطبية التي تثبت بعض الاستخدامات العلاجية لبعض الأغذية، ومنها ما ورد في كتاب التحفة الجامعة مثل السفرجل، والحبة السوداء، والرمان، ومنها ما هو غير مذكور في كتاب التحفة كالأرز والزبيب والتين وغيرها من الأغذية. وعلى الرغم من أن ابن سلوم كان يذكر دومًا مصادر اقتباساته، إلا أنه عند ذكره لتلك الأحاديث النبوية كان يكتفي بقول الحديث من دون ذكر مصدره، فهل كان كتاب ابن قيم الجوزية هو المصدر لتلك الأحاديث النبوية، أم أن ابن سلوم اعتمد على كتابٍ آخر[٥١]، لكن على الرغم من ذلك فإنه من الواضح تمامًا أن الطب النبوي عند ابن سلوم كان من مصادر المعرفة الطبية والتي اعتمد عليها بشكل كبير.

من الكتب المهمة التي ظهرت أيضًا في القرن الحادي عشر الهجري/السابع عشر الميلادي كتاب غاية الغرض في معالجة المرض[٥٢]، من تأليف الشريف منصور الحسيني (كان حيًا عام ١٠٨٥هـ/١٦٧٤م)[٥٣]، أهمية هذا الكتاب تعود لكونه عبارة عن ترجمة لكتاب المنهج في علم الطب الذي كتبه نجيب الدين السمرقندي -الذي ورد معنا سابقًا- باللغة الفارسية[٥٤]، ولكن المثير للاهتمام أن النص يحتوي على ثلاثة أحاديث نبوية تثبت الاستخدامات العلاجية للحبة السوداء، وحليب الجمال، وسمن الشاة، والأكثر من ذلك أن هذه الأحاديث وردت في كتاب التحفة الجامعة وطبعًا كتاب ابن قيم الجوزية -وهي الكتب التي ظهرت بعد وفاة السمرقندي في القرن السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي-، ولذلك فإنه يتبادر إلى الأذهان مباشرة سؤال هام حول إن كانت هذه الأحاديث قد أضيفت من قبل المترجم الشريف منصور الحسيني أم أنها كانت واردة أصلاً في النص الفارسي للسمرقندي. للأسف لم أتمكن من العثور على النص الأصلي لكتاب السمرقندي من أجل الإجابة على هذا السؤال، وهذه دعوة للباحثين المهتمين بهذا الموضوع للبحث عن النص الفارسي لكتاب السمرقندي والإجابة على السؤال المتعلق بورود تلك الأحاديث النبوية فيه.

٨. المناقشة

قبل البدء بالمناقشة، لا بد من ذكر وجهة نظر قائمة على مبدأ أن الأحاديث النبوية بشكل عام وبخاصة المتعلقة بالصحة والمرض هي تعبير عن معرفة إلهية موحاة للنبي محمد عليه الصلاة والسلام، وبالتالي فهي صحيحة بالضرورة ولا شك فيها[٥٥]. وعلى الرغم من أن العديد من مؤرخي الطب ينظرون إلى الطب النبوي على أنه رد فعل على انتشار الطب التقليدي القائم على مبادئ جالينوس، وقد كان العامل الحاسم هنا أن مؤلفي كتب الطب النبوي كانوا رجال دين، وبالتالي كان يُنظر إلى الطب النبوي على أنه البديل الأصلي للطب والذي يتم اشتقاقه من الجذور الإسلامية المبنية على الأحاديث النبوية. ولكن القارئ بتمعن أكثر في كتب الطب النبوي سيلاحظ بأن ظهور هذه الكتب كان بغية محاولة تنظيم وصياغة العلاقة بين الخطاب الديني والعلمي التقليدي الذي كان سائدًا بغية خلق الجسور فيما بين خطي المعرفة الطبية[٥٦].

على كل حال ستكون مناقشة العلاقة بين نوعي المعرفة الطبية في الحضارة العربية الإسلامية بالاتجاهين فعند النظر في كتب الطب النبوي فإننا نلاحظ أن أولى الكتب التي عنت بذكر الأحاديث أو القصص النبوية التي تختص بالفوائد العلاجية لبعض الأغذية والأدوية لم تكن لتحتوِ اقتباسات من مصادر المعرفة التقليدية المبنية على نظرية الأخلاط، كما وجدنا في كتابي أبو نعيم الأصفهاني والضياء المقدسي.

وإنَّ كتاب ابن قيم الجوزية من أوائل كتب الطب النبوي التي أوجدت هذا الدمج مع مصادر المعرفة التقليدية، وهو ما سار عليه أيضًا جلال الدين السيوطي في كتابه المنهج السوي والذي أظهر بوضوح هذا الدمج بشكل أكبر من خلال عدد الأحاديث التي أوردها السيوطي بالمقارنة مع كتاب ابن القيم، بالإضافة لإلتزام ابن القيم والسيوطي بذكر الاقتباسات من الطب التقليدي لابن سينا والغافقي وابن النفيس القرشي، وغيرهم.

على الضفة الأخرى فإن أهم الموسوعات الطبية المبنية على الطب التقليدي والتي ظهرت في فترة الحضارة العربية الإسلامية الممتدة من القرن الثاني الهجري/الثامن الميلادي ووصولاً إلى القرن السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي لأشهر المؤلفين كالرازي، وابن الجزار، وابن سينا، وابن هبل البغدادي، لم تعتمد الطب النبوي كمصدر للمعرفة الطبية، وهو ما ينطبق أيضًا على موسوعات الأغذية أو الأدوية المفردة ككتب نجيب الدين السمرقندي، وابن البيطار، وابن النفيس، حيث لم نجد أي أثرٍ لهذه الاقتباسات، باستثناء كتاب ابن طرخان الحموي الذي أوجد هذا الإندماج بين اقتباسات الطب التقليدي والطب النبوي.

قد يكون لظهور كتب الطب النبوي وخاصة كتاب ابن قيم الجوزية أولاً ومن ثم كتاب السيوطي ثانيًا الأثر في تغير منهجية التأليف في كتب الطب التقليدي، وهو ما لمسناه بوضوح في كتاب التحفة الجامعة لمفردات الطب النافعة. وعلى الرغم من أن داوود الأنطاكي من أواخر القرن العاشر وبدايات القرن الحادي عشر الهجريين/ السادس عشر الميلادي لم يورد ذكرًا للأحاديث أو القصص النبوية في كتابه تذكرة أولي الألباب، ولكن في القرن الحادي عشر الهجري/السابع عشر الميلادي فإن الوضع اختلف تمامًا حيث

لاحظنا الاندماج الكبير الموجود عند ابن سلوم الحلبي بين مصادر خطي المعرفة الطبية في كتابه غاية البيان. وهو ما وجدناه أيضًا في كتاب غاية الغرض في معالجة المرض للشريف الحسيني، مع ملاحظة أن هذا الإندماج قد يكون بدأ أولاً عند نجيب الدين السمرقندي في النص الأصلي لكتاب غاية الغرض والمكتوب باللغة الفارسية كما ذكرت سابقًا.

وبالتالي يبقى السؤال حول أول من أوجد هذا الاندماج بين مصادر خطي المعرفة الطبية في كتب الطب التقليدي قيد الدراسة، ففي حال ورود الأحايث النبوية في النص الفارسي لكتاب السمرقندي فذلك قد يوحي بأن السمرقندي قد يكون من أوائل من اعتمد الطب النبوي كمصدر للمعرفة في كتب الطب التقليدي، وفي حال عدم ورود الأحاديث في النص الفارسي فقد يكون ابن طرخان الحموي هو من أوائل من أورد هذا الإندماج، وعلى كل حال قد يكون هناك من سبقهم في إيجاد هذا الدمج، وبالتالي فإن معرفة من هو أول من اعتمد على الطب النبوي كمصدر للمعرفة في كتب الطب التقليدي يحتاج لبحث مستقلٍ مطول يتناول جميع كتب الطب التقليدي التي ظهرت في تلك الفترة الزمنية للحضارة العربية الإسلامية.

والنقطة التي تثير التساؤل أيضًا هو ما ورد في كتاب تحفة العجائب وطرفة الغرائب لابن الأثير الجزري، حيث إن الجزري يذكر العديد من الأحاديث وقصص السيرة النبوية في فصل النبات رغم أنه يقول إن مصدر معلوماته هو كتاب ابن البيطار، مع العلم أن ابن البيطار لم يورد الطب النبوي كمصدر للمعرفة الطبية، وبما أن الجزري يسبق ابن قيم الجوزية بقرن من الزمن، فهذا أثار سؤالاً عن المصدر الذي اعتمده الجزري في اعتماد الأحاديث النبوية كمصدر للمعرفة الطبية، كما يتبادر أيضًا سؤالٌ حول منهجية التأليف في الموسوعات غير الطبية والتي احتوت على فصولٍ متعلقة بالأغذية أو الأدوية المفردة وإن كانت قد ضمت هذا الدمج بين مصادر خطي المعرفة الطبية، هذه النقطة بحاجة لبحث منفرد يتعلق بالموسوعات غير الطبية التي ظهرت في صدر الحضارة العربية الإسلامية بغية الإجابة على هذا السؤال.

ومن النقاط التي يمكن ذكرها أيضًا أن كتب الطب النبوي التي سبقت كتاب ابن قيم الجوزية قد تكون لم تنل هذه الشهرة الكبيرة والانتشار الذي نالها كتاب ابن القيم، وبالتالي لم تسنح لمؤلفي كتب الطب التقليدي الإطلاع على تلك الكتب المتعلقة بالطب النبوي، مما يسمح لهم بإضافتها كمصدر للمعلومات الطبية إلى كتبهم، بينما نجد أنه بعد ظهور كتاب ابن قيم الجوزية وانتشاره فإن الموسوعات الطبية التي ظهرت بعده اعتمدت عليه وأظهرت هذا الإندماج بين مصادر المعرفة الطبية بشكل أوضح، والذي ظهر جليًا في كتاب التحفة الجامعة للحَرَضي في القرن التاسع الهجري/الخامس عشر الميلادي، وكتاب غاية البيان لابن سلوم الحلبي في القرن الحادي عشر الهجري/السابع عشر الميلادي.

٩. الخلاصة

بادئ ذي بدء فإن النقاط البحثية المتعلقة بمن هو أول من أظهر الإندماج بين مصادر المعرفة الطبية؛ إن كان في كتب الطب التقليدي، أو

في كتب الطب النبوي، أو في مدى وجود هذا الإندماج في الموسوعات غير الطبية التي ضمت فصولاً حول الأغذية أو الأدوية المفردة، لا تزال بحاجة لبحث ودراسة مستفيضة وهذه دعوة للباحثين المهتمين بهذا المجال للإجابة على هذه الأسئلة البحثية.

ومع ذلك، يمكن القول إنه في الحضارة العربية الإسلامية كان هناك خطان متوازيان من مصادر المعرفة الطبية؛ الأول قائم على المبادئ التقليدية للصناعة الطبية والمعتمدة أساسًا على نظرية الأخلاط والتي بدأت بشكل رئيس في الحضارة اليونانية عبر أبقراط وفيما بعد جالينوس، ومن ثم ازدهرت في الحضارة العربية الإسلامية على يد عددٍ من المؤلفين أمثال أبو بكر الرازي، وابن سينا، وابن الجزار، ونجيب الدين السمرقندي، وابن البيطار، وابن النفيس القرشي. بينما كان الخط الثاني قائمًا على الأحاديث والقصص من السيرة النبوية المتعلقة بالأمور الصحية، وخاصة بالفوائد العلاجية لبعض الأغذية، والذي بدأ بالظهور مع بدايات القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي، والذي عُرِف باسم الطب النبوي.

على الرغم من أن كلا خطي مصادر المعرفة الطبية كانا موجودين في صدر الحضارة العربية الإسلامية ولكن من الممكن أن منهجية التأليف الطبي التي اعتمدها المؤلفون في تلك الفترة الزمنية كانت قائمة على عدم ذكر كلا خطي المعرفة الطبية، وإن الإندماج قد ظهر بشكل واضح في كتاب ابن قيم الجوزية، والذي ربما يمكن اعتباره -بطريقة ما- السبب لاحقًا في ظهور هذا الدمج بين مصادر المعرفة الطبية المبنية على نظرية الأخلاط والمعرفة الطبية الناتجة عن الأحاديث والقصص الواردة في السيرة النبوية بشكل جلي.

ويمكن القول أيضًا بأن الطب النبوي كان عبارةً عن نتاجٍ آخر للبيئة الفكرية التي كانت سائدة، حيث تتبادل النخب الدينية والعلمية الأفكار بغية تشكيل معتقدات ووجهات نظر من خلال التبادل بين الأشكال المختلفة للمعرفة وكمثال عنها الكتابات العلمية والأدب الديني.

وفي النهاية يتبادر إلى الأذهان سؤال حول إن كانت كتب الطب النبوي يمكن اعتبارها كجزء من علم الطب في القرون الوسطى، أو أنه يجب اعتبارها كجزء من كتب الشريعة الإسلامية، ويبقى هذا السؤال مفتوحًا للمناقشة.

***

الهوامش

(١) صيدلاني، حاصل على درجة الدكتوراه بتاريخ العلوم الطبية، يعمل في قسم تاريخ الصيدلة في جامعة براونشفايغ التقنية، البريد الالكتروني a.atat@tu-bs.de.

(٢) الاسم الكامل للعامِري الحَرَضي هو: أبو زكريا يحيى بن أبي بكر بن محمد بن يحيي العامِري الحَرَضي.

(٣) إن هذه المخطوطة كانت المنطلق للتفكير بكتابة هذه المقالة، وسأورد هنا شرحًا مبسطًا عن هذه المخطوطة، ومن ثم سأستكمل بشكل أوسع لمناقشة العلاقة بين مصادر تاريخ الطب التقليدي ومصادر الطب النبوي عمومًا دون التركيز بشكل كامل على مخطوطة التحفة الجامعة.

(٤) من تصانيفه: غربال الزمان في التاريخ، بهجة المحافل وبغية الاماثل في تلخيص السير والمعجزات والشمائل، الرياض المستطابة في

جملة من روى في الصحيحين من الصحابة، والتحفة الجامعة لمفردات الطب النافعة، ولمعرفة المزيد عنه يمكن الرجوع إلى كتب: هدية العارفين لإسماعيل باشا البغدادي (٥٢٩/٢)، الأعلام للزركلي (١٣٩/٨)، معجم المؤلفين لعمر رضا كحالة (٨٨/٤).

(٥) من الملاحظ في مقدمة الكتاب أنَّ المؤلف لم يشر لذكره للأحاديث أو القصص النبوية المتعلقة بالفوائد العلاجية لبعض الأغذية أو الأدوية في كتابه.

(٦) القرآن الكريم، سورة التكاثر، الآية ٨.

(٧) هذا النوع من المقدمات ليس غريبًا عن المخطوطات الطبية العربية، فكثيرًا ما استشهد المؤلفون في بدايات كتبهم بعددٍ من الآيات القرآنية، أو ذكروا مجموعة من الأحاديث النبوية.

(٨) لن أخوض في دراسة هذا الفصل لأنني لست مختصًا بهذا العلم، وإنما أركز في هذه المقالة على دراسة تاريخ الطب والصيدلة في الحضارة العربية الإسلامية من وجهة نظر علمية طبية وليست دينية. ويمكن للمهتمين بهذا الموضوع العودة للمخطوطة وقراءة الفصل بشكل كامل ومفصل.

(٩) ليست الغاية من هذه المقالة دراسة الأحاديث النبوية ذاتها، وإنما دراسة ظاهرة استخدام هذه الأحاديث كمصدر للمعرفة الطبية في كتب الطب التقليدي المعتمدة على نظرية الأخلاط.

(١٠) كما هو معلوم فإن الحضارة العربية الإسلامية كانت غنيةً بأنواع الأدوية المفردة التي كانت تستخدم في المعالجات الطبية، حيث يكفي أن نقول بأن ابن البيطار ذكر في كتابه المشهور الجامع لمفردات الأدوية والأغذية ما يزيد عن ١٤٠٠ دواء مفردًا.

(١١) هذا الحديث صحيح وقد ورد في صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه، وفي سنن ابن ماجة عن عائشة رضي الله عنها.

(١٢) يُعتبر أبقراط (المتوفى تقريبًا عام ٣٧٥ قبل الميلاد) أول من وضع أسس نظرية الأخلاط، كما تبناها أيضًا جالينوس (المتوفى تقريبًا عام ١٢٩م)، ومن ثم انتقلت للحضارة العربية، حيث كانت هي النظرية الأساسية لتفسير المرض وتحضير المعالجات اللازمة له. واستمرت هذا النظرية هي السائدة في تاريخ الطب لعقود من الزمن.

(١٣) كل دواء مفرد قد يحمل صفتين كأن يكون حار رطب، أو حار جاف، أو بارد رطب، أو بارد جاف، ولكن طبعًا لا يمكن أن يكون حار بارد، باستثناء بعض الأدوية النباتية حيث قد تكون بعض أجزائها حارة، والأجزاء الأخرى باردة.

(١٤) انظر (Perho, ١٩٩٥, ٥).

(١٥) انظر (Ragab, ٢٠١٢, ٦٥٩).

(١٦) هو أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران أبو نعيم الإصفهاني الفقيه الشافعي الحافظ المحدّث المؤرخ المتوفى المعروف بأبي نعيم الإصبهاني المتوفى باصفهان، لمزيد من المعلومات انظر معجم المؤلفين لكحالة (١٧٦/١).

(١٧) للاطلاع أكثر يمكن العودة لكتاب الطب النبوي لأبو نعيم الأصفهاني، المتاح عبر الشبكة الإلكترونية.

(١٨) هو محمد بن عبد الواحد بن أحمد ضياء الدين المقدسي المعروف باسم الضياء المقدسي، من علماء الحديث المعروفين، مؤرخ من أهل دمشق، وروى عن أكثر من ٥٠٠ شيخ، لمزيد من المعلومات انظر الأعلام للزركلي (٢٥٥/٦).

(١٩) للاطلاع أكثر يمكن العودة لكتاب الطب النبوي للضياء المقدسي، المتاح عبر الشبكة الإلكترونية.

(٢٠) هو محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزُّرْعي الدمشقيّ، أبو عبد الله، شمس الدين: من أركان الإصلاح الإسلامي، وأحد كبار العلماء. مولده ووفاته في دمشق، ولمزيد من المعلومات انظر الأعلام للزركلي (٥٦/٦)، وهدية العارفين لإسماعيل باشا البغدادي (١٥٨/٢).

(٢١) انظر (Perho, ١٩٩٥, ٣٠-٣١).

(٢٢) هو يوحنا بن ماسويه البغدادي، طبيب سرياني نشأ في بغداد واتصل بهارون الرشيد وعهد إليه ترجمة

ما وجد من كتب الطب القديمة في أنقرة وعمورية وغيرهما من بلاد الروم، ولمزيد من المعلومات انظر معجم المؤلفين لكحالة (١٣٧/٤).

(٢٣) هو أبو جعفر الغافقي، من أشهر علماء الأندلس وخاصة بالنباتات، كتابه الأدوية المفردة، المعروف باسم نباتات الغافقي يُعتبر -من وجهة نظري- تحفة فنية لاحتوائه على رسومات توضح النباتات الواردة في هذا الكتاب.

(٢٤) للاطلاع أكثر يمكن العودة لكتاب الطب النبوي لابن قيم الجوزية، المتاح بعدة طبعات عبر الشبكة الإلكترونية.

(٢٥) انظر (Ragab ,٢٠١٢ ٦٦٣).

(٢٦) للاطلاع على السيرة الذاتية للذهبي انظر (Perho, ١٩٩٥, ٣٤-٤٠).

(٢٧) هو أبو الفضل جلال الدين عبد الرحمن بن الكمال أبي بكر، ولد بالقاهرة وكان والده من أعلام الشافعية، عاش في جو الثقافة وحبب إليه العلم وتطلع إلى مزيد من الدراسات والمعارف، لمزيد عن حياته، انظر نسخة كتاب السيوطي من تحقيق حسن الأهدل عام ٢٠٠٢م، صـ٤٠-٥٣.

(٢٨) هو علاء الدين علي بن أبي الحزم القَرشي الدمشقي الملقب بابن النفيس له كتاب الشامل في الطب، وله أيضًا كتاب الموجز والذي شرح فيه كتاب القانون لابن سينا، وهو كتاب فريد من خير ما صَنَّف؛ كاملٌ بالصناعة، وشاملٌ للقوانين الكلية، لمزيد من المعلومات انظر هدية العارفين لإسماعيل باشا البغدادي (٧١٤/١)؛ والأعلام للزركلي (٢٧١/٤).

(٢٩) للأسف لا يمكنني هنا الإجابة على هذا السؤال حيث إنه يحتاج لمقالة أخرى تعنى بشكل أساسي بمقارنة كتب الطب النبوي التي ظهرت بشكل خاص قبل الفترة الزمنية لابن قيم الجوزية، وهذه دعوة للمهتمين لإجراء هذه الدراسة.

(٣٠) سيكون التركيز أيضًا على العلماء المسلمين، لأنني أفترض أن هذا المنهج لم يكن متبع عند المؤلفين غير المسلمين.

(٣١) هو محمد بن زكريا الرازي أبو بكر، من الأئمة في صناعة الطب، من أهل الري ولد وتعلم بها، وسافر إلى بغداد بعد سن الثلاثين، المعروف لدى الغرب بلفظ Rhazes، لمزيد من المعلومات انظر الأعلام للزركلي (١٣٠/٦)، وعيون الأنباء لابن أبي أصيبعة (٤٢١).

(٣٢) هو أحمد بن ابراهيم بن أبي خالد ويعرف بان الجزار القيرواني، طبيب ومؤرخ، من كتبه زاد المسافر في علاج الأمراض، كتاب الاعتماد في الأدوية المفردة، والبغية في الأدوية المركبة، لمزيد من المعلومات انظر هدية العارفين لإسماعيل باشا البغدادي (٧٠/١).

(٣٣) هو حسين بن عبد الله بن سينا، أبو علي، الفيلسوف الرئيس، المعروف لدى الغرب بلفظ Avicenna، مولده في إحدى قرى بخارى، ونشأ وتعلم في بخارى، لمزيد من المعلومات انظر الأعلام للزركلي (٢٤٢/٢)، وعيون الأنباء لابن أبي أصيبعة (٤٣٧).

(٣٤) كتاب القانون في الطب امتلك شهرة واسعة وقد بقي لفترة من الزمن في بدايات العصر الحديث من الكتب الجامعية التي تدرس في عددٍ من الجامعات الأوروبية كجامة بادوفا وجامعة مونبلييه وجامعة باريس.

(٣٥) هو علي بن أحمد بن علي بن عبد المنعم، أبو الحسن المهذب، المعروف بابن هُبَل: طبيب من العلماء، ولد ببغداد، كُفّ بصره، فلَزِم منزله قبل وفاته بسنتين، ومات بالموصل. أهم كتبه هو المختارات في الطب ثلاثة أجزاء، لمزيد من المعلومات انظر الأعلام للزركلي (٢٥٦/٤)، وعيون الأنباء لابن أبي أصيبعة (٤٠٨).

(٣٦) هو محمد بن علي بن عمر، أبو حامد، نجيب الدين السمرقندي: عالم بالطب، استشهد في هراة عندما دخلها التتار. من تصانيفه: أغذية المرضى، كتاب الأقرباذين الكبير، رسالة في مداواة وجع المفاصل، وكتاب الأقرباذين الصغير، وكتاب الأسباب والعلامات الذي جمعه السمرقندي ونقله من عدة كتب أهمها كتاب القانون لابن سينا،

لمزيد من المعلومات انظر عيون الأنباء لابن أبي أصيبعة (٤٧٢-)؛ والأعلام للزركلي (٢٨٠/٦)؛ ومعجم المؤلفين لكحالة (٥٢٤/٣).

(٣٧) هذا الكتاب تم تحقيقه وترجمته إلى اللغة الألمانية من قبل الباحثة يوليانا مولر وقد طبع عام ٢٠١٧م.

(٣٨) لقراءة مناقشة السمرقندي لموضوع استخدام الخمر في المعالجة انظر الصفحات ٢٥٨-٢٦٤ من النسخة المحققة والمترجمة للغة الألمانية من كتاب السمرقندي.

(٣٩) هو عبد الله بن أحمد المالقي، أبو محمد، ضياء الدين، المعروف بابن البيطار، إمام النباتيين وعلماء الاعشاب، ولد في مالقة، وتعلم الطب، ورحل باحثًا عن الأعشاب والعارفين بها، حتى كان الحجة في معرفة أنواع النبات وتحقيقه وصفاته وأسمائه وأماكنه. واتصل بالكامل الأيُّوبي (محمد بن أبي بكر) فجعله رئيس العشابين في الديار المصرية، لمزيد من المعلومات عنه انظر الأعلام للزركلي(٦٦/٤)؛ وعيون الأنباء لابن أبي أصيبعة (٦٠١).

(٤٠) وهو أيضًا من الكتب المختصة بعلوم التغذية ككتابي نجيب الدين السمرقندي وابن البيطار المذكورين سابقًا.

(٤١) هو يوسف بن عمر بن علي بن رسول الغساني، اليمني (الملك المظفر) ثاني ملوك الدولة الرسولية في اليمن وقاعدتها صنعاء. ولد بمكة، وولي بعد مقتل ابيه بصنعاء، وأحسن صيانة الملك وسياسته، وطالت مدته، وتوفي بقلعة تعز، لمزيد من المعلومات انظر الأعلام للزركلي (٢٤٣/٨).

(٤٢) انظر كتاب المعتمد في الأدوية المفردة، طبعة دار الكتب العلمية عام ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م، صـ١٦٥.

(٤٣) بما أن التركماني لم يورد أحاديثً أو قصصًا أخرى من السيرة النبوية، فإن وجود الملاحظة على الهامش يشير (على الأغلب) أنها قد أُضيفت من شخص آخر غير التركماني؛ وهي عبارة عن تعليق على السفرجل وأن كتاب تحفة العجائب أورد هذا الحديث.

(٤٤) هو علي بن محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني عز الدين أبو الحسن الجزري الموصلي المعروف بابن الأثير الفقيه المؤرخ، لمزيد من المعلومات انظر هدية العارفين للبغدادي (٧٠٦/١).

(٤٥) كما ذكرت سابقًا فإن هذه المقالة تركز على دراسة منهجية التأليف في النصوص الطبية المعتمدة على نظرية الأخلاط ومدى اعتمادها على الطب النبوي كمصدر من مصادر المعرفة الطبية.

(٤٦) هو علي بن عبد الكريم بن طرخان الحموي، طبيب كحال، لمزيد من المعلومات انظر معجم المؤلفين لكحالة (٢/-٤٦٢).

(٤٧) انظر كتاب الأحكام النبوية المطبوع عام ١٩٥٥م، مطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر.

(٤٨) هو داوود بن عمر الأنطاكي، عالم بالطب والأدب كان ضريرًا، انتهت إليه رئاسة الأطباء في زمانه، ولد في أنطاكية، وحفظ القرآن، ودرس اللغة اليونانية فأحكمها، توفي في مكة، ومن تصانيفه الكثيرة: نُزْهَة الأذهان في طب الأبدان، النُزْهَة المبهجة في تشحيذ الأذهان وتعديل الأمزجة، وتَذْكِرَة أولي الألباب والجامع للعجب العجاب وتعرف بتَذْكِرَة الأنطاكي، لمزيد من المعلومات انظر الأعلام للزركلي (٣٣٣/٢)؛ ومعجم المؤلفين لكحالة (٧١٠/١).

(٤٩) يقول حسن العطار (المتوفى عام ١٢٥٠هـ/١٨٣٥م) أنه لما نزل بدمشق في بدايات القرن الثالث عشر الهجري/التاسع عشر الميلادي عام ١٢٢٥هـ/١٨١٠م -أي بعد قرنين من الزمن- وجد أن كتب داوود الأنطاكي ما زالت هي المصدر الرئيسي للطب بالنسبة لكثير من المتطببين مما يجعل كتبه عمدةً وإمامًا، انظر كتاب راحة الأبدان للعطار وعطعط (٤٢).

(٥٠) هو صالح بن نصر الله الحلبي، ولد بمدينة حلب، ونشأ بها وأخذ عن أكابر شيوخها وتولى مشيخة الأطباء بحلب، ومن ثم رحل إلى قسطنطينية الروم واختلط بكبرائها واشتهر أمره بينهم، كان طبيبًا

موسوعيًا جميع بين آراء القدماء والإسلاميين والإفرنج حيث كان في أوج عصر النهضة الأوروبية، لمزيد من المعلومات انظر غاية البيان للحلبي وزكور (١١-٨).

(٥١) للأسف لا يمكنني الإجابة على هذا السؤال، ولكن إجراء بحث أوسع لكتب ابن سلوم الحلبي وخاصة المكتوبة باللغة العثمانية قد يكون مفيدًا لمعرفة إن كان ابن سلوم قد ذكر ابن قيم الجوزية في تلك الكتب أم لا.

(٥٢) توجد نسخ من هذه المخطوطة في عدة مكتبات حول العالم مثل، مكتبة برلين الوطنية، مكتبة معهد المخطوطات بالقاهرة، مكتبة مركز جمعة الماجد في دبي، مكتبة الحرم الشريف، إلخ.

(٥٣) لم تذكر المصادر أية ترجمة لهذا الطبيب باستثناء نسبة الكتاب له انظر ايضاح المكنون للبغدادي (١٤٠/٢)؛ ومقالة زكور (١٢١).

(٥٤) لم تورد المصادر التاريخية ذكر هذا الكتاب لنجيب الدين السمرقندي، وقد يكون السبب أنه قام بتأليفه باللغة الفارسية، ولكن نسبة الكتاب للسمرقندي ظهرت في مخطوطة غاية الغرض هذه.

(٥٥) انظر (Ragab ٢٠١٢, ٦٦٣).

(٥٦) انظر (Ragab ٢٠٠٩).

المصادر والمراجع العربية

- الأحكام النبوية في الصناعة الطبية، أبي الحسن بن طرخان علاء الدين الكحال الحموي. ١٩٥٥م. مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، القاهرة.
- الاعتماد في الأدوية المفردة، ابن الجزار أحمد بن ابراهيم المتوفى عام ٣٩٥هـ/١٠٠٤م. مخطوطة مكتبة آيا صوفيا برقم ٣٦٥٤، اسطنبول. من المقالة الأولى إلى المقالة الرابعة.
- الأعلام، خير الدين الزركلي. ٢٠٠٢م، دار العلم للملايين، بيروت.
- إيضاح المكنون في الذين عن كشف الظنون، اسماعيل باشا البغدادي. بدون تاريخ، دار إحياء التراث العربي. بيروت.
- تحفة العجائب وطرفة الغرائب، الجزري، ابن الأثير علي بن محمد المتوفى عام ٦٣٠هـ/١٢٣٣م، مخطوطة آيا صوفيا برقم ٨٦٠، اسطنبول، ١١٧ ورقة.
- تذكرة أولي الألباب والجامع للعجب العجاب. داوود بن عمر الأنطاكي. ١٩٩١م. مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر، بيروت.
- الجامع لمفردات الأدوية والأغذية، ابن البيطار عبد الله بن أحمد. ١٩٩٢م. دار الكتب العلمية، بيروت.
- الحاوي في الطب. أبو بكر محمد بن زكريا الرازي. ٢٠٠٠م. مراجعة وتصحيح محمد محمد إسماعيل، دار الكتب العلمية، بيروت.
- راحة الأبدان في نزهة الأذهان. حسن العطار وأيمن ياسين عطعط. ٢٠١٨م. دار الكتب العلمية، بيروت.
- زاد المعاد في هدي خير العباد. ابن قيم شمس الدين محمد الجوزية. ٢٠٠٩م. مؤسسة الرسالة، بيروت.
- الطب النبوي. ابن قيم شمس الدين محمد الجوزية. ٢٠١٢م. دار السلام للنشر والتوزيع، الرياض.
- عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ابن أبي أصيبعة، ١٩٦٥م، دار مكتبة الحياة، بيروت.
- غاية البيان في تدبير بدن الإنسان، الحلبي، صالح بن سلوم الحلبي ومحمد ياسر زكور. ٢٠١٣م. مطبوعات وزارة الثقافة السورية، دمشق.
- القانون في الطب، ابن سينا أبو علي. ٢٠٠٦م، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، حاجي خليفة. ١٩٤١م، داء إحياء التراث العربي، بيروت.
- المختار من الأغذية، ابن النفيس ويوسف زيدان. ٢٠٠٨م. نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة.
- المختارات في الطب، ابن هبل مهذب الدين. ١٩٤٣م. دائرة المعارف العثمانية، اسطنبول.
- المخطوطات العربية المترجمة غاية الغرض

في معالجة المرض نموذجًا. محمد ياسر زكور. ٢٠١١م، في مجلة المعرفة العدد ٥٦٩ شباط، الصفحات ١١٨-١٣٢.

- المعتمد في الأدوية المفردة. الملك المظفر يوسف بن عمر التركماني. ٢٠٠٠م. ضبطه وصححه محمود عمر الدمياطي. دار الكتب العلمية، بيروت.
- معجم المؤلفين، عمر رضا كحالة. ١٩٩٣م. دار الرسالة، بيروت.
- المنهج السوي والمنهل الروي في الطب النبوي. جلال الدين عبد الرحمن السيوطي. ٢٠٠٢م. تحقيق وتخريج حسن محمد مقبولي الأهدل. مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت.
- موسوعة الطب النبوي. أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصفهاني. ٢٠٠٦م. دراسة وتحقيق مصطفى خضر دونمز التركي. دار ابن حزم، بيروت.
- هدية العارفين، اسماعيل باشا البغدادي. ١٩٥١م. دار إحياء التراث العربي بيروت.

English References

- Al-Samarqandī, Najīb al-Dīn, and Juliane Müller. 2017. *Nahrungsmittel in der Arabischen Medizin: das Kitāb al-Aġḏiya wa-l-ašriba des Naǧib ad-Dīn as-Samarqandī.* Leiden, Brill.
- Perho, Irmeli. 1995. *The Prophet's Medicine: a creation of the muslim traditionalist scholars.* Helsinki: Finnish Oriental Society.
- Ragab, A. 2012. "Prophetic Traditions and Modern Medicine in the Middle East: Resurrection, Reinterpretation, and Reconstruction". *JOURNAL-AMERICAN ORIENTAL SOCIETY. 132 (4): 657-674.*
- Ragab, Ahmed. 2009. *The Prophets of medicine and the medicine of the prophet: Debates on medical theory and practice in the medieval Middle East.* Paper presented at Harvard University, Center for Middle Eastern Studies and Harvard Society of Arab Students, Cambridge, Massachusetts, November 2009.

إرشاد الطائف إلى علم اللطائف

من النفس والقلب والروح والعقل العارف

للعلّامة المُحقق

أبي عبد الله، وليّ الدّين، محمد بن أحمد بن إبراهيم بن يوسف العثمانيّ الدِّيباجي الشافعي،
المعروف بالمَلَّوِي، أو بابن المنفلوطي، أو خطيب مَلَّوي

(٧١٣ - ٧٧٤هـ)

دراسة وتحقيق

د. طه محمد فارس

الإمارات

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة التحقيق

الحمد لله، والصَّلاة والسَّلام على سيدنا رسول الله ومن والاه.

وبعد، فهذه رسالة قيّمة للعلاّمة المُحقق وليّ الدّين المَلّوي، يُحَرّر فيها المُراد من ألفاظ: النَّفس والقلب والرُّوح والعقل، الواردة في نصوص الكتاب والسُّنَّة، سالكاً في ذلك مسلك التحقيق والتّدقيق.

ولا يخفى أنَّ هذا الموضوع قد شغل كثيرًا من علماء المسلمين والفلاسفة، وبقي مثارًا للجدل قديمًا وحديثاً.

وقد جعل المؤلِّف رسالته هذه في مقدّمة ومقاصد وخاتمة.

ذكر في المقدمة ثلاثة تمهيدات، أكَّد في الأوَّل على ضرورة الاهتمام بحُسْن النِيَّة في الأعمال عموماً، والتحذير من سُوءِها، خصوصاً في طلب العلم.

وأمَّا في الثاني فنبَّه على ضرورة اهتمام المكلّف بالمُهمّ في كلّ شيء، وتركِ توافه الأُمور، سواء كان ذلك في علم أم في دُنيا، أم في غير ذلك.

وأمَّا في الثالث فنبَّه من خلال جملة من الآيات الكريمة على أمور؛ أوّلها: التَّمسُّكُ بالوحي المعصوم، وثانيها: عدمُ تكليف العقل بما لم يُؤهّل لإدراكه، وثالثها: الرّدع عن الأخذ بآراء الرّجال أيًّا كانوا، مع التَّفريق بين ذلك وبين الأخذ بآراء الأئمّة الأعلام، ورابعها: التنبيهُ على أنَّ في كتاب الله وسُنّة نبيّه تبيانًا لكلّ شيء مُهمّ، وأنَّ ما لم يبيّنه كتابٌ ولا سُنَّةٌ فليس بمهمّ، وأنَّ توهُّم معرفة الحَقّ والبحث عنه كمالٌ كيفما كان، نفعَ وأثمرَ أو لا، هو انحراف عن اتّباع المُهمّ.

وأمَّا المقاصد التي تدور عليها الرّسالة فجعلها في عشرة فصول، تحدَّث فيها عن المراد بالنَّفس والقلب والعقل والرُّوح والسّرّ والخَفيّ، وأكَّد على تحتُّم الإمساك عن الخوض في الإخبار عن ماهية الرُّوح وحقيقتها، وأنَّه المنهج النبوي، كما أنَّه لا حاجةَ ولا ثمرةَ من معرفة ذلك، وأنَّ المطلوب من المكلَّف استبصارُ النَّفس ودلائِلها، مع التَّقريع والتَّوبيخ لمَن ترك ذلك، وأنَّ المُراد باستبصار النَّفس معرفةُ رسومها وخواصّها، دونَ الخوض في ماهيتها وحقيقتها.

ثمَّ ختم رسالته بخاتمة ذكر فيها ثلاثة تنبيهات، أشار في الأوَّل إلى أنَّ من الألفاظ ما يكون له معنىً في حالة الانفراد، فإذا ما قُرِن مع غيره كان له معنى آخر، ومن هذه الألفاظ ـ النّفس والقلب والرّوح والعقل ـ من قبيل ذلك، فإذا ما أُطلق أحدُها فإنَّه يشمل معاني البواقي، وأمَّا إذا قُرِن بشيء منها في الذكر فإنَّه يختصَّ عندئذ بمعناه الذي ذُكِر له.

وأمَّا في التنبيه الثَّاني فنقل كلامًا خلاصته: أنَّ الصفات الظاهرة في الإنسان هي انعكاس عن

صفاته الباطنة.

وأمَّا في التنبيه الثَّالث: فذكر أنَّ أبا إسماعيل الهروي رتَّب كتابه: "منازل السائرين" على عشرة أقسام، وذلك من أجل تركُّب الإنسان من كثائف ولطائف، ثمَّ ذَكَر سِرَّ هذا الترتيب وعلاقتَه بصفات الإنسان النفسية والقلبية والروحية.

هذه خلاصة رسالة **"إرشاد الطائف إلى علم اللطائف"**، وقد حملني على تحقيقها وإخراجها حساسية الموضوع وأهميَّتُه.

ولا يخفى على باحث اهتمام الإمام الغزالي رحمه الله في كتابه "إحياء علوم الدين" بتحرير هذه الألفاظ، في بيان معنى النفس والروح والقلب والعقل وما هو المراد بهذه الأسامي، فقد قال في رُبع عجائب القلب: "اعلم أنَّ هذه الأسماء الأربعة تستعمل في هذه الأبواب، ويَقِلّ في فحول العلماء من يُحيط بهذه الأسامي واختلاف معانيها وحدودها ومُسمَّياتها، وأكثر الأغاليط منشؤها الجهل بمعنى هذه الأسامي واشتراكها بين مُسمَّيَات مختلفة"(١)، وقال أيضًا: "وأكثرُ العلماء قد التبس عليهم اختلافُ هذه الألفاظ وتواردها، فتراهم يتكلَّمون في الخواطر ويقولون: هذا خاطر العقل، وهذا خاطر الرُّوح، وهذا خاطر القلب، وهذا خاطر النَّفس، وليس يدري النَّاظرُ اختلافَ معاني هذه الأسماء"(٢).

وفي كتابه "معارج القدس في مدارج معرفة النفس" قال: "في معاني الألفاظ المترادفة على النفس، وهي أربعة: النَّفس والقلب والروح والعقل..."(٣).

وأما ابن القيم في كتابه "الرّوح" فتكلَّم في المسألة التاسعة عشرة منه عن حقيقة النَّفس، وهل هي جزء من أجزاء البدن، أم عرض من أعراضه، أم جسم مُساكِن له مودع فيه، أم جوهر مُجرّد؟ وهل هي الرُّوح أم غيرها؟ وهل الأمَّارة واللَّوامة والمُطمئنة نفسٌ واحدة لها هذه الصفات، أم هي ثلاث أنفس؟ وقال: "إنَّ هذه مسائل قد تكلَّم النَّاسُ فيها من سائر الطوائف، واضطربت أقوالهم فيها، وكَثُر فيها خطؤهم، وهدى الله أتباعَ الرَّسولِ أهلَ سُنَّته لِمَا اختلفوا فيه من الحقِّ بإذنه"، ثم ذكر أقوال النَّاس، وما لهم وما عليهم في تلك الأقوال، وذكر الصَّواب الذي يراه في ذلك، بعد كلام طويل جدًّا(٤).

وقد قدَّمتُ لتحقيق هذه الرِّسالة بمقدّمة ودراسة، جعلتها في مبحثين، تكلّمتُ في المبحث الأوَّل عن ترجمة المؤلِّف، وأمَّا المبحث الثاني فخصصتُه للحديث عن هذه الرِّسالة وما يتعلّق بها، ثمَّ أتبعتُ قسمَ التَّحقيق بقائمة المصادر والمراجع.

هذا، واللهَ أسأل أن يُحَسّن نيَّاتِنا، وأن يُزكِّيَ نفوسَنا، وأن يُطَهِّرَ قلوبَنا، وأن يُعْلِيَ أرواحَنا، وأن يُنَوِّرَ عقولَنا، وأن يرزقَنا سَدادَ الأقوال وصلاحَ الأعمال، فهو حسبنا ونِعم الوكيل، والحمد لله رَبّ العالمين.

---

(١) إحياء علوم الدين ٣: ٣.

(٢) المصدر السابق ٣: ٥.

(٣) معارج القدس (ص: ١٥) وما بعدها.

(٤) ينظر: كتاب الروح (ص: ٢٤٨) وما بعدها.

المبحث الأوَّل

ترجمة المؤلِّف[1]

أولاً: اسمه ونسبه وكنيته ولقبه

مُحَمَّد بن أحمد بن إبراهيم بن يوسف بن شرف[2]، القرشي[3] العثمانيّ الدِّيباجيُّ[4]، الشَّافعي، الدّمشقي ثمَّ المصري، أَبُو عبد الله، وليُّ الدين باكرة، المعروف بالمـلَّويّ[5]، والمنفَلُوطي[6]، أو بابن المنفلوطي، وكان يُعْرَف أيضًا بخطيب مَلّوي، ثمَّ عَرَّف نفسَه بالملّوي[7].

ثانيًا: ولادته ونشأته وأعماله

ولد وليُّ الدِّين الملّوي بدمشق سنة (٧١٣هـ)، ونشأ فيها على خير ودِيَانة وصَلاح[8]، وسمع من جماعة وتفقَّه بهم، وحَدَّث عنهم، وبرع في فنون العلم، ثمَّ توجَّه إلى بلاد الرُّوم وأخذ عن جماعة من عُلمَائها وعاد، ثم طُلِب إلى الدّيار المصريَّة أيامَ النّاصر حسن بن محمد بن قلاوون (من ملوك وسلاطين الدولة القلاوونيَّة بمصر والشَّام ت: ٧٦٢هـ)[9]، ودَرَّس الفقه بالمدرسة التي أنشأها النَّاصر

(١) ينظر في ترجمته: الوافي بالوفيات للصفدي ٢: ١٢٠، طبقات الشافعية للسبكي ٩: ٧، الوفيات لابن رافع ٢: ٤٠٠، البداية والنهاية لابن كثير ١٤: ١٥٦، طبقات الأولياء لابن الملقن (ص: ٥٦٧)، الذيل على العبر لابن العراقي ٢: ٣٥٠، تعريف ذوي العُلا لمن لم يذكره الذهبي من النبلا للفاسي (ص: ٢١٧)، السلوك لمعرفة دول الملوك للمقريزي ٤: ٣٥٥، درر العقود الفريدة في تراجم الأعيان المفيدة للمقريزي ٣: ٣٣١، طبقات الشافعية لابن قاضي شُهبة ٣: ١٥١، الدُّرر الكامنة لابن حجر ١: ١١٠، إنباء الغمر بأبناء العمر لابن حجر ١: ٤٧، النجوم الزاهرة في أعيان مصر والقاهرة لابن تغري ١١: ١٢٥، الذيل التَّام على دول الإسلام للسخاوي (ص: ٢٦٠)، نيل الأمل في ذيل الدول لابن أبي الصفاء ٢: ٤٤، طبقات المفسرين للداوودي ٢: ٦٣، كشف الظنون لحاجي خليفة ١: ٦٤، ٢: ١١٤١ ـ ١١٤٣، شذرات الذَّهب لابن العماد ٨: ٤٠٢، إيضاح المكنون للبغدادي ١: ٤١٦، ٢: ٥١٤، هدية العارفين للبغدادي ٢: ١٦٦، معجم المؤلفين لكحالة ٨: ٢٢٧، ٢٨٩، معجم المفسرين لنويهض ٢: ٤٨٣.

(٢) في هدية العارفين ٢: ١٦٦ ذكر اسمه ونسبه فقال: محمد بن جمال الدين أحمد بن عثمان، وما ذكرته هو الأصح الذي اتَّفقت عليه كلمة علماء التراجم.

(٣) ذكر هذه النسبة الفاسي في تعريف ذوي العلا (ص: ٢١٧).

(٤) العثمانيّ الدِّيباجيّ: نسبة إلى الدِّيباج من ولد عثمان بن عفان رضي الله عنه، وقد تكون نسبة الدِّيباجيّ إلى صنعة الديباج (الحرير). ينظر: الأنساب للسمعاني ٥: ٤٣٥، ولب اللباب في تحرير الأنساب للسيوطي ص١١٠.

(٥) نسبة إلى (مَلَّوَى) وهي اليوم إحدى مدن محافظة المنيا بصعيد مصر، قال السخاوي في الضوء اللامع ١١: ٢٢٨: (الملوي) بِفَتْح ثمَّ بلام مَفْتُوحَة مُشَدّدَة.

(٦) نسبة إلى منفلوط، وهي بلدة بالصعيد في غربي النيل، بينها وبين شاطئ النيل بُعد. ينظر: معجم البلدان ٥: ٢١٤.

(٧) ينظر: الدرر الكامنة ٥: ٣٣، تعريف ذوي العلا (ص: ٢١٧)، نيل الأمل في ذيل الدول ٢: ٤٤.

(٨) ينظر: المصادر السابقة. قال ابن حجر في الدرر الكامنة ٥: ٣٣: "نشأ على قدم صدق في العبادة، والأخذ عن أدب الشيوخ".

(٩) ينظر: المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي لابن تغري بردي ٥: ١٢٥.

حسن، كما درَّس التفسير بالمنصوريّة وغيرها، وأفتى ووعظ وذَكَّر، وحدَّث وأشغل، وجمع وألَّف، وانتفع النَّاس به، ولم يخلف في معناه مثله[1].

ولوالده أبي العبَّاس، جمالِ الدّين[2]، أحْمدَ بنِ إبْرَاهِيم الملَّوي (ت:٧٣٠هـ) الفقيهِ العالم، أقضى القضاة، الصّالحِ المبارك، نزيلِ دمشق، أثرٌ كبير في تكوين شخصية ولده محمد، فقد أخذ عنه وتفقَّه به وبغيره[3].

ثالثًا: أخلاقه ومكانته العِلْميَّة

كان وليُّ الدِّين عالمًا مُتفنِّنًا، إمامًا، فاضلاً، صالحًا، خَيِّرًا، ورعًا، زاهدًا، عابدًا، عارفًا ربانيًّا، قليلَ التَّكلُّف، كثير الإنصاف ولو على نفسه، خبيرًا بدينه ودنياه، متواضعًا، مُطّرحًا لنفسه[4]، من ألطف النَّاس وأظرفهم شكلاً[5].

عُرِف بالتَّفسير، والفقه، والأُصول، والنَّحو، والقضاء، والتَّصوّف، وكان من أعيان فقهاء الدِّيار المصريَّة[6]، وكانت له اليد الطُّولى في الفقه، والأَصْلَين[7]، والتَّصوّف، والمنطق[8].

قال وليُّ الدِّين ابن العِرَاقي (أحمد بن عبد الرحيم ت: ٨٢٦هـ) [9]: "حدَّث، وتفقَّه، واشتغل بالعلوم، وبرع في التَّفسير، والفقه، والأصول، والتَّصوّف، وكان مُتَمكِّنًا من هذه العلوم، قادرًا على التَّصرُّف فيها، فصيحًا، حُلْوَ العِبَارة، حَسَنَ الوَعظ، بَصْرِيّ[10] زمانه، كثيرَ العِبَادة والتّألُّه، جمع وألَّف، وشَغَل وأفتى، ووَعظ وذَكّر، وانتفع النّاسُ به، ولم يُخلِّف في معناه مثلَه"[11].

---

(١) ينظر: الذيل على العبر لابن العراقي ٢: ٣٥١، طبقات الشافعية لابن قاضي شُهبة ٣: ١١٢، وشذرات الذهب ٨: ٤٠٢.

(٢) ذكر ابن الملقن في طبقات الأولياء (ص: ٥٦٧) أنّ لقبه شهاب الدين، وليس كما قال.

(٣) ينظر: طبقات الشافعية الكبرى للسبكي ٩: ٧، أعيان العصر وأعوان النصر للصفدي ١: ١٦٥، طبقات الأولياء لابن الملقن (ص: ٥٦٧)، الدّرر الكامنة ١: ١١٠، الدّارس في تاريخ المدارس للنعيمي ١: ٢٢٤.

(٤) ينظر: الوافي بالوفيات ٢: ١٢٠، إنباء الغمر ١: ٤٦، نيل الأمل في ذيل الدول ٢: ٤٤، درر العقود الفريدة ٣: ٣٣١.

(٥) ينظر: الذيل التامّ على دول الإسلام للسخاوي (ص: ٢٦٠).

(٦) ينظر: النجوم الزاهرة ١١: ١٢٥.

(٧) أي: أصول الاعتقاد، وأصول الفقه.

(٨) ينظر: الوافي بالوفيات ٢: ١٢٠، إنباء الغمر ١: ٤٦، نيل الأمل في ذيل الدول ٢: ٤٤.

(٩) أحمد بن عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن، ولي الدين أبو زرعة، العراقي الأصل، المصري، قاضي القضاة (ت: ٨٢٦هـ). ينظر: طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة ٤: ١٠٥.

(١٠) تشبيه بالحسن بن يسار البصري رحمه الله (ت: ١١٠هـ). ينظر: تهذيب التهذيب ٨: ٤٠٢.

(١١) ينظر: الذيل على العبر ٢: ٣٥١، وينظر: طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة ٣: ١١٢، طبقات المفسرين للداوودي ٢: ٦٣، شذرات الذهب ٨: ٤٠٢.

وقال الحافظ شهاب الدِّين ابن حِجّي (أحمد بن حِجّي ت: ٨١٦هـ)[١]: "كان من ألطف النَّاس وأظرفهم شكلاً وهيئة، يجيد التَّدريس وله تآليف بديعة التَّرتيب، وكان يُصَغِّر عِمَّتَه ويَتَصَوَّف"[٢].

وقال تقيُّ الدِّين الفاسي (ت: ٨٣٢هـ) عنه: "الإمام العلاَّمة العارف الرَّباني..، درَّس وأفتى وأفاد، وانتفع الناس به في العلم والعمل، وكان ذا جلالة عظيمة عند الناس، ولهم فيه حسنُ اعتقاد، وكان الأمير يَلبُغا الخاصكي[٣] مُدَبّر الدّولة بمصر كثيرَ التّعظيم له، واستدعاه من دمشق إلى القاهرة، فحضر إليها، وكَثُر من النَّاس التَّردادُ إليه، والتَّعظيمُ له، والأخذُ عنه"[٤].

ومن كلامه الرَّشيق لَمَّا سُئل: أيُّهما أفضل: الإمامُ أمِ المؤذِّن؟

فقال: ليس المُنادِي كالمُناجي[٥].

رابعًا: تَصَوُّفُه

اتَّفقت كلمةُ كلِّ من ترجم لوليّ الدّين الملَّوي على تصوّفه علمًا وسُلوكًا، ولم يُعِب عليه أحدٌ من ذلك شيئًا، بل كان موضعَ ثناء ومَدح، ومؤلّفاته شاهدة بذلك.

إلاَّ أنَّ شيخ الإسلام ابن حجر ـ رحمه الله ـ مع ثنائه الكبير على المَلّوي في كتابيه إنباء الغمر والدُّرر الكامنة، نجده يقول عنه: "صنَّف عِدَّة تواليف صغار، فيها مُشكلات من تصوُّف الاتحادِيَّة"[٦]، وقال كذلك: "كان يميل إلى مقالة ابن العربي ويُدَندن حولَها في تواليفه ويُحمحِم[٧]، ولا يُكاد يُفصح"[٨]، وهذه تُهمة خطيرة تطعَن في عقيدة الرَّجل وتصوّراته.

وما وقفتُ عليه من كلامه في كلٍّ من كتبه: إفهامُ الأفهامِ في شرح عقيدة العز بن عبد السلام، وتفسير سورة الكوثر وما يليها، وأبهج منهاج المعالي وأبهاها، وهداية سبيل الرشاد في أقصر الآماد، وشفاء الصدور من زخرف قول الجبر والقدر الغرور، وتلخيص الكلام في مسألة الكلام، وغيرها من الكتب والرسائل، ينفي هذه التهمة عنه أشدَّ النَّفي، بل إنَّنا نجده يُؤكِّد بصريح العبارة عن فساد اعتقاد الحلوليَّة والاتِّحادِيَّة، وأنّ ذلك من عقائد النَّصرانيَّة، وعن فساد تصوّرات المَلاحدة، بل نراه يُهاجم جَهَلة المُتصوّفة، وأتباع التَّصوّف الفلسفيّ، ويُؤكِّد أنَّهم أبعدُ ما يكونون عن التَّصوّف الحَقّ.

---

(١) شهاب الدين أبو العباس أحمد بن حِجّي السَّعدي الحسباني الدمشقي الشافعي (ت: ٨١٦هـ)، ينظر: طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة ٤: ١٢.

(٢) ينظر: إنباء الغمر ١: ٤٦، وشذرات الذهب ٨: ٤٠٢.

(٣) ينظر: أعيان النصر وأعوان النصر ٥: ٥٨٤.

(٤) تعريف ذوي العلا (ص: ٢١٧).

(٥) ينظر: الدرر الكامنة ٥: ٣٣، نيل الأمل في ذيل الدول ٢: ٤٤.

(٦) ينظر: إنباء الغمر ١: ٤٦. وكذا نقل السخاوي هذا الكلام في الذيل التام بحروفه (ص: ٢٦١).

(٧) الحَمْحَمة: صوت دُون الصَّوْت العالي. ينظر: تهذيب اللغة ٤: ١٥، الصحاح ٥: ١٩٠٥، مادة: حمم.

(٨) ينظر: الدرر الكامنة ٥: ٣٣.

وسأنقل من كلامه ما يدفع عنه هذه التُّهمة، من ذلك قوله: "وقد تَبِعَ الملاحِدةَ الاتِّحَادِيَّةَ[1] في عَظِيمَتهم بعضُ جَهَلةِ مُتَصَوِّفَةِ فَلْسَفَةٍ بَتْرَى، فظَنَّ قومٌ أنَّ ذلك مذْهَب الصُّوفيَّة، وحاشَ السَّادةَ الكُبَرَاء من ذلك حَاشَاهم، وإنَّ الفَلْسَفة وما استَقَرَّ من قواعدها لَأَبْعَدُ شيءٍ عن ذلك أيضًا"[2]، ثم يقول: "والاعتقادُ الحَقُّ البُرهَانِيّ الكَشْفِيّ: أنَّ الله تعالى مُتَوَحِّدٌ مُتَمَيِّزٌ بذاته عن سائر الذَّوَات"[3].

وقال في نفي الحُلُولِ: "فالعَلِيُّ الكبيرُ ـ سبحانه ـ لا يَحِلُّ حَادِثًا، ولا يَحِلُّهُ حَادِثٌ، لا كَمَا ادَّعَتْه مُشَبِّهَة اليهود، وتبعهم فيه الكَرَّامِيَّةُ الأَغْمَارُ وبعضُ الظَّاهِرية المغْرُورِين، ولا كَمَا تَوَهَّمَه بعضُ سَالِكِي دَرْبِ الفَنَاءِ بِلاَ دَلِيل"[4].

ثمَّ يقول: "وما أسْلَمَ السَّلَفِيَّ من جميع المعَاطِب لسلوكه الدَّرب السُّلطَانيّ، كما قال تعالى: ﴿فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ٣٨]. وما نُقِل من مُوْهِم حلولِ الحَوادث أو فيها ونحوه عنِ السَّلف الصَّالح والأخبار النَّبويَّة، فالمراد به من غير شَكٍّ ولا رَيبٍ ما في آيات الكتاب العزيز، الذي ﴿مِنْهُ ءَايَـٰتٌ مُّحْكَمَـٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَـٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَـٰبِهَـٰتٌ﴾[آل عمران: ٧] تُرَدُّ إلى المحْكَمَات بِحُسْن فَهْمِ الرَّاسِخين في العلم وتفهيمهم"[5]، ثمَّ قال: "والاعتقاد الحَقُّ البُرهَانيُّ الكَشْفِيُّ: أنَّ الله تعالى مُتَوحِّدٌ مُتَفَرِّد بذاته عن سائر الذَّوات، مُتَقَدِّسٌ عن انفعال أُوْلي المزَاجَات، وعن مَمَاسَّة الجِسْمَانِيَّات، مُتَكَبِّرٌ عَزِيزٌ عن تَبَعِيَّته لها في الانقسام والحركات، والسَّكنات والانتقالات، ونحو ذلك"[6].

وفي تفسيره للفظ التسبيح من سورة النَّصر نجده يُبيّن مِلَلَ ونِحَلَ المُنحرفين الذين أرادوا تنزيهَ اللهِ تعالى فَعَطَّلوا الصّفات، أو شَبَّهوا اللهَ بخلقه، وأنَّ قَصْدَ التَّنزيه عند بعضهم أوقعهم في القول بالحلول أو الاتحاد، فيقول: "التَّسبيح سَيرٌ في جلاليَّات الله العظيم، وفيه شِدَّةٌ إلاَّ على الصِّديقين، فَقَلَّ السَّالمُ فيه، إمَّا من تعطيلٍ وتعجيز، كَمَن أَوجب لهم التَّبرئةَ إن وَحَّدوا فَعَطَّلوا الصِّفات وعَدَلوا، فَعَجَزوا عن مِنَح الألطاف ونحوه. وإمَّا من تسفيهٍ وإفحامٍ، كمَن أَوجب لهم التّبرئةَ إن وَحَّدوا، فَسَفِهوا بنفي الحِكمة، وأُفْحِموا إذْ وَرَّكُـوا[7] على الله تعالى أوزارهم، وصاروا خُصماء الله عزَّ وجلَّ. وإمَّا من تشبيه وتشريك، كَمَن أوجب لهم التَّبرئة إن أثبتوا صفاتِ الكمال، فَشَبَّهوا وعَدَلوا، فَشَرَّكوا بخلق الأفعال.

---

(١) وهم القائلون بوحدة الوجود، وأن الخالق اتَّحد بالمخلوق، قال الشوكاني في الصوارم الحداد القاطعة (ص: ١٠٩): "هي قولهم: إنَّ الله سبحانه حقيقة كلُّ موجود من جسم وعَرَض ومخيل وموهوم، ولهذا فرعوا على هذه المقالة الملعونة فروعًا كفريّة منها: تصويب عبدة الأوثان، ومنها: تخطئة الأنبياء في الإنكار عليهم".

(٢) ينظر: إفهام الأفهام (ص:١٠٤).

(٣) ينظر: المصدر السابق (ص:١٠٦).

(٤) ينظر: المصدر السابق (ص: ١٠٨).

(٥) ينظر: المصدر السابق (ص: ١٠٩).

(٦) ينظر: المصدر السابق .

(٧) أي: أحالوا، قال الجوهري في الصحاح ٤: ١٦١٤: "ورك ووَرَّكَ فلان ذَنْبه على غيره، أي قَرَفَهُ به"، مادة: ورك.

وكم أوقع التنزيه في ادِّعاء نحوِ الحُلول والاتِّحاد، والإباحة والإلحاد، والانحلال والزَّندقة، ولعلَّ جميعَ المِلل والنِّحَل دائرةٌ على تحقيق أهلِها تنزيهَ الباري تعالى عمَّا يخالفُ مِلَّتَها أو نِحْلَتَها"(١).

وعندما نقل بعض الألفاظ المشكلة في العقيدة عن بعضهم أكَّد أنَّ في استخدام ألفاظ الكتاب والسنة كفاية فقال:"وفي التَّعبير بألفاظ الكتاب والسُّنة كفايةٌ، مع إيضاحٍ سالمٍ من الإبهام، كما قال تعالى: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾[الفرقان: ٣٣]. فَطُوبى لمنِ اتَّبع ما يُوحَى إليه من ربِّه لا إلَه إلَّا هو، وَوَسِعَتْهُ السُّنَّةُ، ولم تستَهْوِه البِدعةُ، والحائِدُ عن هذا لم يَعْصِم دَمَه ولا عِرْضَه وإن كان صحيح المقاصد"(٢).

وقال في تفسيره لسورة الإخلاص: "فكثيرٌ من النَّاس وقع له عند ذلك غَلَطٌ من وجهين، أحدهما: توهُّمه أنَّ ذاك هو الذَّات الأقدس، أو أنَّ ما غمره من غواشي أنوار الحقّ وفاض عليه هو نفس نورِ الحقّ، أو أنَّ ما لَبِسَه عند ذلك من سَنيّ الصِّفات هو نفسُ صفات الحَقِّ تعالى، ولا يُخَلِّصُه من هذه الورطة الاتحاديَّة النَّصرانيَّة إلَّا بذكر قوله الحقّ: ﴿لَمْ يَلِدْ﴾ [الإخلاص: ٣] مُتحقِّقًا أنَّ صفات الحَقّ لا تزايله لا حِسًّا ولا حُكمًا، وأنَّ نوره لا تحمله السموات والأرض ومن فيهنَّ"(٣).

وقد ردَّ على بعض مُدَّعي التَّصوّف الذين يعتقدون أنَّ وجدان الحقّ تعالى بالمعنى المعروف عند أهله من المُحققين مُتولِّد من أعمال العبد ورياضته، فقال: "تَوهُّمه أنَّ وُجدَانَه الحَقّ تعالى بالمعنى المعروف عند أهله من المُحَقِّقِين، مُتَوَلِّدٌ من أعماله ورِياضته، ولا يُنجِيه من هذه الوَرطَة القَدَرِيَّة المجوسِيَّة إلَّا بِذِكْر قولِه تعالى: ﴿وَلَمْ يُولَدْ﴾ ، فليس وُجُودُه الذِّهنيُّ أو الخارجِيّ بِمُستَفادٍ ولا مُتَولِّدٍ من غيره، بل إنَّما هو له سبحانَه بِذاته"(٤).

وقال في كتابه "أبهج مناهج المعالي وأبهاها" : "وأهل الاتحاد الإلحاديّ حُجَّتُهم داحضةٌ عند ربّهم وعليهم غضب ولهم عذاب شديد، وما منهم إلّا من هو على نفسه بصيرة ولو ألقى معاذيره، ﴿فَلِذَٰلِكَ فَٱدْعُ ۖ وَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ ۖ وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٍ﴾[الشورى: ١٥]"(٥).

وقال في رسالته "تلخيص الكلام في مسألة الكلام": "ومن قال: طريقةُ السَّلَفِ أسْلَم، وطريقةُ الخَلَفِ أعلم، فهو واهمٌ، بل السَّلفُ رضي الله عنهم عَظُمَ علمُهم بالله تعالى وقَوِيَ جدًا، حتَّى أفادهم الاطلاعَ التَّامَّ على كبرياء الله تعالى وعَظَمَتِه، فعلموا يقينًا أنَّ العقول قاصرةٌ دُونَ مبادِئ ما هنالك، وتَحَقَّقوا حالاً وذَوقًا بمنازلةِ مُناجاةِ: "لا أُحْصِي ثناءً عليكَ أنتَ كما أثنيتَ على نفسك"(٦)، فلذلك أَمْسَكوا عن

(١) ينظر: تفسير سورة الكوثر وما يليها [ق١٠٦/ب]، في تفسيره لسورة النصر.

(٢) ينظر: تفسير سورة الكوثر وما يليها [ق١٠٧/ب]، في تفسيره لسورة النصر.

(٣) ينظر: المصدر السابق [ق١٧٣/أ]، في تفسيره لسورة الإخلاص.

(٤) ينظر: المصدر السابق [ق١٧٤/ب]، في تفسيره لسورة الإخلاص.

(٥) ينظر: نسخة الخزانة الحمزاوية في الزاوية العياشية بالمغرب [ق٦/أ].

(٦) أخرجه مسلم في الصلاة، باب: ما يقال في الركوع والسجود ١: ٣٥٢ برقم: ٤٨٦، عن عائشة رضي الله عنها

التَّكَلُّفات القاصِرة" [1].

فأين كلامه ممَّا نُسِبَ إليه من مُشكلات الحلوليّة والاتّحاديّة؟! أو من مخالفة منهج السلف رضوان الله عليهم، والرَّجل يُحكَم عليه بما قال لا بما قِيل عنه، وإذا كان ذلك كذلك، فكلامُه يُبرِّئُه ممَّا نُسِبَ إليه، والله أعلم.

خامسًا: شيوخه

سمع وليّ الدِّين الملَّوي من جماعة وتفقَّه بهم، وممّن أخذ عنهم من الشيوخ[2]:

- والده أبو العبَّاس، جمال الدِّين، أحْمد بن إِبْرَاهِيم بن يوسف الملَّوي (ت: ٧٣٠هـ)[3].
- وأبو العبَّاس، شهاب الدِّين، مسند الدُّنيا، أحمد بن أبي طالب الصالحي الحَجَّار بن الشّحنة (ت: ٧٣٠هـ)[4].
- وأبو محمد، شرف الدِّين، عبد الله بن الحسن بن عبد الله بن عبد الغني المقدسي الحنبلي (ت: ٧٣٢هـ)[5].
- وأسماء بنت محمد بن سالم بن أبي المواهب بن صَصْرَى (ت: ٧٣٣هـ)[6].
- ونور الدِّين، فرج بن محمد بن أحمد بن أبي الفرج الأردبّيلي، نزيل دمشق (ت: ٧٤٩هـ)[7]، قال العثمانيُّ الصَّفديّ، محمد بن عبد الرحمن (ت: بعد ٧٨٠هـ): رأيته شابًا في حلقة النُّور الأردبّيلي، حسنَ الملبوس، مُشرقَ الهيئة[8].
- وفرج بن عبد الله المغربي الصَّفَدِي الزَّاهِد الْفَقِيه الشَّافِعِي نزيل صفد (ت: ٧٥١هـ)[9].
- وأخذ كذلك عن جماعة من علماء الرُّوم[10].

---

(١) ينظر: تلخيص الكلام في مسألة الكلام [١٣/أ] و[١٤/ب].

(٢) ينظر: الوفيات لابن رافع ٢: ٤٠٠، الذيل على العبر لابن العراقي ٢: ٣٥٠، طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة ٣: ١١٢، الدرر الكامنة ١: ١١٠، ٤: ٢٦٨، الجواهر والدرر للسخاوي ١: ١٣٠.

(٣) ينظر: الدرر الكامنة ١: ١١٠، الجواهر والدرر للسخاوي ١: ١٣٠.

(٤) ينظر: الذيل على العبر لابن العراقي ٢: ٣٥٠، الدرر الكامنة ١: ١٦٥، شذرات الذهب ٨: ١٦٢.

(٥) ينظر: الذيل على العبر لابن العراقي ٢: ٣٥٠، الدرر الكامنة ٣: ٢٨.

(٦) ينظر: الذيل على العبر لابن العراقي ٢: ٣٥٠، الدرر الكامنة ١: ٤٢٩.

(٧) ينظر: الدرر الكامنة ٤: ٢٦٩.

(٨) ينظر: إنباء الغمر ١: ٤٧.

(٩) ينظر: الدرر الكامنة ٤: ٢٦٨.

(١٠) ينظر: إنباء الغمر بأبناء العمر ١: ٤٦.

سادسًا: تلامذته

كان وليّ الدِّين الملّويّ منهلاً عذبًا من مناهل العلم والمعرفة، حمل طلبة العلم على الإفادة منه والنّهل من معارفه، ومن هؤلاء:

- أبو الفضل، الكمال النُّويريّ، محمد بن أحمد العقيليّ الشَّافعيّ، قاضي مكَّة (ت: ٧٨٦هـ)[١].
- وصدر الدِّين، سُلَيْمَان بن يُوسُف بن مُفْلِح بن أبي الْوَفَاء الياسوفيّ الشَّافِعِي (ت: ٧٨٩هـ)[٢].
- ومحبُّ الدِّين، خليل بن فرح بن سعيد المقدسيّ ثمَّ الدِّمشقيّ القلعي الشافعي(ت: ٧٨٩هـ)[٣].
- وعماد الدّين، إسماعيل بن أحمد البارينيّ الحلبيّ، الفقيه الشَّافعي (ت: ٧٩٨هـ)[٤].
- وأبو محمد، برهان الدّين، إبراهيم بن موسى الأبناسيّ (ت: ٨٠١هـ) [٥].
- وأبو البركات، شرف الدِّين، موسى بن محمد بن محمد الأنصاري الشافعي قاضي حلب (ت: ٨٠٣هـ)[٦].
- وأحمد بن عبد الله بن الحسن شهاب الدين البوصيريّ المصريّ الشّافعيّ (ت: ٨٠٥هـ)[٧].
- ومحمّد بن عبد الله بن أبي بكر الأنصاريّ القليوبيّ ثمّ القاهريّ الشّافعيّ (ت: ٨١٢هـ)[٨].
- وعليّ بن أحمد بن أبي بكر الأدميّ المصريّ الشافعيّ (ت: ٨١٣هـ)[٩].
- ومُساعد بن ساري بن مسعود الهوّاريّ المصريّ الشافعيّ (ت: ٨١٩هـ)[١٠].

---

(١) ينظر: إنباء الغمر ١: ٢٩٦، نيل الأمل في ذيل الدول ٢: ٢١٧، شذرات الذهب ٨: ٥٠٢.

(٢) ينظر: طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة ٣: ١٥٢، الدرر الكامنة ٢: ٣١١، إنباء الغمر ١: ٣٤٠، شذرات الذهب ٨: ٥٢٧.

(٣) ينظر: إنباء الغمر ١: ٣٤٠، شذرات الذهب ٨: ٥٢٦. قلت:قد كتب الملوي له إجازة في نهاية تفسير سورة الكوثر وما يليها، وصرّح فيها بلقبه واسمه ونسبته.

(٤) ينظر: إنباء الغمر ١: ٥١٥، شذرات الذهب ٨: ٦٠٢.

(٥) ينظر: طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة ٤: ٥، المنهل الصافي ١: ١٧٨، الجواهر والدرر في ترجمة شيخ الإسلام ابن حجر ١: ١٢٩، الضوء اللامع ١: ١٧٢، شذرات الذهب ٩: ١٢.

(٦) ينظر: طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة ٤: ٦٧، الضوء اللامع ١٠: ١٨٩، شذرات الذهب ٩: ٦٣.

(٧) ينظر: إنباء الغمر ٢: ٢٣٩، المجمع المؤسس ٣: ٣٨، الضوء اللامع ١: ٣٥٩، شذرات الذهب ٩: ٧٦.

(٨) ينظر: طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة ٤: ٥٣، إنباء الغمر ٢: ٤٤٢، والضوء اللامع ٨: ٨٣، شذرات الذهب ٩: ١٤٦.

(٩) ينظر: إنباء الغمر ٢: ٤٧١، المجمع المؤسس ٣: ١٧٦، بهجة الناظرين إلى تراجم المتأخرين للغزي العامري (ص: ٢٢٩)، الجواهر والدرر ١: ١٢٩، الضوء اللامع ٥: ١٦٣، شذرات الذهب ٩: ١٥٢.

(١٠)ينظر: إنباء الغمر ٣: ١٢١، شذرات الذهب ٩: ٢٠٩.

- ومحمد بن عليّ بن محمد المشهديّ شمس الدِّين بن القطّان (ت: ٨١٩هـ)[١].
- ومحمد بن خليل بن هلال، عز الدين الحاضري الحلبي الحنفي (ت: ٨٢٤هـ)[٢].

سابعًا: مُؤلَّفاته

نقل ابن حجر عن ابن حِجّي ثناءَه على مُؤلَّفات الملّوي بقوله: "وله تآليف بديعة التَّرتيب"[٣]، ولم يُذكر في ترجمته وفي فهارس الكتب إلَّا عددٌ يسير من مؤلّفاته، لم تتجاوز الخمسة، قد وقفت بعد التَّقصِّي والتَّمحيص على عدد كبير من تآليفه البديعة، التي تجاوزت الستين، من ذلك[٤]:

١- أربح مكتسب من الأسواق يومَ التَّلاق[٥] .

٢- إرشاد الطَّائِف إِلَى علم اللَّطائف من النَّفس والقلب والرُّوح والعقل العارف [٦].

٣- إزالة الوسن عن الوجه الحسن، أو بيان من الأولى بأن تنكح أوَّلاً[٧].

٤- إعراب التعوذ والفاتحة[٨].

٥- إعلام اللبيبة الحسنا بمعاني أسماء الله الحسنى [٩].

٦- إفهام الأفهام فِي معاني عقيدة عِزّ الدِّين بن عبد السَّلام[١٠].

٧- الأمالي في الأُصول[١١].

٨- الإملاء الأكبر[١٢].

---

(١) ينظر: إنباء الغمر ٣: ١١٨، والضوء اللامع ٨: ٢١٧، شذرات الذهب ٩: ٢٠٧.

(٢) ينظر: إنباء الغمر ٣: ٢٦٣، شذرات الذهب ٩: ٢٤٤.

(٣) ينظر: إنباء الغمر ١: ٤٧، وينظر: شذرات الذهب ٨: ٤٠٢.

(٤) سأذكرها مرتبة على حروف المعجم.

(٥) في الآداب والفضائل، ويوجد منه أكثر من نسخة، وأقوم بتحقيقه.

(٦) وهي الرسالة التي بين أيدينا، وسيأتي الحديث عنها مفصلاً في المبحث الثاني إن شاء الله.

(٧) في الفقه والآداب، عثرت على نسخة منه، مصححة ومقابلة، وعليها خط المؤلّف.

(٨) من مخطوطات الظاهرية، وهو مطبوع بتحقيق الأستاذ الدكتور إبراهيم بن صالح الحندود، نشر في نادي القصيم الأدبي في بريدة، ط١/ ١٤٣٩هـ ـ ٢٠١٨م

(٩) ذكره في إفهام الأفهام (ص: ١٥٢)، وتوجد منه أكثر من نسخة، وقد قمت بتحقيقه، وهو في طريقه للنشر.

(١٠) قمتُ ـ بحمد الله ـ بتحقيق الكتاب، ونشر في دار جليس الزمان، ودار ضياء الشام، دمشق، سنة ٢٠١٩م.

(١١) ذكره المؤلّف في كتابه: إفهام الأفهام في شرح عقيدة عز الدّين بن عبد السلام (ص: ١٢٩).

(١٢) أشار إليه في نهاية كتابه: "هداية سبيل الرشاد في أقصر الآماد المتضمنة تفسير سورة العصر"، فقال [١٥/ب]: ((ومن تَشَوَّف لأوسعَ من هذا فلْيُرَاجِع "الإملاءَ الأكبر")).

٩- أبهج مناهج المعالي وأبهاها وأعذب مناهل الموالي وأهناها (تفسير سورة الأعلى)[١].

١٠- إيضاح سورة المزمل للمتأمّل[٢].

١١- بيان أحق حقيقة الاحتفال وأقصد طريقة توصل إلى جميع أنواع الكمال[٣].

١٢- بيان الأرضى من العزلة وعِلاج المرضى[٤].

١٣- بيان الأهدى من التَّعفُّف وقبول المُهْدَى[٥].

١٤- البيان الجميل لمحاسن (أو لشرف) [٦] القُرآن الجليل[٧].

١٥- بيان أُمَّهات المُهِمَّات (الأصغر والأوسط والأكبر)[٨].

١٦- بيان السُّنَّة المنصورة فيما سئل عنه من الإتيان والصورة[٩].

١٧- بيان شرف العِلم وفضله وأنواع الكرامة لأهله[١٠].

١٨- بيان ما يصنعه اللّبيب إذا فقد الطَّبيب[١١].

١٩- تبليغ الأماني في حسن ترتيب المباني[١٢].

٢٠- تبيين معادن المعاني لمن إلى تبيينها دعاني[١٣].

---

(١) في التفسير، وقد عثرت على نسخة منه، مقابلة ومصححة بخط المؤلّف، وقد قمت بتحقيقه.

(٢) في التفسير، وقد عثرت على نسخة منه، وفيها خرم من آخرها.

(٣) في العقيدة، وقد عثرت على نسخة منه، مصححة ومقابلة، وعليها خط المؤلّف.

(٤) في الآداب، وقد حصلت على نسخة نفسية منه عليها تصحيحات المؤلِّف.

(٥) في الآداب، حصلت على نسخة مصحة ومقابلة منه.

(٦) كذا قال في إفهام الأفهام.

(٧) شرح لحديث يبيّن مكانة القرآن الكريم، وقد ذكره في إفهام الأفهام (ص: ١٥٦)، توجد منه نسخة في مكتبة خاصة، وقد حصلت عليها، وقد نشر في مجلة مدونة الدراسات التي تصدر عن المنتدى الإسلامي في الشارقة.

(٨) في التفسير، وقد عثرت على نسخة منه، مصححة ومقابلة، وعليها خط المؤلّف، والأكبر أوسعها وأشملها.

(٩) في العقيدة، وقد عثرت على نسخة منه، مصححة ومقابلة، وعليها خط المؤلّف.

(١٠) رسالة في الآداب، عثرت على نسختين منها، وقد قمت بتحقيقها، ونشرت في مجلة مدونة الدراسات في المنتدى الإسلامي في الشارقة.

(١١) في الآداب، توجد منه أكثر من نسخة.

(١٢) في مباني الإسلام والعقائد، وهو شرح لحديث نبوي، ذكره في إفهام الأفهام (ص: ١٥٤)، وقد عثرت على نسختين منه، وقمت بتحقيقه.

(١٣) في علوم القرآن، وقد ذكره برهان الدِّين البقاعي في مصاعد النظر ونقل عنه ونسبه إلى مؤلفه المَلّوي ١: ٣٧٨، وذَكر حاجي خليفة في كشف الظنون ١: ٣٤٢ ولم ينسبه لأحد، عثرت على نسختين منه، نشر في مجلة المعيار في كلية الإمام مالك - دبي.

٢١ـ تحقيق الرّسالة الإلهية[١].

٢٢ـ تذكير السهوان بأسباب الكرامة والهوان[٢].

٢٣ـ تفسير سورة الحجرات[٣].

٢٤ـ تفسير سورة العصر المتضمنة هداية سبيل الرَّشَاد في أقصر الآمَاد[٤].

٢٥ـ تفسير سورة الفتح[٥].

٢٦ـ تفسيرُ سورة الكوثر وما يليها[٦].

٢٧ـ تفسير سورة طه[٧].

٢٨ـ تفقيه البشر في لمح البصر بالإفادة السَّريعة لمهمَّات الشَّريعة[٨].

٢٩ـ تلخيص الكلام على أقسام الكلام[٩].

٣٠ـ جواز الاجتماع على ذكر الله[١٠].

٣١ـ جواهر الكنوز[١١].

٣٢ـ حدائق الحقائق[١٢].

---

(١) ذكره في كتابه: "تلخيص الكلام في مسألة الكلام"

(٢) وهو شرح لحديث من سنن الترمذي، ويوجد منه أكثر من نسخة، وقد قمت بتحقيقه.

(٣) ذكره في كتابه حصن النفوس [ب/٤٢]، فقال: "واستحضرْ ما أمرَ اللهُ تعالى به في قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ الحجرات: ١] الآيات، وفيما أمليتُهُ عليها كفايةٌ للتَّنبيه"، ولم أعثر عليه.

(٤) في التفسير، وقد عثرت على نسختين منه، وقد قمت بتحقيقه، ونشر.

(٥) أشار إليه في تفسيره لسورة الكوثر [ق٣٨/أ]، فقال: "كما بُسِط في سورة الفتح".

(٦) في مجلد ضخم، وقد قمت بتحقيقه، وهو في طريقه للنشر في جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم، إن شاء الله تعالى.

(٧) ذكره في تفسيره لسورة النصر [ق١٠٦/أ] فقال: "وفيما كتبتُه على آية: ﴿طه﴾ كفاية للمُوَفّق، وهي قول الله العظيم: ﴿ويسألونك عن الجبال﴾ إلى قوله: ﴿ولا هضمًا﴾".

(٨) ذكره في إفهام الأفهام (ص: ٦٤، ٧٢)، وقال (ص:٧٢) بعد ذكر حديث: "أرأيت إذا صليت المكتوبة وصمت رمضان..": وهو قطب رحى (تفقيه البشر في لمح البصر)"، وقد عثرت على نسخة منه مصححة ومقابلة منه، وقمت بتحقيقه، وهو في طريقه للنشر في مجلة المعيار الصادرة عن كلية الإمام مالك ـ دبي.

(٩) في العقيدة، ذكره في أول كتاب تبيين معادن المعاني [٣/ب]، فقال: وقد كشفت عن حقيقته في تلخيص الكلام على أقسام الكلام، وقد عثرت عن نسخة كاملة منه، مصححة ومقابلة، وعليها خط المؤلّف، وقمت بتحقيقها.

(١٠) في الفتوى، توجد منه نسخة في مكتبة خاصة، ولم أحصل عليها.

(١١) في العقيدة، ذكره في تفسيره لسورة الإخلاص [ق١٦٥/أ].

(١٢) في التفسير، ذكره في إفهام الأفهام (ص: ٧٤) فقال: "كما أنّ المُلقَّب بـ (حدائق الحقائق) يُطْلِع على أسرار سورة الإخلاص ودقائقها"، وذكره في كتابه: "أبهج مناهج المعالي وأبهاها". فقال [٦/ب]: "ومعنى أنَّ الأكوانَ مَظاهِرُ

٣٣ـ حِصْنُ النُّفوس عند سؤال الملك العبوس[١].

٣٤ـ حلّ الحِبَا لاسترفاع الوبا[٢].

٣٥ـ الرسالة الكاشفة عن أسباب السعادة من التقى والزهادة[٣].

٣٦ـ رسائل الوسائل[٤].

٣٧ـ رِعَة البَارع عن بَلْتَعة البَازع[٥].

٣٨ـ رموز الكنوز[٦].

٣٩ـ سيّدةُ آي القُرآن وأعظمها[٧].

٤٠ـ شرح الأربعين النَّوويَّة[٨].

الصّفاتِ العُلاَ: أنَّها مُنبِئةٌ عنها، ومُحصِّلَةٌ للعِلْم بها، كما أُوْضِح في "حدائق الحقائق"ليس غير، في تفسير:﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ .

(١) رسالة مشتركة بين العقيدة والحديث، ذكرها البقاعي في نظم الدرر ٤: ٤٥٢، وتوجد منه نسخة في مكتبة خاصة، وقد قمت بتحقيقها، وهي في طريقها للنشر.

(٢) ذُكِر في: إيضاح المكنون ١: ٤١٦ ، وهدية العارفين ٢: ١٦٦، وتوجد منه أكثر من نسخة مخطوطة، وقد نُشر مؤخّرًا في دار إحياء التراث الإسلامي بمشيخة الأزهر الشريف بمصر في شهر رمضان (١٤٤١هـ)، وطبعة ثانية بتحقيق: أبو عبد الرحمن شوكت بن رفقي شحالتوع، ونشر دار الرياحين، مصر، بعنوان: حل الخباء في الدعاء برفع الوباء! سنة (١٤٤١هـ).

(٣) ذكره في تفسيره لسورة الناس في المقصد العاشر منها [ق٢١٤/أ].

(٤) ذكره في إفهام الأفهام (ص: ٧٤، ١٤٠)، وأشار إلى أن من أبوابه: نجائب النجباء، ومناهج المباهج، وذكره كذلك في تبيين معادن المعاني [٢/ب]. قال في إفهام الإفهام (ص:٧٤): "وإملاؤنا الملقب بـ (نجائب النجباء) يُطْلِع على أسرار ذلك ولطائفه وهو أحد أبواب (رسائل الوسائل)".

(٥) في آداب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لم أعثر إلا على نسخة واحدة منه. وقد ذُكِر معنى العنوان في صفحة العنوان فقال:"رِعَة: من الورع والتقوى، البَارع: من فاق أقرانه وغيرهم في العلم وغيره، بلتعة: المرأة السليطة الكثيرة الكلام...، البَازع: الذي يتكلم ولا يستحي، ثم قال: وحاصله: ما يُوجب تورّع العالم الخَيّر عن اتّباع الظَّنّ وما تهوى الأنفس.."، وقد قام بتحقيقه أحد الباحثين في ضمن بحث له.

(٦) ذكره في إفهام الأفهام (ص: ٨٩) فقال: "المخالفات التي يزع الخوف عنها أُمّهاتها: الكفر والفسوق والعصيان، كالأهواء الزائغة، والأخلاق الدنيئة، والأعمال السيئة، والأقوال الرديئة، وقد جمعها قول النبي r: "اللهم إني أعوذ بك من منكرات الأخلاق والأعمال والأهواء" على ما أوضحناه في (رموز الكنوز)".

(٧) في التفسير وفضائل القرآن، ذُكر في إفهام الأفهام (ص: ١١٠) فقال: "الصفات الثبوتية: فَصَدَّرَها الشيخ بذكر الحياة، لأنَّها ينبوع الكمالات ورأسها، كما أوضحته في تفسير: (سيدة القرآن وأعظمها)"، وكذلك ذكره في تبليغ الأماني في حسن ترتيب المباني، ولم أعثر عليه بعد.

(٨) في الحديث الشريف وفقهه، ذكره في إفهام الأفهام (ص: ١٠٧).

٤١ـ شرح كلمتي الشَّهادة والفكر فيما يُثمر لمن شرح الله به صدره من النُّور والعبادة[١]، أو معنى كلمة الشَّهَادَة والفكر فِيمَا يُثمر لمن شرح الله بِهِ صَدرَه من النُّور وَالْعِبَادَة، أو أبواب السعادة في شرح كلمة الشهادة[٢].

٤٢ـ شرح منظومة ابن فرح الإشبيلي[٣].

٤٣ـ شفاء الشَّقاء[٤].

٤٤ـ شفاء الصُّدور المُبطل لقول الجَبْر والقَدَر الغَرُور[٥].

٤٥ـ طريق السَّلامة ونيل الكرامة[٦].

٤٦ـ عِصْمَة الانسان من لحن اللِّسَان[٧].

٤٧ـ فائدة في الرَّد على الأديان والفرق من آيات سورة الإخلاص[٨].

٤٨ـ فوائد ذكر فوائد الأعمال[٩].

٤٩ـ قصائد شعرية[١٠].

---

(١) ذكره في إيضاح المكنون ٢: ٥١٤ وذكر بدايته: "الحمد لله المنفرد في صمديته بكمال جلاله، والمتوحد في قدوسيته بجمال كماله.." وقال: في مجلد لطيف، وهدية العارفين ٢: ١٦٦. وتوجد منه نسخة في مكتبة خاصة، ولم أعثر عليها.

(٢) كذا سمَّاه في تفسيره لسورة الفلق [ق٢٠١/أ].

(٣) في مصطلح الحديث، توجد منه أكثر من نسخة.

(٤) في التفسير، عثرتُ على نسخة منها، وهي مقابلة ومصححة بخط المؤلّف.

(٥) في العقيدة، ذكره في إفهام الأفهام، فقال (ص: ٧١): "على ما قررتُه في شفاء الصدور، على قولهم: فأترك ما أريد لما تريد"، وقال في (ص: ١٦٦): "وقد ذكر الأئمَّةُ في حكمة خلق الله تعالى لإبليس وإنظاره فوق ألف حكمة، كما أوضحنا بعضَه في (شفاء الصدور المبطل لقول الجبر والقدر والغرور)"، وقد عثرت على نسخة منه عليها تصحيحات المؤلف، وقمت بتحقيقه.

(٦) في التفسير، ذكره في تفسيره لسورة المسد [ق١٤٤/ب]، وقد عثرت على نسخة منه مقابلة ومصححة وعليه خط المؤلف.

(٧) ذُكر في كشف الظنون ٢: ١١٤١، وفي هدية العارفين ٢: ١٦٦، وهو محقق ومطبوع، وقد شرحه عبد الخالق بن علي بن الفرات المالكي (ت٧٩٤هـ) وسَمَّى شرحه: "تيسير عصمة الإنسان من لحن اللسان".

(٨) ذُكِرت في خزانة التراث برقم: (١٢٥٩٥٢)، يوجد منها نسخة في مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية بالرياض، برقم حفظ ج٣٢٣/٢، وقد عثرت عليها.

(٩) ذكره في إفهام الأفهام (ص: ١٥٩) فقال: "وإنكار الإباحية وقوع التكليف زندقة وإلحاد، وإحالة الجهلة الأغمار له قائلين: (وما أنزل الرحمن من شيء) قد أوضحنا شبهتهم الفاسدة وأجبنا عنها في الكتاب والسُّنَّة أحسن جواب، في "فوائد ذكر فوائد الأعمال"، ولم أعثر عليه.

(١٠) يوجد نسخة في جامعة الإمام محمد بن سعود برقم: (٧٠١١).

٥٠ـ القواعد، أو قواعد الإسلام [١].

٥١ـ الكلام على ما هو الأولى والأحرى في طائفتي الأشاعرة والحنابلة[٢].

٥٢ـ لطائف علوم آية الخلائف[٣].

٥٣ـ مَا فِي اللَّيْل من عَظِيم النّيل[٤].

٥٤ـ محاسن الأبرار[٥].

٥٥ـ مَرُّ النَّسيم على الرَّوض البسيم[٦].

٥٦ـ مراشد القاصد إلى أسنى المقاصد[٧].

٥٧ـ مُريح القلوب من الكروب[٨].

٥٨ـ مُزيل الملام عن حُكَّام الأنام[٩].

٥٩ـ مضاعفة المثوبة لا تسقط الفوائت المطلوبة[١٠].

---

(١) ذُكِر في خزانة التراث منسوبًا له برقم: (٥٢٤٥٢)، وهو من مخطوطات تشستربتي ـ إيرلندا، والإسكندرية، وقد عثرت على الأولى منهما، وقد قام بتحقيقه ونشره د. أحمد بن سعيد العواجي، في العدد السادس والثلاثين في مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالإسكندرية ٢٠٢٠م.

(٢) توجد نسخة مخطوطة في مكتبة تركية، وقد عثرت عليها، وقمت بتحقيقها.

(٣) في التفسير، ذكره في إفهام الأفهام (ص: ١٤٨) فقال: "ثم إن لم يمت أقوام ويحيا آخرون يفسد نظام العالم الدنيوي، كما شرحناه في: "لطائف علوم آية الخلائف""، وقد عثرت على نسخة منه، فيها خرم من أولها وآخرها.

(٤) في الآداب والفضائل، ذكره في هدية العارفين ٢: ١٦٦، وقد قمت بتحقيقها، وهي في طريقها للنشر.

(٥) ذكره في تفسير سورة العصر المتضمنة هداية سبيل الرشاد في أقصر الآماد [ق٧/أ].

(٦) ذكره في إفهام الأفهام (ص: ٩١) فقال: "وأما قوله ﷺ: "اللهم بك آمنت ولك أسلمت.." فعجيب في بابه، وفي ضمن سورة النور ما يبين ذلك ويشير إلى بيانه، فاستوضحه إن شئت ممَّا أمليناه في: "مر النسيم على الروض البسيم""، ثم قال بعد ذلك في إفهام الأفهام (ص: ٩٢): واستشرحه إن أردت من "مر النسيم على الروض البسيم" في سورة يوم الجمعة". ولم أعثر عليه.

(٧) ذكره في إفهام الأفهام (ص: ١٤٠) فقال: "ونحو ذلك من توجيهه أوامر أسمائه الحسنى لتُبرز لهم الربانية آثار كلِّ اسم منها، كما قررتُه في بعض فصول: "مراشد القاصد إلى أسنى المقاصد""

(٨) في التفسير، نظرات في سورة الانشراح، وقد نشرت في مجلة مدونة الدراسات الصادرة عن المنتدى الإسلامي في الشارقة.

(٩) وتوجد منه أربع نسخ، وقد قمتُ بتحقيقه ـ بحمد الله ـ وهو في طريقه للنشر، وقد طُبع بتحقيق الدكتور فؤاد عبد المنعم أحمد على نسخة واحدة، ونُسِب خطأ لعبد الرحمن بن محمد بن خلدون (ت: ٨٠٨هـ).

(١٠) رسالة مشتركة بين الحديث والفقه، وقد عثرت على نسخة منها، وهي مقابلة ومصححة بخط المؤلّف، وقد قمت بتحقيقها، وهي في طريقها للنشر في جهة علمية.

٦٠ـ مفتاح الفرج[١].

٦١ـ مقدمة في النَّحو[٢].

٦٢ـ مهمات آية الأسوة[٣].

٦٣ـ الـمُهِمَّات الجامعة للتَّنبيهَات النَّافِعَة[٤].

٦٤ـ الوجوهُ الجميلة في بيان أنَّ أمَّ القُرآن حاويةٌ لمعانيه الجليلة، أو (تفسير سورة الفاتحة)[٥].

هذا ما استطعت الوقوف عليه من مؤلّفات وليّ الدّين الـمَلّويّ، وربما تكشف لنا الأيام مزيدًا من ذلك مع البحث والتَّقصّي، والله أعلم.

ثامنًا: أثَرُه بمن بعدَه:

برز أثر وليّ الدِّين الملّوي في كثير من نُقول مَن بعده عنه، ومن أقدم مَن نقل عنه تلميذُه بَدرُ الدِّين الزَّركشي، محمد بن بُهادر (ت:٧٩٤هـ) في كتابه: البرهان في علوم القرآن؛ ولكن لم يُصرّح باسم شيخه، ووصفه بالتَّحقيق[٦]، فقال: "قال بعض مشايخنا الـمُحقِّقين: قد وَهِمَ مَنْ قَالَ: لا يُطلَب للآي الكريمة مناسبة؛ لأنَّها على حَسَبُ الْوَقَائِعِ الْمُتَفَرِّقَةِ، وَفَصْلُ الْخِطَابِ: أَنَّهَا عَلَى حَسَبِ الْوَقَائِعِ تَنْزِيلاً، وَعَلَى حَسَبِ الْحِكْمَةِ تَرْتِيبًا، فَالْمُصْحَفُ كَالصُّحُفِ الْكَرِيمَةِ، عَلَى وَفْقِ مَا فِي الْكِتَابِ الْمَكْنُونِ مُرَتَّبَةً سُوَرُهُ كُلُّهَا وَآيَاتُهُ بِالتَّوْقِيفِ، وَحَافِظُ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ لَوِ اسْتُفْتِيَ فِي أَحْكَامِ مُتَعَدِّدَةٍ أَوْ نَاظَرَ فِيهَا أَوْ أَمْلاَهَا لَذَكَرَ آيَةَ كُلِّ حُكْمٍ عَلَى مَا سُئِلَ، وَإِذَا رَجَعَ إِلَى التِّلاَوَةِ لَمْ يَتْلُ كَمَا أَفْتَى وَلاَ كَمَا نَزَلَ مُفَرَّقًا، بَلْ كَمَا أُنْزِلَ جُمْلَةً إِلَى بَيْتِ الْعِزَّةِ، وَمِنَ الْمُعْجِزِ الْبَيِّنِ أُسْلُوبُهُ وَنَظْمُهُ الْبَاهِرُ فَإِنَّهُ: ﴿كِتَـٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَـٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾[هود: ١]"، ثمّ قَالَ: "وَالَّذِي يَنْبَغِي فِي كُلِّ آيَةٍ أَنْ يُبْحَثَ أَوَّلَ كُلِّ شَيْءٍ عَنْ كَوْنِهَا مُكَمِّلَةً لِمَا قَبْلَهَا، أَوْ مُسْتَقِلَّةً، ثُمَّ الْمُسْتَقِلَّةُ مَا وَجْهُ مُنَاسَبَتِهَا لِمَا قَبْلَهَا؟ فَفِي ذَلِكَ عِلْمٌ جَمٌّ، وَهَكَذَا فِي السُّوَرِ

---

(١) ذكره في إفهام الأفهام (ص: ١٥٤) فقال: "ومن الفرق بين الصوفي والسلفي يتَّضح هذا جدًا، وقد بيَّناه أحسنَ بيان في "مفتاح الفرج" و "تبليغ الأماني" فليراجع فيهما".

(٢) يوجد منه أكثر من نسخة.

(٣) ذكرها في كتابه حصن النفوس [ب/٤٠] فقال: "وقد نَبَّهْتُ على مُهِمَّاتِ آيةِ الأُسْوَة في مسألتها"، ولم أعثر عليها.

(٤) ذكرت في إفهام الأفهام (ص: ٨٨) في التنبيهات العشر على المقدمة، فقال: "وأما عاشرها: فمن الواضح أن عاقبة ذلك ليس إلا زحزحة عن النار وإدخالاً للجنة، وهما المغفرة والأجر الكريم أو الكبير...، وفي "الـمُهِمَّات الجامعة للتنبيهات النافعة" تعزيز لذلك كاف"، ولم أعثر عليها.

(٥) رسالة في التفسير، ذكرها في إفهام الأفهام (ص: ٨٨، ١٧٥)، وأشار إليها في تفسير سورة الفلق، وكذلك في تفسيره لسورة الكوثر في تنبيه قارن فيه بين سورة الكوثر والفاتحة [ق٢٤/ب]، وقد عثرت على نسختين منها، وقمت بتحقيقها، بحمد الله.

(٦) وقد قال البقاعي في نظم الدرر ١: ٨، ٩ بعد هذا النقل: "الشيخ المشار إليه هو العارف ولي االدين محمد بن أحمد الملّوي"، وصرّح باسمه كذلك جلال الدِّين السيوطي في الإتقان ٥: ١٨٣٨، ومعترك الأقران ١: ٤٤.

يُطْلَبُ وَجْهُ اتِّصَالِهَا بِمَا قَبْلَهَا وَمَا سِيقَتْ لَهُ"[1].

كذلك نقل عنه أبو العباس الأقفهسي (ت: ٨٠٨هـ) في آداب الأكل، فقال: "إذا كان بالإنسان بَخَرٌ مُحْكَم فلا شَكَّ أنَّ رائحة فَمِه تزيد عن رائحة فَمِ آكلِ الثُّوم والبصل، وهذا مع ظهوره، كان الشيخ وليُّ الدِّين الملَّوي ـ رحمه الله ـ يُفتى به ويمنعه من المسجد"[2].

ونقل عنه ابن حجر العسقلّانيّ (ت: ٨٥٢هـ) في الفتح، فقال: "ثُمَّ وَجَدْتُ مَعْنَى هَذَا الِاحْتِمَالِ لِلشَّيْخِ وَلِيِّ الدِّينِ الْمَلَّوِيِّ، وَقَوَّاهُ بِمَا ذَكَرْتُهُ مِنْ حَدِيثِ سَمُرَةَ، فَحَمِدْتُ اللَّهَ عَلَى التَّوْفِيقِ لِذَلِكَ"[3].

وفي موضع آخر قال: "وَفِي كَلَامِ الشَّيْخِ الْمَلَّوِيِّ أَنَّ الْعَقْدَ يَقَعُ عَلَى خِزَانَةِ الْإِلَهِيَّاتِ مِنَ الْحَافِظَةِ، وَهِيَ الْكَنْزُ الْمُحَصَّلُ مِنَ الْقُوَى، وَمِنْهَا يَتَنَاوَلُ الْقَلْبُ مَا يُرِيدُ التَّذَكُّرَ بِهِ"[4].

ونقل عنه ابن أمير حاج الحنفي (ت: ٨٧٩هـ) في التَّقرير والتَّحبير على تحرير الكمال بن الهمام (ت: ٨٦١هـ)، ووصفه بالمحقِّق مع استحسان شيخه الكمال لِمَا نقله عنه أخيرًا، فقال: "المراد بالمعاني ما يقابل العينيَّة الخارجيَّة، فيخرج عن حَدِّ العِلم إدراكُ الحواس الظاهرة، فإنَّها تُفيد تمييزًا في الأمور العينيَّة، ومنهم من قيَّد المعاني بالكليَّة ميلاً إلى تخصيص العِلم بالكلِّيَّات والمعرفةِ بالجزئيَّات، هذا، وقد تعقَّب المحقِّق الشيخُ وليُّ الدِّين الملَّويُّ هذا التَّعريف بأنَّه تفسير القوَّة العلميَّة، وإلَّا فهم متَّفقون على أنَّ العِلم إمَّا تصوُّر وإمَّا تصديق ضروريٌّ ومطلوب، وليس ذلك نفس الصِّفة بل أثرها، فعرضته على شيخنا المصنف ـ رحمه الله ـ فدافعه بعض المدافعة ثمَّ استحسنه وألحقه بالكتاب"[5].

وأكثرُ مَن نقل عنه هو برهانُ الدِّين البِقَاعي (ت: ٨٨٥هـ) في كتابه نظم الدرر، وقد ذكر الكتاب المنقول منه في موضعين، وهو كتاب حصن النفوس ٤: ٤٥٢، ١٥: ٣٦٨، أما بقية نقوله عنه فلم يذكر الكتاب المنقول منه: ١١: ٥٢٦، ٢٠: ١٥٢ـ ١٨٧ـ ١٩٥ـ ٢١٥ـ ٢٦٠ـ ٢٩٧ـ ٣١٧ـ ٣٤٣ ـ ٤٥٤، ٢١: ٥١ ـ ١٥٠ـ ١٦١ ـ ٣٧١ ـ ٣٧٩ ـ ٣٨٧ ـ ٤٠٠، ٢٢: ٦ ـ ٧٤ ـ ١٦١ ـ ١٩٤ـ ١٩٩ ـ ٤٠٨ ـ ٤٢٥. واقتصرت على ذكر الأجزاء والصفحات لعدم الإطالة.

كذلك نقل عنه في كتابه مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور في موضعين، الأول منهما من كتابه: تبيين معادن المعاني، فقال: "وقال الإمام وليّ الدِّين محمد بن أحمد الملَّوي في كتاب "تبيين معادن المعاني": قال بعض الصدِّيقين: فالحَدُّ والمطلع يَدُقُّ أمرُهما ويغمض، ويختصُّ بدركهما الأكابر العارفون، وقد يضيق عن كثير منه نطاق النُّطق، والظَّهر سهلٌ لكلِّ وارد، وفيه يتكلَّم علماء الرُّسوم،

(١) البرهان في علوم القرآن ١: ٣٧، وقد ذكر هذا الكلام في رسالته: لطائف آية الخلائف، ولا تزال مخطوطة، وقد عثرت على نسخة منها، ولكن فيها خرم من أولها وآخرها.

(٢) آداب الأكل (ص: ٥٤).

(٣) فتح الباري ٣: ٢٤.

(٤) المصدر السابق ٣: ٢٦.

(٥) التقرير والتحبير ١: ٥٩.

وأمَّا البَطن فيَكاد يختصُّ به أرباب القلوب وعلماء الحقائق، ﴿قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ﴾ [البقرة: ٦٠، الأعراف: ١٦٠]، ثمَّ قال: "إنَّ مطلعَ كلِّ حرفٍ هو المأتَى الذي يُؤتَى منه"(١).

ونقل عنه أيضًا من تفسيره لسورة النصر فقال(٢): "قال الإمام وليُّ الله الملّويّ: وفي الصَّحيح عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يُكثِر من قول "سبحان الله وبحمده، أستغفر الله وأتوب إليه"، قال: أخبرني ربي أني سأرى علامة في أمتي، فإذا رأيتها أكثرت من قول: **سبحان الله وبحمده، أستغفر الله وأتوب إليه**، فقد رأيتها: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ﴾[النصر: ١]، ﴿فتح مكة، وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ۞ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًۢا﴾ [النصر: ٢ – ٣]"(٣).

ونقل عنه يحيى العامري الحرضي (ت: ٨٩٣هـ) في كتابه: "بهجة المحافل وبُغية الأماثل"، فقال: "عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: ذُكِر عند رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلٌ نام ليله حتى أصبح، فقال: "ذلك بال الشَّيطان في أُذنيه ـ أو قال في أذنه"(٤)، وليحذر كلَّ الحذر أيضًا مَن تَرَكَ تهجُّدًا اعتاده، والإعراض عنه بالكليّة، فيكون أسوأ حالاً ممّن لم يتهجَّد رأسًا، وقدِ استعاذ النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم من الحَوْرِ بعد الكَوْرِ(٥) في ما بعد، وهو على حقيقته، أو كناية عن سَدِّ الشَّيطان أُذُن الذي ينام عن الصَّلاة حتى لا يسمع الذِكْرَ، أو أنَّ الشَّيطان مَلأ سمعَه بالأباطيل فحَجَبَه عن الذِكْر، أو المراد: أنَّ الشَّيطان ازدراه واستخفَّ به حتى اتَّخذه كالكَنِيف المعَدِّ للبول، أقوال، وإنَّما خَصَّ الأذُن بالذِّكْر مع أنَّ العين أنسبُ بالنَّوم، إشارة إلى ثقل النَّوم، فإن المسامع موارد الانتباه، وخصّ البول؛ لأنه أسهل مُرَحَّلاً في التجاويف، وأسرع نفوذًا في العروق، فَيُورث الكسل في جميع الأعضاء، فيحصل التَّثبيط عن القيام للصَّلاة، قاله الطيبي، "الشيطان" هو حقيقة أو كناية عن تثبيطه قولان، "قافية" بالقاف قبل الفاء "رأس أحدكم"؛ أي: مُؤَخَّره، إذا "هو نام" هو على عمومه أو خصوصه بمن نام قبل صلاة العشاء، قاله الملَّوي وابنُ حجر"(٦).

وذكر شمس الدِّين السَّخاوي (ت: ٩٠٢هـ) في ترجمة ابن سلطان ناصر الدِّين أبي الفيض مُحَمَّد ابن عبد الرَّحْمَن بن عِيسَى الغزي ثمَّ القاهري، الشَّافِعِي الصُّوفِي القادري (ت: ٨٥٣هـ)، فقال: "لَهُ تأليف

---

(١) مصاعد النظر ١: ٣٧٨.

(٢) المصدر السابق ٣: ٢٧٣.

(٣) أخرجه مسلم في كتاب الصلاة، باب: ما يقال في الركوع والسجود ١: ٣٥١ برقم ٤٨٤.

(٤) أخرجه البخاري في التهجد، باب: إذا نام ولم يصل بال الشيطان في أذنه ١: ٣٨٤ برقم ١٠٩٣، ومسلم في صلاة المسافرين، باب: ما روي فيمن نام الليل أجمع حتى أصبح برقم ٧٧٤.

(٥) أخرجه أحمد في المسند ٥: ٨٣، والترمذي في باب: ما يقول إذا خرج مسافرًا ٥: ٤٩٧ برقم ٣٤٣٩ وقال: حديث حسن صحيح، والنسائي في باب: الاستعاذة من الحور بعد الكور ٨: ٢٧٢ برقم ٥٤٩٨، عن عبد الله بن سَرْجِس رضي الله عنه.

(٦) بهجة المحافل وبغية الأماثل ٢: ٣٥٢.

ومحبَّة فِي تصانيف الوليّ الملَّويّ واهتمام بتحصيلها"[1].

وأمَّا جلال الدِّين السيوطيّ (ت: ٩١١هـ) فنقل عنه قوله في المناسبات بين الآيات والسور ما نقله عنه تلميذه الزركشيّ، فقال: "قَالَ الشَّيْخُ وَلِيُّ الدِّينِ الْمَلَّوِيُّ: قَدْ وَهِمَ مَنْ قَالَ لَا يُطْلَبُ لِلْآيِ الْكَرِيمَةِ مُنَاسَبَةٌ؛ لِأَنَّهَا عَلَى حَسَبِ الْوَقَائِعِ الْمُفَرَّقَةِ، وَفَصْلُ الْخِطَابِ أَنَّهَا عَلَى حَسَبِ الْوَقَائِعِ تَنْزِيلاً وَعَلَى حَسَبِ الْحِكْمَةِ تَرْتِيبًا وَتَأْصِيلاً..." [2].

وفي التوشيح شرح الجامع الصحيح للسيوطي في شرحه لبعض مفردات حديث أبي هريرة رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: "يَعْقِدُ الشَّيْطَانُ عَلَى قَافِيَةِ رَأْسِ أَحَدِكُمْ إِذَا هُوَ نَامَ ثَلَاثَ عُقَدٍ يَضْرِبُ كُلَّ عُقْدَةٍ: عَلَيْكَ لَيْلٌ طَوِيلٌ فَارْقُدْ..." [3]، قال: "قافية رأس أحدكم"؛ أي: مؤخره، "إذا هو نام" يُحتَمَل أن يكون على عمومه، وأن يُخصّ بمن نام قبل صلاة العشاء، قالُه الملوي وابن حجر"[4].

ونقل عنه محمد عبد الرؤوف المناوي (ت: ١٠٣١هـ) في شرحه للجامع الصغير، فقال: "قال الملَّوي: اليهوديُّ أصله من آمن بموسى عليه الصَّلاة والسَّلام والتزم أحكام التَّوراة، والنَّصرانيُّ من آمن بعيسى عليه الصَّلاة والسَّلام والتزم أحكام الإنجيل، ثمَّ صار اليهوديُّ من كَفَر بما أُنزل بعد موسى عليه الصَّلاة والسَّلام، والنَّصارَى من كفر بما أنزل بعد عيسى عليه الصَّلاة والسَّلام"[5].

وفي كوثر المعاني الدَّراري في كشف خبايا صحيح البخاري للجكنيّ الشَّنقيطيّ (ت: ١٣٥٤هـ) نقل ما ذكره ابن حجر في فتح الباري عن الملّوي، فقال: "في كلام الشَّيخ الملَّويّ أنَّ العَقْد يقع على خزانة الإلهيَّات من الحافظة، وهي الكنز المحصَّل من القُوى، ومنها يتناول القلب ما يريد التَّذَكُّر به"[6].

وما من أحد كتب في علم المناسبات من قديم أو معاصر إلَّا ونقل مقولة وليّ الدِّين الملّوي فيها، والإشارة إليهم تغني عن ذكرهم لكثرتهم.

تاسعًا: وفاته

توفي وليُّ الدِّين الملَّويُّ ـ رحمة الله عليه ـ في القاهرة ليلة الخميس أو الجمعة، في الرَّابع أو الخامس والعشرين من شهر ربيع الأوّل[7] سنة (٧٧٤هـ)، عن بضع وستين سنة، وكان الجمع في جنازته حافلاً

(١) الضوء اللامع ٧: ٢٩٨ ـ ٢٩٩.

(٢) ينظر: الإتقان ٥: ١٨٣٨، معترك الأقران ١: ٤٤.

(٣) أخرجه البخاري في التهجد، باب: عقد الشيطان على قافية الرأس ١: ٣٨٣ برقم ١٠٩١، ومسلم في صلاة المسافرين، باب: ما روي فيمن نام الليل أجمع حتى أصبح برقم ٧٧٤.

(٤) التوشيح شرح الجامع الصحيح ٣: ٩٨٦ ـ ٩٨٧.

(٥) فيض القدير شرح الجامع الصغير ٢: ٤٠٤.

(٦) ينظر: كوثر المعاني الدراري ١١: ٤٧.

(٧) قال ابن رافع في الوفيات ٢: ٤٠٠: "وفي يوم الخميس الرابع والعشرين منه توفي الشيخ الإمام ولي الدين"، وكذا في الذيل على العبر لابن العراقي ٢: ٣٥٠، وقال ابن حجر في الدرر الكامنة ٥: ٣٣: "مات في ليلة الجمعة

مُتوفِّرًا، يُقَال: بلغوا ثلاثين ألفًا، وقد دُفِن بِتُربة الأمير ناصر الدِّين ابن آقبغا آص[1].

وقد كانت مِيتته حَسَنةً، وذُكِرَ أنَّه لَمَّا حضرته الوفاةُ قال: هؤلاء ملائكة ربّي قد حضروا وبشّروني بقَصْر في الجنّة، وشَرَع يُردِّد: السَّلام عليكم، ثمَّ قال: انزعوا ثيابي عنّي، فقد جاؤوا بِحُلَلٍ من الجنّة، وظهر عليه السّرور، ومات في الحال[2].

خامس عشرين ربيع الأول سنة ٧٧٤هـ عن ثمانين سنة". قلت: قوله عن ثمانين سنة، لا يصحّ، وقد ذكر هو في إنباء الغمر غير ذلك فقال ١: ٤٧: "مات في شهر ربيع الأول عن بضع وستين سنة"، وهو ما اتفق عليه كلُّ من ترجم له.

(١) ينظر: السلوك لمعرفة دول الملوك ٤: ٣٥٥، طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة ٣: ١١٢، إنباء الغمر ١: ٤٧، نيل الأمل في ذيل الدول ٢: ٤٤، طبقات المفسرين للداوودي ٢: ٦٣.

(٢) ينظر: طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة ٣: ١١٢، إنباء الغمر ١: ٤٧، النجوم الزاهرة ١١: ١٢٥، الذيل التام (ص: ٢٦٠)، شذرات الذهب ٨: ٤٠٢.

المبحث الثاني

دراسة رسالة

(إرشاد الطائف إلى علم اللطائف من النفس والقلب والروح والعقل العارف)

أوّلاً: موضوع الرِّسالة وترتيب مؤلفها لها

هذه الرسالة هي تحقيق وتدقيق في بيان المُراد من ألفاظ: النَّفس والقلب والرُّوح والعقل، الواردة في نصوص الكتاب والسُّنَّة، وقد جعلها المُؤلِّف في مقدمة ومقاصد وخاتمة.

ذكر في المقدمة ثلاثة تمهيدات:

أمَّا **التمهيد الأول**: فأشار فيه إلى ضرورة الاهتمام بقول الله تعالى: ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ ۝ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ۚ أُولَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُولَٰٓئِكَ هُمْ أُولُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [الزمر: ١٧ – ١٨]، والاهتمام بحُسْن النِيَّة في الأعمال عمومًا، والتحذير من سوء النية خصوصًا في طلب العلم، وهو ما يفسّر اهتمامَ العلماء بحديث: **"إنَّما الأعمال بالنّيات"**.

وأمَّا **التمهيد الثّاني**: فتكلّم فيه عن قول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾[الحشر: ١٨]، وعن قول النّبيّ ﷺ: **"من حُسْن إسلام المَرْء تَرْكُه ما لا يعنيه"**، ونبَّه من خلالهما إلى ضرورة اهتمام المكلّف بالمُهمّ في كلّ شيء، وتركِ توافه الأُمور، سواء كان ذلك في علم أو دنيا، أو غير ذلك.

وأمَّا **التمهيد الثَّالث**: فنبَّهَ فيه على تحتُّم الاهتمامِ بقول الله تعالى: ﴿أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِى حَكَمًا وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ إِلَيْكُمُ ٱلْكِتَٰبَ مُفَصَّلًا﴾ [الأنعام: ١١٤]، وأنّه يوقظ إلى جملة من التنبيهات من خلال آيات، أوّلها: التمسُّكُ بالوحي المعصوم، وثانيها: عدم تكليف العقل بما لم يُؤهّل لإدراكه، وثالثها: الرّدع عن الأخذ بآراء الرجال أيًا كانوا، مع التنبيه على الفرق بين ذلك وبين أخذ الناس بآراء الأئمة الأعلام، ورابعها: التنبيه على أنَّ في كتاب الله وسنة نبيه ﷺ تبيانًا لكلّ شيء مُهمّ، وأنَّ ما لم يبيّنه كتابٌ ولا سُنَّةٌ فليس بمهمّ، وأنَّ توهُّم معرفة الحَقّ والبحث عنه كمال كيفما كان، نفع وأثمر أو لا، هو انحراف وحَيدٌ عن اتّباع المُهمّ.

وأما المقاصد التي تدور عليها الرّسالة فهي في عشرة فصول:

الفصل الأوّل: بيَّن فيه أنَّه في الغالب لا يراد بالنفس ولا بالقلب ولا بالروح ولا بالسرِّ ولا بالعقل المعاني المادية الظاهرة.

الفصل الثاني: تحدَّث فيه عن النَّفس، وأنَّه قد يُراد بها الذات والحقيقة، وقد يُراد بها النفس الناطقة، وقد يُراد بها القوّة الشهوانيّة والغضبية، أو نفس القوة، وأن للنفس مراتب: أمَّارة بالسوء، ولوَّامة، ومطمئنة. وأن النفس المرحومة المستثناة في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّىٓ﴾

[يوسف: ٥٣] تشمل اللوامة وقت لومها، والمطمئنة مطلقًا.

الفصل الثالث: تحدّث فيه عن القلب، وأنَّه قد يُراد به اللّطيفة العاقلة المُريدة المُختارة الآسرة للنّفس الأمَّارة تارةً، أو الماسورة لها تارةً أخرى، وهو بهذا المعنى النّفس النّاطقة، وقد يُراد بالقلب القوّة النُّورانية المشغوفة بالكمالات والمعارف والفضائل واللطائف، وهو بهذا المعنى ضد النفس الأمَّارة.

الفصل الرّابع: تحدّث فيه عن العقل، وأنّه قد يُراد به الغريزة المدركة للمجَرَّدات، وقد يُراد به الإدراك الذي هو أثر الغريزة وثمرتها، وقد يُراد به جودة الذهن وقدرتُه على سرعة الإدراك وحُسْن البيان والحَدْس.

الفصل الخامس: تحدّث فيه عن الرّوح، وأنَّه قد يُراد بها اللطيفة المُدَبّرة للبدن، وهي بهذا المعنى تُرادف النَّفس النّاطقة والقلب المنقلب، وقد يُراد بالرُّوح القُوّة المُستغرقة في شهود الجلال والجمال.

الفصل السّادس: تحدّث فيه عن السرّ، وأنَّه قد يُراد به اللّطيفة المُؤهَّلة للمشاهدة، وهي ألطف من الرّوح وأعلى، وقد يُراد به شِدَّةُ إشراق القلب وقوّةُ أشعة نوره، فيكون دون الرّوح، وقد يُراد به قوّة إشراق الرُّوح وشِدَّة تنوّره، فيكون فوق الرُّوح، وقد يُراد به محل الخصوصية المُتميّز به كلّ فرد عن الآخر.

الفصل السّابع: تحدّث فيه عن الخَفيّ وما فوقه، وأنّه يَدُقّ عن الوصف، ويَعرفُه أهلُه بالوجدان.

الفصل الثّامن: تحدّث فيه على وجوب الإمساك عن الخوض في الإخبار عن ماهية الرُّوح وحقيقته، كما أمسك رسولُ الله ﷺ عن ذلك، بل إنَّ من العلماء من ذهب إلى تحريم الخوض في ذلك، مع التأكيد على أنَّه لا حاجةَ ولا ثمرةَ من معرفة ذلك.

الفصل التّاسع: أكَّد فيه على أنَّ النُّصوص القرآنية تُغري على الخوض باستبصار النَّفس ودلائِلها، مع التقريع والتوبيخ لمن ترك ذلك، وأنَّ المُراد هو معرفة رسوم النَّفس وخواصّها، دونَ معرفة ماهيتها وحقيقتها.

الفصل العاشر: بيّن فيه أنَّه لا خِلافَ بين رأي حُجّة الإسلام الغزالي في معاني هذه المفردات، وبين رأي غيره من أهل الكشف والسلوك، وأنَّ كلامه حَقٌّ باعتبار، وكلام غيره حَقٌّ باعتبار آخر، فالإمام الغزالي يرى أنَّ النفس والقلب والروح والعقل ذاتٌ واحدة تكثَّرت أسماؤها باعتبار تنوّع صفاتها، وأهلُ الكشفِ والسُّلوك يرون أنَّها حقائق متباينة مجموعة في العالم الإنسانيّ.

ثم ختم بخاتمة ذكر فيها ثلاثة تنبيهات:

التنبيه الأوَّل: هو أنَّ من الألفاظ يكون له معنىً في حالة الانفراد، فإذا ما قُرِن مع غيره كان له معنى آخر، وأنَّ في الكتاب والسُّنَّة أكثرَ من مائة لفظ من هذا القبيل، كلفظتي الفقير والمسكين، والإيمان والإسلام...إلخ، فإذا أُطلق أحدُ هذه الألفاظ ـ النفس أو القلب أو الروح أو العقل ـ شمل معاني البواقي،

وأمَّا إذا قُرِن بشيء منها اختصَّ بمعناه الذي ذُكِر له.

التنبيه الثَّاني: نقل فيه كلامًا عن صاحب "تأويلات القرآن الكريم"، وخلاصته: أنَّ الصفات الظاهرة في الإنسان هي انعكاس عن صفاته الباطنة.

التنبيه الثَّالث: ذكر فيه أن أبا إسماعيل الهروي رتَّب كتابه: "منازل السائرين" على عشرة أقسام، وذلك من أجل تركُّب الإنسان من كثائف ولطائف، ثمَّ ذَكَر سرَّ هذا الترتيب وعلاقتَه بصفات الإنسان النفسية والقلبية والروحية.

وقد فَرّق بين المَجذوب والسَّلفيِّ، فبيّن أنَّ الأوّل لم يَحْتج إلى مكابدة طبع، ولا مجاهدة نفس، ولا إعانة قلب، ولا مساعدة روح، وأمّا السّلفي فَسبَّاقٌ إلى الخيرات من غير مشقة، ولا بُعْدِ شُقَّة؛ وذلك لتمسكه بإرشاد الوحي القويم.

ثانيًا: عنوان الرسالة ونسبتها إلى مؤلفها

عنوان هذه الرسالة هو كما ذكر المؤلِّف في مقدمته، فقال: "وبعد: فـإرشادُ الطَّائف إلى علم اللَّطائف من النَّفس والقلب والرُّوح والعقل العارف"، وهي ثابتة النسبة لولي الدين الملوي، فقد نسبها إليه كلٌّ من حاجي خليفة في كشف الظنون ١: ٦٤، وإسماعيل باشا البغدادي في هدية العارفين ٢: ١٦٦.

ثالثًا: النسخة الخطية المعتمدة في التحقيق

اعتمدتُ في تحقيق هذه الرِّسالة على نسخة نفيسة عليها خَطّ مؤلِّفها، وهي ضمن مجموع فيه (١٤) رسالةً، كلُّها للمَلّوي، وقد قُوبلت وصُحّحت، واعتمدها المؤلّف بخطّ يده، فقال: "قُوبل وصُحِّحَ، والحمد لله وَحْدَه، كتبَهُ مؤلِّفُه عفا اللهُ عنه وتاب عليه، وحسبنا الله ونِعْمَ الوكيل"، وهذا المجموع هو في الخزانة الحمزية العياشية بإقليم الرشيدية بالمغرب، ويحمل الرَّقم: (٢١٤)، والرقم الترتيبي لها: ١٢٥٤، وهي في (١٢) ورقة، في كل صفحة (١٣) سطرًا، وقد كُتبت بخط نسخي واضح، ومُيزت بعض الكلمات فيه باللون الأحمر، وفيها حواشي إيضاحية وتصحيحات بخطّ المؤلّف.

قد كُتِب على الهامش أيضًا: بلغ محمّد عثمان الدِّمياطي قراءةَ بحثٍ وتحقيقٍ على الشَّيخ العالم العارف بالله تعالى، جميع هذا الكتاب سنة: (٨٧٤)، ولم أعرف ترجمة للقارئ ولا للشيخ العارف المشار إليه.

رابعًا: مصادر المؤلف المصرح بها

صَرّح المؤلّف بالنّقل عن عدد من الكتب، وهي:

ـ الرسالة القشيرية: لأبي القاسم، زين الدين، عبد الكريم بن هوازن النيسابوري القشيري (ت: ٤٦٥هـ).

ـ منازل السائرين: لأبي إسماعيل الهروي، عبد الله بن محمد (ت: ٤٨١هـ).

ـ عوارف المعارف: لأبي حفص، شهاب الدين، عمر بن محمد السهروردي (ت: ٦٣٢هـ).

ـ تأويلات القرآن الكريم: لكمال الدّين الكاشي أو القاشي، أو القاشاني، عبد الرزاق بن أحمد (ت: ٧٣٠هـ).

ـ جامع العلوم والحكم (شرح الأربعين النووية): لابن رجب الحنبلي، زين الدين، عبد الرحمن بن أحمد (ت: ٧٩٥هـ) .

ـ وأمَّا حجّة الإسلام الغزالي أبو حامد، محمد بن محمد (ت: ٥٠٥هـ)، فنقل عنه دون تحديد الكتاب، ويظهر أن النقل هو من أحد كتابين له، وهما: معارج القدس في مدارج النفس، أو مدخل السلوك إلى منازل الملوك، وقد ذكر جانبًا من ذلك في كتاب إحياء علوم الدين.

خامسًا: صور من النسخة الخطية

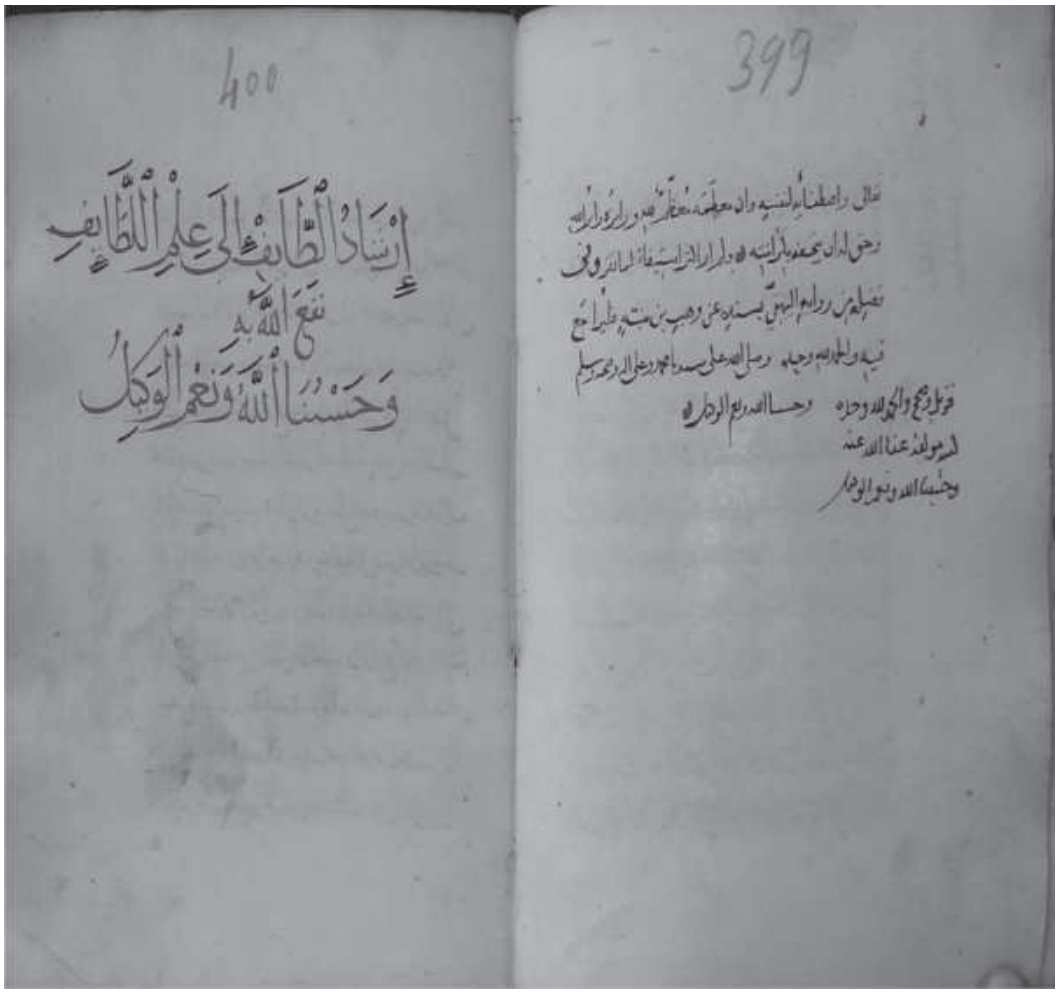

صفحة العنوان

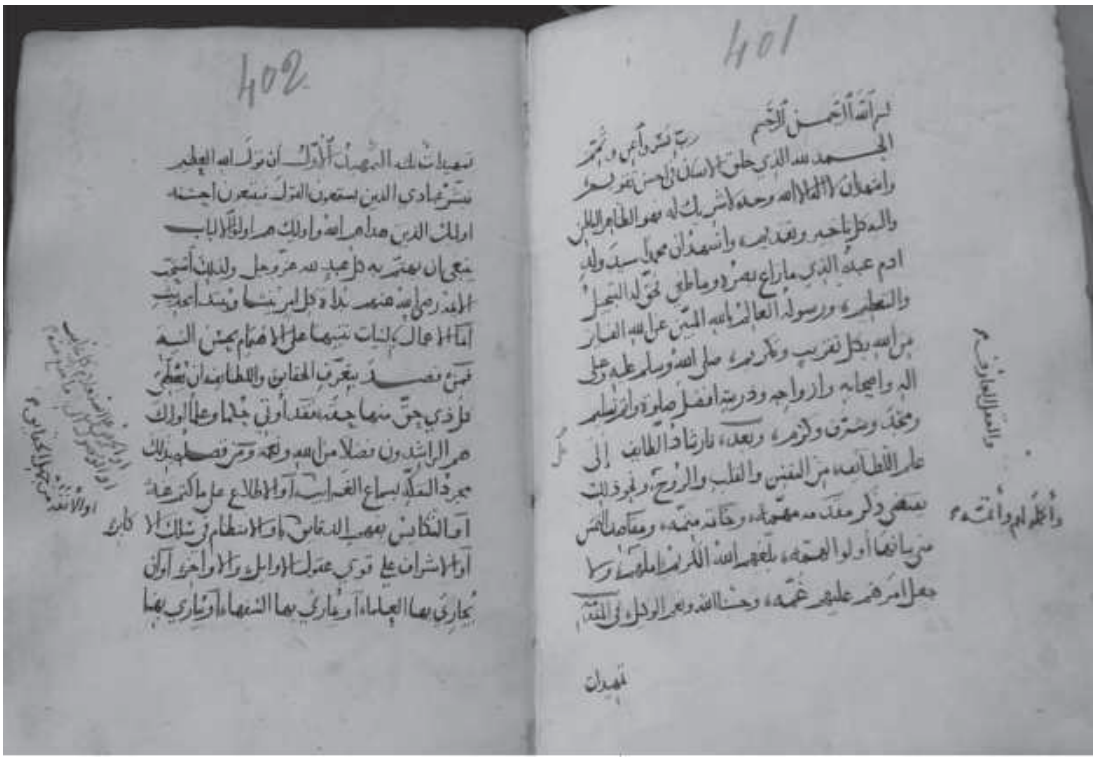

الورقة الأولى من إرشاد الطائف

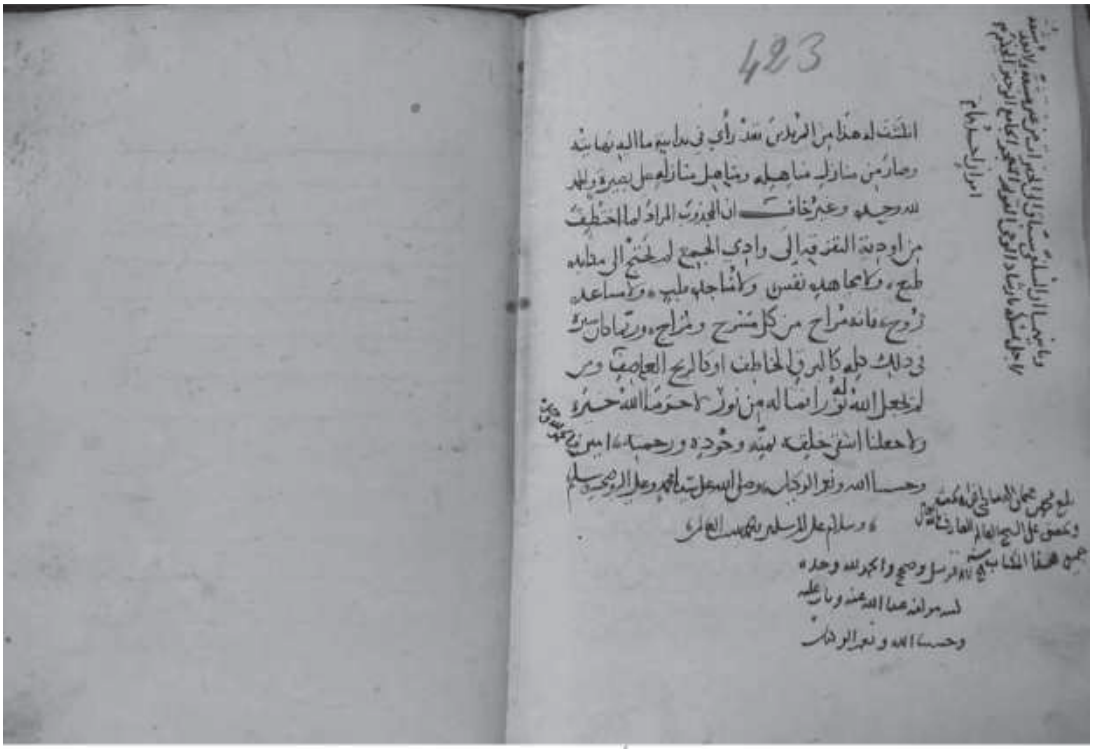

الورقة الأخيرة من إرشاد الطائف

سادسًا: منهج التحقيق

١ـ نَسخُ المخطوط وكتابته وفق رسم وقواعد الإملاء الحديثة.

٢ـ مقابلة نصّ الرّسالة بالنسخة الخطيَّة وبالمصادر التي رجع إليها المؤلّف.

٣ـ ضبط النَّص ضبطًا يزيل اللبس والغموض عنه.

٤ـ استعمال علاماتِ التَّرقيم المعتادة في النّص، والاعتناء بتفقير الكلام فيه.

٥ـ نسخ الآيات القرآنيَّة من المصحف الإلكترونيّ للمدينة المنوَّرَة، مع ذكر السُّورة ورقم الآية، بعدها مباشرة.

٦ـ تخريج الأحاديث النَّبويَّة والآثار من مصادرها في كتب السنَّة حسب أصول التَّخريج العلميَّة المُعتَمَدة، مع بيان درجتها.

٧ـ تخريج الأبيات الشعرية التي استشهد بها المؤلّف وعزوها لأصحابها إن وجد.

٨ـ استعمال الأقواس المزهرة للآيات، وأقواس التنصيص للأحاديث والنصوص، والقوسين المغلقين لصفحات المخطوط.

٩ـ ذِكْرُ مصادر ومراجع الدراسة والتحقيق في نهاية النص المُحقق.

بسم الله الرحمن الرحيم

ربِّ يَسِّرْ وأَعِن وتَمِّم

الحمد لله الذي خلق الإنسان في أحسن تقويم، وأشهد أن لا إله إلاَّ الله وَحدَه لا شريكَ له، فهو الظَّاهر الباطن، وإليه كلُّ تأخير وتقديم، وأشهد أنَّ مُحمَّدًا سيّدَ ولدِ آدمَ عبدُه الذي ما زاغ بصرُه وما طغى، فَحُقَّ له التَّبجيلُ والتَّعظيم، ورسولُه العالِمُ بالله، المُبَيِّنُ عن الله، الفائزُ من الله بكلِّ تقريب وتكريم، صلَّى الله وسلَّم عليه وعلى آله وأصحابه وأزواجه وذُرِّيته أفضلَ صلاة وأتمَّ تسليم، ومَجَّدَ وشَرَّف وكَرَّم، وبعد:

فإرشادُ الطَّائف إلى علم اللَّطائف من النَّفس والقلب والرُّوح والعقل العارف، ونحو ذلك، يقتضي ذِكْرَ مُقدِّمة مهمَّةٍ، وخاتمةٍ مُتِمَّة، ومقاصدَ التمسَ منِّي بيانَها أُولو الهِمَّة، بَلَّغَهم اللهُ الكريمُ أَمَلَهُم، وأكملَهُ لهم وأتمَّهُ، ولا جعل أمرَهم عليهم غُمَّة، وحسبنا الله ونِعْمَ الوكيل.

في المُقدّمة /تمهيداتٌ ثلاثة:

التَّمهيد الأوَّل:

أنَّ قول الله العظيم: ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ ۝ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [الزمر: ١٧ – ١٨] ينبغي أن يهتمَّ به كُلُّ عبدٍ لله عزَّ وجلّ، ولذلك استحبَّ الأئمَّةُ ـ رضي الله عنهم ـ بَدْأَةَ كُلِّ أمرٍ يُنشَأ ويُبتَدأ بحديث: **"إنَّما الأعمالُ بالنِّيات"**[1]، تنبيهًا على الاهتمام بِحُسْن النيَّة[2].

فمن قَصَد بتعَرُّف الحقائق واللَّطائف أن يُعطِيَ كُلَّ ذِي حقٍّ منها حَقَّه فقد أُوتي حُكْمًا وعِلمًا، ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ۝ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعْمَةً ۚ﴾ [الحجرات: ٧ – ٨].

ومَن قَصْدُه بذلك مُجَرَّدُ التَّفكُّهِ بسماع الغرائب، أو الحِرصُ على استعلام كلِّ غائب، أو الوصولُ إلى

(١) أخرجه البخاري في بدء الوحي، باب: كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله r ١: ٣ برقم: ١ عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ومسلم في الإمارة، باب: قول النبي ﷺ: "إنما الأعمال بالنية" ٣: ١٥١٥ برقم: ١٩٠٧.

(٢) وقد افتتح به الإمام البخاري صحيحه، قال ابن حجر في فتح الباري ١: ١١: "وقد تواتر النقل عن الأئمَّة في تعظيم قدر هذا الحديث، قال أبو عبد الله: ليس في أخبار النَّبيّ r شيء أجمعُ وأغنى وأكثر فائدة من هذا الحديث، واتفق عبد الرحمن بن مهدي والشافعي فيما نقله البويطي عنه وأحمد بن حنبل وعلي بن المديني وأبو داود والترمذي والدارقطني وحمزة الكناني على أنَّه ثلثُ الإسلام"...، "وقال عبد الرحمن بن مهدي أيضًا: ينبغي أن يجعل هذا الحديث رأس كل باب".

ما مُنِعَ منه، أو الاطِّلاعُ على ما كُتِمَ عنه، أو التَّكايسُ[١] بفهم الدَّقائق، أو الأَنَفَةُ[٢] من جهل الحقائق، أو الانتظامُ في سِلْك الأكابر، أو الإشرافُ على قُوَى عقولِ الأوائل والأواخِر، أو أن يُجَارِيَ بها العلماءَ، أو يُماريَ بها السفهاءَ، أو يُباريَ بها/الأقرانَ، أو يُفاخِرَ بها نحوَ الرَّاهبِ[٣] والمِطْران[٤]، أو يَرفعَ إليه بها الأبصارَ، أو يَنشرَ بها صِيتَه[٥] في الأمصار، أو أن يُحَبِّرَ[٦] بها المَجالِسَ، أو يُبهِجَ بها المُجالِسَ، أو نحو ذلك، فأَمْرُه إلى الله العليم بذات الصُّدور خيرًا وشرًّا، ويا وَيْلَهُ إن كان عاقبةُ أمرِه خُسْرًا، ففي النُّصوص النَّبويَّة ما يقتضي أنَّه سيحاسبُ حسابًا شديدًا، ويُعَذَّبُ عذابًا نُكْرًا[٧]، فَلْيَتَنبَّه لهذا أُولو الألباب، واللهُ الموفِّقُ للصَّواب، وحسبنا الله ونِعْمَ الوكيل.

التَّمهيد الثَّاني:

أنَّ قول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ﴾[الحشر: ١٨]، وقولَ النَّبيِّ ﷺ: "مِن حُسْنِ إسلامِ المَرْء تَرْكُه ما لايَعنيه"[٨] مُوقِظٌ كلَّ عاقلٍ لِتَأمُّل ما يَخطر بباله، فإنْ رآهُ ممَّا يَعنيه وإلَّا فَلْيَقتَصِر هَمُّه على مُهِمِّه، عالمًا بأنَّ متين العلم ومُهِمَّاتِه تُغْني عن مُلَحِه[٩] ومُتَمِّمَاتِه،

(١) أي: إظهار العقل والفهم، من الكَيْس، وهو خِلاف الحُمْق، والكَيِّسُ العاقل، والتَكَيُّسُ: التَّظرُّف، وتَكَيَّسَ الرَّجل أَظهر الكَيْسَ، وكايَسْتُهْ فكِسْتُه، أي: غلبتُه بالكَيْس وكُنتُ أَكْيَسَ منه. ينظر: الصحاح ٣: ٩٧٢، لسان العرب ٦: ٢٠٠، مادة: كيس.

(٢) أي: الكراهة، أو الحمية، أو العِزَّة، أو الإباء، وأَنِفَ منَ الشَّيء يأْنَفُ أَنَفاً وأَنَفةً: حَمِيَ، وأَنِفْتُ من قولك لي أَشَدَّ الأَنَفِ، أَي: كرِهتُ ما قُلتَ لي، ورَجلٌ أَنُوفٌ: شديدُ الأَنَفَةِ. ينظر: لسان العرب ٩: ١٢، مادة: أنف.

(٣) الرَّاهِب: واحد رُهبان النّصارى، ومصدره: الرَّهْبَةُ والرَّهْبانِيَّةُ، والتَرَهُّبُ: التَعَبُّدُ. ينظر: الصحاح ١: ١٤٠، رهب.

(٤) المِطْران: رئيسٌ دينيٌّ للنَّصارى دونَ البطريرك، قال ابن دريد: " أمَّا مِطران النَّصَارَى فَلَيْسَ بعربيّ مَحْض". ينظر: جمهرة اللغة ٢: ٧٦٠، معجم متن اللغة ٥: ٣١٤.

(٥) الصِّيتُ: الذِّكْرُ الجميل الذي ينتشر في النَّاس، دون القبيح. ينظر: الصحاح ١: ٢٥٧، صوت.

(٦) التَّحبير: التحسين. ينظر: الصحاح ٢: ٦٢٠، حبر.

(٧) فعن كعب بن مالك رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله r يقول: "من طلب العلمَ لِيُجاري به العلماء، أو ليُماري به السفهاءَ، أو يَصرفَ به وجوهَ النَّاس إليه أدخله الله النَّارَ" أخرجه الترمذي في العلم، باب: فيمن طلب بعلمه الدنيا، وقال الترمذي: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه، وللحديث شواهد يتقوى بها، فقد رواه ابن ماجه عن ابن عمر وجابر ١: ٩٣ برقم: ٢٥٣، ٢٥٤، والدارمي في مسنده مرسلاً عن مكحول بسند صحيح ١: ٣٧٨ برقم: ٣٨٥، ٣٨٦.

(٨) أخرجه الترمذي في الزهد، باب: رقم (١١) عن أبي هريرة رضي الله عنه ٤: ٥٥٨ برقم: ٢٣١٧، ومرسلاً عن علي بن حسين برقم: ٢٣١٨، وقال: وهذا عندنا أصح من حديث أبي سلمة عن أبي هريرة، وعلي بن حسين لم يدرك علي بن أبي طالب، وابن ماجه في الفتن، باب: كف اللسان في الفتنة ٢: ١٣١٥ برقم: ٣٩٧٦ عن أبي هريرة، ومالك في الموطأ في حسن الخلق، باب: ما جاء في حسن الخلق ٢: ٩٠٣ برقم: ٣. والحديث حسن بشواهده، وهو أصل عظيم من أصول الأدب.

(٩) وهو الكلام الجيد، والمُلْحة والمُلَحةُ: الكلمة المَليحة، وأَمْلَح جاء بكلمة مَليحة، ومَلَّحَ الشَّاعرُ إذا أَتى بشيء مَلِيح، والمُلْحَةُ واحدة المُلَحِ من الأَحاديث. ينظر: لسان العرب ٢: ٥٩٩، مادة ملح.

مُعْتَصِمًا بكلمات الله وآياته من غُرور الشَّيطان الرَّجيم وتزييناته، فلقد غَرَّ قومًا انقطعوا لعبادة الله العظيم/ومناجاته، فَحَسّنَ لهم جُملةً من العلوم التي لا تعني أمثالَهم، وقَنَع بذلك منهم.

ولو تَفَطَّنوا لَرَأوا أنَّ كثيرًا من دُنيا تركوها كانت أغْنَى بهم ممَّا شَغَلوا به وقتَهم، انخداعًا بِزُخْرُف قولِ اللَّعين: إنَّ في العلم منَ الفضل ما هو شهير، ولو علموا أنَّ عِلْمًا لا ينفع، أو لا ينفعهم هُمْ وإنْ نَفَعَ غيرَهم، ممَّا يَتَعَوَّذُ منه مَن قال: **"اللَّهُمَّ إنِّي أعوذُ بكَ مِن عِلْمٍ لا يَنفع"**(١)، لَتَباعَدُوا عنه أشَدَّ مِن تباعدهم عن شواغل المَعاش ونحوِها، فأيُّ فرقٍ بينَهما عند التَّحقيق؟(٢)

فَلْيَتنبَّه لهذا الفَطِنُ، واللهُ وليُّ الهداية والتَّوفيق، قال الله تعالى: ﴿فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ۞ وَلِتَصْغَىٰٓ إِلَيْهِ أَفْـِٔدَةُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا۟ مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ﴾ [الأنعام: ١١٢ – ١١٣] فحسبنا الله ونِعْمَ الوكيل.

التَّمهيد الثَّالث:

أنَّ قول الله العظيم: ﴿أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِى حَكَمًا وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ إِلَيْكُمُ ٱلْكِتَـٰبَ مُفَصَّلًا﴾ [الأنعام: ١١٤] /يَتَحتَّمُ العَضُّ عليه بالنَّواجِذ، ويُوقِظُ لبعض مُهِمَّاتِه تنبيهاتٌ مُتفرِّقةٌ في آيات:

الأوَّل: ما في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [القصص: ٥٠] وإنَّه لَمُغْرِي اللَّبيبِ، بل ومُلْجِئُهُ إلى التَّمسُّك بالوحي المعصوم، مُتحَقِّقًا حَقِّيَّةَ قولِ القائل (شعر)(٣):

العلمُ بالرَّأي إجمالٌ ومَغْلطةٌ والعلمُ بالوَحي تحقيقٌ وتفصيلُ

الثَّاني: ما في قوله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا﴾[الطلاق: ٧]، ﴿إِلَّا وُسْعَهَا﴾[البقرة: ٢٨٦] فإنَّه يَزْجُر اللَّبيبَ عن تكليفه عقلَهُ ما لم يُؤَهِّل لإدراكه، وإنَّما زَلَّت الفلاسفةُ لمُحاولتهم أن يُدْركوا بعقولهم حقائقَ، في القُوَى العقليَّة قُصورٌ عنها، فَتَخَبَّطوا وزَلُّوا، وضَلُّوا وتَحَيَّروا، ﴿وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾[الكهف: ١٠٤]، وتشَرَّبتْ قلوبُ جماعةٍ مِن علماء الإسلام طريقَتَهم، فكان بينَهم منَ الاختلاف في العقائد وغيرها ما أَوْجَبَ تسفيهَ بعضِهم بعضًا، ولَعْنَهُ وتكفيرَهُ (شعر) ((٤))/:

(١) أخرجه مسلم في الذكر، باب: التَّعوّذ من شَرّ ما عمل ومن شَرّ ما لم يعمل ٤: ٢٠٨٨ برقم: ٢٧٢٢، عن زيد بن أرقم.

(٢) أي: بين شواغل الحياة وبين علم لا ينتفع به حامله.

(٣) لم أعرف قائله.

(٤) هذا البيت للسان الدين ابن الخطيب، محمد بن عبد الله الغرناطي الأندلسي (ت: ٧٧٦هـ)، من قصيدة له مطلعها: نهضوا وقد جن الدجى وتخالفت ... سبل الردى فمسددون وضلل، ذكره أحمد بن محمد المقري التلمساني (ت: ١٠٤١هـ) في كتابه نفح الطيب من غصن الأندس الرطيب ٦: ٣٠٢.

طـــارَتْ بـهـم أهـواؤهـم [1] فَـعُقُـولُـهـم مـعـقـولـةٌ عـن رُشْـدهـا [2] لا تَـعْـقِـل

والله المُسْتَعان.

الثَّالث: ما في قوله تعالى: ﴿أَفَمَن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّىٓ إِلَّآ أَن يُهْدَىٰ﴾[يونس: ٣٥] فإنَّه يَرْدَعُ اللَّبيبَ عنِ الأخذ بأراء الرِّجال مَن كانوا، ﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾[الأنعام: ١١٦].

وإنَّما أخذ النَّاسُ بقول الأئمَّة الأعلام مِن حيث إنَّهم تَرْجَمُوا بمَا فَهِموه عن الله تعالى ورسوله r، ولكنْ بقوانين الفَهْم المُعْتَبرة، وفيما للفَهْم فيه مجالٌ، وفيما تَدْعوا ضرورةُ العملِ إليه، ونحو ذلك، وقد عُلِم ما أدَّى إليه ذلك مع ذلك من الفُرْقَة والاختلاف، والله المستعان.

الرَّابع: ما في قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ﴾[العنكبوت: ٥١] الآية، فإنَّها تُنَبِّه على أنَّ كُلَّ مُهِمٍّ فالكتابُ تبيانٌ /لكلِّ شيء منه، ولو بوساطة التَّعبير النَّبويّ المُبيِّنِ للنَّاس ما نُزِّلَ إليهم، فما لم يُبَيِّنْهُ الوحيُ، ولم يُوضحْهُ كتابٌ ولا سُنَّةٌ، فليس بِمُهِمٍّ ولو كان حقًّا صَوابًا، "لو كان في الحِدَأَة خيرٌ ما فاتتِ الصَّيَّاد"[3].

فلْيَكُنِ المؤمنُ كما وَصَفَ به بعضُ المُحبِّين نفسَه إذْ قال (شعر)[4]:

وقفَ الهوى بي حيث أنتِ فليس لي مُـتـأخَّـرٌ عـنـه ولا مُـتَـقَـدَّمُ

قال الله تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾[الأحزاب: ٢١] الآية، وقال النَّبيُّ ﷺ: **"إنَّ الله فَرَضَ فرائضَ فلا تُضيِّعُوها..."** إلى قوله: **"وسكتَ عن أشياءَ رحمةً لكم [من غير نسيانٍ][5] فلا تبحثوا عنها"**[6].

---

(١) في نفح الطيب: أشواقهم.

(٢) في نفح الطيب: عن شأنها.

(٣) الحِدَأَة: طائر معروف يَصِيدُ الجِرْذان، والجمع حِدَأ، وهو أحد الخمس الفواسق التي ورد في الحديث أنَّها تُقتل في الحِلّ والحَرم. ينظر: لسان العرب ١: ٥٤، حدأ. فعن عائشة رضي الله عنها عن رسول الله r قال: "خَمْس من الدوابِّ كلُّهن فاسق، يُقْتَلْنَ في الحرَم: الغُرابُ، والحِدَأَةُ، والعقربُ، والفَأْرَةُ، والكلب العقُورُ" وفي رواية: "الحُدَيَّا" أخرجه البخاري برقم: ٣١٣٦، ومسلم برقم: ١١٩٨.

(٤) البيت لأبي الشِّيص الخُزاعي الكوفي، محمد بن علي (ت: ١٩٦هـ)، وهو في ديوانه (ص: ١٠١)، ينظر: شرح ديوان الحماسة للتبريزي ٢: ١٤٣، والدر الفريد وبيت القصيد ١: ٢٩٥.

(٥) زيادة من الرواية.

(٦) أخرجه الدارقطني في الرضاع ٥: ٣٢٥ برقم: ٤٣٩٦ عن أبي ثعْلَبة الخُشَني جُرْثوم بنِ ناشَب، والطبراني في الكبير ٢٢: ٢٢١ برقم: ١٨٤٤١، والحاكم في المستدرك في الأطعمة ٤: ١٢٩ برقم: ٧١١٤ وسكت عنه الذهبي، والبيهقي في السنن الكبرى ١٠: ١٢ برقم: ١٩٥٠٩، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ١: ٤١٧ برقم: ٧٩٦ وقال:

وتَوهُّمُ أنَّ معرفة الحَقِّ والبحثَ عنه كمالٌ كيف كان، نفعَ وأثمرَ أوْ لا، حَيْدٌ عنِ اتِّباع المُهِمّ، وتَعلُّقٌ بأمر مِن شأنه أن يُعْمِي ويُصِمّ، وبَطالةٌ ناشِئَة عن خَراب الباطن، وانتجاعٌ[1] مُتعب إلى أَجْدَب المَوَاطن، وغَباوَةٌ مُسْتَحْكِمَةٌ، وضَلَالَةٌ مُصْطَلِمَةٌ[2]، نارُها في القيامة مُضْطَرمة، وتضييعٌ للعُمر النَّفيس، واقتفاءٌ لأثار اللَّعين الخَنِيس، ولا يصل إلى أكثر من ذلك تلبيسُ إبليس.

(شعر)[3]:

إنَّ مَــن صــاد عَـقْـعَـقًـا لَـمَـشُـوم كـيـف مَـن صـاد عَـقْـعَـقـان وبُـومُ

فمَن اشتغل بما لا يَعنيه فاتَهُ ما يَعنيه، وربما أوقعه فيما يُعَنِّيه[4]، و**"لا حكيمَ إلَّا ذُوتجربة"**[5]،/فتأمَّل ذلك كُلَّه، وانصحْ لنفسك، واللهُ المُوَفِّقُ والهادي، وحسبنا الله ونِعْمَ الوَكيل.

مُساعَدةٌ:

لَمَّا تَهاوَنتُ في امتثال قولِ الله العظيم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ [الحجرات: ١] زلَّتْ قدمي في مَهْواة تَلَفِ التَّفَلْسُفِ، فَلَمَّا تداركتني نِعمةٌ من ربي، وألهمَتني العِنايةُ الرَّبانيَّةُ رُشْدَ: ﴿وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ﴾[لقمان: ٢٢] صِرْتُ لا أُقْدِمُ ولا أُحْجِمُ حتَّى أسأل أهلَ الذِّكْرِ عمَّا أَهُمُّ به، وأَسْتَشيرَ أُولِي الرَّأي فيه، وأَستخيرَ اللهَ

رواه الطبراني في الكبير.. ورجاله رجال الصحيح، وحسَّنه النَّووي في الأربعين (ص: ١٠٢)، وفي الأذكار (ص: ٤٠٩) وقال: "رويناه في سنن الدراقطني بإسناد حسن"، قال ابن حجر في الفتح ١٣: ٢٦٦: "وله شاهد من حديث سلمان أخرجه الترمذي وآخر من حديث ابن عباس أخرجه أبو داود".

(١) وهو طلب النُّجْعَة، والنُّجْعَة: طَلَب الكَلأ في موضعه، والمُنْتَجَعُ: المَنزِلُ في طلب الكلأ. ينظر: الصحاح ٣: ١٢٨٨، نجع.

(٢) أي: مُستئْصِلة، والاصطلام: الاستئصال. ينظر: الصحاح ٥: ١٩٦٧، صلم.

(٣) ذكر هذا البيت ابن هشام في مغني اللّبيب عن كتب الأعاريب (ص: ٩١٨)، وهو آخر شاهد في المغني، تحت عنوان: "من مُلَح كلامهم تقارُض اللَّفظين في الأحكام"، ومنها: إعطاء الفاعل حكم المفعول، وعكسه، عند أمن اللبس، من ذلك قولهم: "خرق الثوبُ المِسْمار، وكسر الزُّجاجُ الحَجرَّ"، ولا يُعْرَف قائل البيت، ينظر: شرح شواهد المغني للسيوطي ٢: ٩٧٦، همع الهوامع للسيوطي ٢: ٧ فقد ذكر فيهما، وفي شرح الشواهد الشعرية في أُمّات الكُتب النَّحْوِيَّة ٣: ٧٦ لمحمد شُرّاب: "العَقْعَق: طائر أبلق بسواد وبياض، أذنب، يُعَقعِق بصوته، يُشْبِه صوتُه العَين والقاف، ومَشُوم: أصله مشؤوم، وفي البيت الشاهد: رَفع المفعول به "العقعقان" وهو مفعول به لصاد، و"بُومُ" معطوف على المفعول به المرفوع.

(٤) أي: يُتعبه ويُنصبه ويُوقعه في العناء، من عَنيَ الإنسان عَناءً، أي: تعب ونصب. ينظر: الصحاح ٦: ٢٤٤٠، عنا.

(٥) أخرجه الترمذي مرفوعاً عن أبي سعيد الخدري في كتاب البر، باب: ما جاء في التجارب، بلفظ: "لا حليمَ إلا ذو عَثْرة، ولا حكيم إلا ذو تجربة" ٤: ٣٧٩ برقم: ٢٠٣٣ وقال: حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه، وابن حبان في صحيحه ١: ٤٢٢ برقم: ١٩٣، والحاكم في المستدرك ٤: ٣٢٦ برقم: ٧٧٩٩ وقال: حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي، وذكره البخاري في صحيحه عن معاوية بدون سند، باب: لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين ٥: ٢٢٧١.

تعالى مِرَارًا، فإذا عَرَفْتُ حُكْمَ اللهِ فيه، ومُناسبَتَهُ لحالي أخذتُ به، مُلازمًا ما لَقَّنَه النَّبيُّ ﷺ بابَ مدينة العلم رضي الله عنه: "اللَّهُمَّ اهدني وسَدِّدني"[1]، فاسترحتُ وأرحتُ، والحمد لله وحده.

وفي المقاصد عشرة فصول:

الفصل الأوَّل

ليس المرادُ غالبًا بالنَّفْسِ النَّفَسَ الهَوائيّ، /ولا النَّفْسَ السَّائِلَة، أي: الدَّمَ، ولا بالقلب اللَّحْمَ الصَّنَوبَريَّ الشَّكل، الحاصلَ للأَجِنّة والمَوْتَى والبهائم، ولا بالرُّوح البُخَارَ اللَّطيفَ المُنبَعِثَ من دَمِ القلب المُنبَثِّ في البَدَن انبثاثَ أشعةِ السِّراج في البيت، ويشتركُ في الاتِّصاف به جميعُ الحيوانات، ولا بالسِّرِّ ضِدَّ العلانية من كلِّ حالٍ مكتومٍ، أو رَجُلٍ مَسْتُور، ولا بالعقل بعضَ العلومِ الضَّرُوريَّة، ولا أشباه ذلك فلْيُعلَم، والحمد لله وحده.

الفصل الثَّاني

أنَّ النَّفْسَ قد يُراد بها الذَّاتُ والحقيقةُ، كجاء زيدٌ نفسُه، ﴿يَوْمَ تَأْتِى كُلُّ نَفْسٍ تُجَـٰدِلُ عَن نَّفْسِهَا﴾[النحل: ١١١][2]، ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ﴾[آل عمران: ٢٨، ٣٠] [3].

وقد يُرَاد بها النَّفْسُ النَّاطِقَةُ، المُتَمِيِّزُ بها الإنسانُ عن جنس الحيوان، وهي مُصَرِّفَةُ البَدنِ وأعضائِه على ما تُريد من حركة وسُكون، خيرٍ وشرٍّ، حَسَنٍ وقَبيح، ونحو ذلك، ﴿وَجَآءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ﴾[ق: ٢١].

وقد يُرَاد بها مَحِلّ القُوَّةِ الشَّهوانيَّةِ والغضبيَّةِ، أو نفسُ القُوَّة، وهي المُتقاضِيَةُ مِنَ الإنسان ما يُلائِمُها من جَلْبٍ ودَفْعٍ، سواءٌ عندَها في ذلك/النَّافع والضَّار، والخير والشَّر، ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ۝ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾[النازعات: ٤٠ – ٤١].

ولهذه القُوَّةِ مَراتبُ، فقد تكون:

أمَّارة بالسُّوء: وهي مَأوى كل شَرٍّ، وأعدى عدوٍّ للمرء، وفيها الجهاد الأكبر.

ولَوَّامَة: شريرةٌ تارةً، وخَيِّرَةٌ أُخرى.

و**مُطمَئنَّة** خَيِّرَةٌ **راضية** بربوبيَّة الله تعالى، وبدينه وقضائه وقَدَره، **مَرْضيَّة** له سبحانه وتعالى.

---

(١) أخرجه مسلم في الذكر، باب: التعوذ من شر ما عمل ومن شر ما لم يعمل ٤: ٢٠٩٠ برقم: ٢٧٢٥.

(٢) قال الواحدي في التفسير البسيط ١٣: ٢١٣: "أراد كلَّ إنسان وكلَّ واحد".

(٣) قال الزجاج في معاني القرآن ١: ٣٩٧: "معنى ﴿نَفْسَهُ﴾ إيَّاه، إلَّا أنَّ النَّفس يُسْتَغنى بها هنا عن " إيَّاه " وهو الكلام"، وقال الواحدي في التفسير البسيط ٥: ١٧٥: "أي: يُخَوِّفُكم اللهُ على مُوالاة الكُفَّار عذابَ نَفْسِهِ، وعقوبَتَه، فحذف المضافَ، وهو قول ابن عبَّاس، و(النَّفس) عند العرب، عبارة عن: ذات الشّيء ووجوده. يقولون: هذا نفس كلامك، وإلى هذا ذهب أهل المعاني.

والثَّلاثةُ في القرآن المجيد[1].

وظَنِّي أنَّ قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّىٓ﴾[يوسف: ٥٣] يشمل الثلاثةَ، فالمَرحومة تشمل اللَّوَّامَة وقتَ لَوْمِها، والمُطْمَئنَّة مُطلقًا، والحمد لله وحده.

الفصل الثَّالث

أنَّ القلب قد يُراد به اللَّطيفةُ العاقِلَةُ، القويَّةُ على تَعَقُّل المُجَرَّدات، المُرِيدَةُ المُخْتارَة، الآسِرَةُ للنَّفس الأَمَّارة تارةً: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ﴾[ق: ٣٧]، المأسورةُ لها أُخْرَى: ﴿فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ [البقرة: ١٠]، ﴿ثُمَّ ٱنصَرَفُوا۟ صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم﴾ [التوبة: ١٢٧]، ﴿فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [الزمر: ٢٢] /، وبهذا المعنى يُرَادِف النَّفْسَ النَّاطِقَة.

وقد يُرَادُ به القوَّةُ النُّورانيَّةُ، المَشْغُوفَةُ بالكمالات والمعارف والفضائل واللَّطائف، ونحو ذلك، وهي التي يُقال: إنَّ شوقها ونُزوعيَّتها لا يَقِرّ ولا يَهْدَئ دونَ الله، ﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨]، وهي بهذا المعنى ضِدّ النَّفسِ الأَمَّارَة، والحمد لله وحده.

الفصل الرَّابع

أنَّ العقل قد يُراد به الغريزةُ المُدْرِكَةُ للمُجَرَّدات، المُوْدَعَةُ في القلب على المُختار، المُتَصَرفَةُ في القُوَى، المُوْدَعةُ في بُطُون الدِّمَاغ، مِن مُفَكِّرَة وحافِظَة وغيرهما، مُودَعة في بصيرة القلب كإيداع الأشعة الباصِرة في البصر، أو هي البصيرة المُودَعةُ في القلب نفسُها.

وقد يُراد به مَصدرُ عَقَلْتُ الشَّيءَ عقلًا؛ أي: أدْرَكْتُه إدْراكًا، وهو أثرُ الغريزة وثمرتُها، كالرُّؤية التي هي أَثَرُ البصر.

وقد يُراد به جَودةُ الذِّهنِ وتَهَيُّؤُهُ /لسُرعة الإدراك وحُسْنِ البيان والحَدْسِ[2]، ونحوِ ذلك، ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [الرعد: ٤، النحل: ١٢، الروم: ٢٤]، والحمد لله وحده.

الفصل الخامس

أنَّ الرُّوح قد يُراد به اللَّطيفةُ المُدَبِّرةُ للبَدَن، المُفارقةُ له إذا تعطَّلتْ آلاتُه، المُستعملةُ لها في المُهِمَّات، إذا خرجتِ الرُّوحُ تبعها البصرُ[3].

---

(١) قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّىٓ﴾[يوسف: ٥٣]، وقال: ﴿وَلَآ أُقْسِمُ بِٱلنَّفْسِ ٱللَّوَّامَةِ﴾ [القيامة: ٢]، وقال: ﴿يَـٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ۝ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً﴾ [الفجر: ٢٧ – ٢٨].

(٢) الحَدْسُ: الظنُّ والتخمين، يقال: هو يَحْدِسُ، أي: يقول شيئًا برأيه. ينظر :الصحاح ٣: ٩١٥، حدس.

(٣) فعن أم سلمة رضي الله عنها قالت: دخل رسول الله ﷺ على أبي سلمة وقد شق بصرُه، فأغمضَهُ، ثمَّ قال: "إنَّ الرُّوح إذا قُبِض تبعهُ البَصَرُ" أخرجه مسلم في الجنائز، باب: في إغماض الميت ٢: ٦٣٤ برقم: ٩٢٠.

"الأرواحُ جُنودٌ مُجَنَّدَةٌ"[1] وبهذا المعنى تُرَادِفُ النَّفْسَ النَّاطِقَةَ، والقلبَ المُنقلِبَ تارةً إلى السُّفْلِ وتارةً إلى العلو[2].

وقد يُراد به القوّةُ المُسْتَغْرِقَةُ في شُهود الجلال والجمال، المشغولةُ بِوَاردات التَّجلِّيات وكَشْفِ حقائقِ الأسماء والصِّفات، فلها حَقُّ اليقين، كما أنَّ للقلب عينَ اليقين، وللعقل علمُ اليقين.

وأمَّا رُوْحُ الإلقاء فجبريلُ ﷺ[3]، أو القُرآنُ المَجيدُ[4]، وفي قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ﴾ [النبأ: ٣٨] أقوالٌ شهيرة[5]، والحمد لله وحده.

الفصل السَّادس

أنَّ السِّرَّ/قد يُراد به اللَّطيفةُ المُؤهَّلَةُ للمُشاهَدة، وهي ألطفُ منَ الرُّوح وأعلى، وقد يُراد به شِدَّةُ إشراق القلبِ وقوَّةُ أشعةِ نورِهِ، فيكون دُونَ الرُّوح، وقد يُراد به قوَّةُ إشراقِ الرُّوح وشِدَّةُ تَنَوُّره، فيكون فوقَ الرُّوح، وقد يُراد به مَحلُّ الخصوصيَّةِ المُتَمَيِّز بها كُلّ فرد من النَّوع الإنسانيّ عنِ الفَرْد الآخَر.

ومن الواضح أنَّ كُلَّ قُوَّةٍ ممَّا ذُكِرَ فَلَها من المِيْزَة الخاصَّة بها ما تَنفَرِدُ به عن نظيرها من النَّوع الإنسانيّ كُلِّه، وحِيْنَئِذٍ ففي كُلِّ لَطيفَةٍ سِرٌّ لا يَكاد يعلمُه إلَّا الله عزَّ وجلَّ، والاطِّلاع على سِرِّ القَدَر مع دِقَّتِه وغُمُوضِه أسهلُ منه وأيسرُ في الإدراك؛ لكنْ وراء ذلك كُلِّه أمرٌ يُسَمَّى السِّرُّ، لا يُرَادِف شيئًا ممَّا ذُكِر، قل إنَّ الغيب لله[6]، والحمد لله وحده.

---

(١) أخرجه مسلم في البر والصلة والآداب، باب: الأرواح جنود مجندة ٤: ٢٠٣١ برقم: ٢٦٣٨ عن أبي هريرة ﷺ.

(٢) فعن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **"تُعْرَض الفتنُ على القلوب كالحصير، عودًا عودًا، فأيُّ قلبٍ أُشربها نُكت فيه نُكْتَة سوداء، وأيُّ قلب أنكرها نُكت فيه نُكْتَة بيضاء، حتى تصيرَ على قلبين، على أبيض مثل الصّفا، فلا تضرُّه فتنةٌ ما دامت السماوات والأرض، والآخر أسود مِرْبادًا، كالكوز مُجَخِّيًا، لا يعرف معروفًا ولا ينكر منكرًا إلَّا ما أُشرب من هواه"** أخرجه مسلم في الإيمان، باب: بيان أن الإسلام بدأ غريباً وسيعود غريباً ١: ١٢٨ برقم: ١٤٤.

(٣) قال تعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ۝ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ﴾[الشعراء: ١٩٣ – ١٩٤].

(٤) قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ﴾[الشورى: ٥٢]، وقال:﴿رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ ذُو ٱلْعَرْشِ يُلْقِى ٱلرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ لِيُنذِرَ يَوْمَ ٱلتَّلَاقِ﴾ [غافر: ١٥].

(٥) قال الماوردي في النكت والعيون ٦: ١٩٠: "في الروح هاهنا ثمانية أقاويل: أحدها: الرُّوح، خلقٌ من خَلْق الله كهيئة النَّاس وليسوا أناساً، وهم جند للَّه سبحانه ، قاله أبو صالح. الثَّاني: أنَّهم أشرف الملائكة، قاله مقاتل بن حيَّان. الثَّالث: أنَّهم حفظة على الملائكة، قاله ابن أبي نُجَيح. الثَّالث: أنَّهم حفظة على الملائكة خلقاً، قاله ابن عباس. الرَّابع: أنَّه ملك من أعظم الملائكة خلقاً، قاله ابن عبَّاس. الخامس: هو جبريل عليه السلام، قاله سعيد بن جبير. السَّادس: أنَّهم بنو آدم، قاله قتادة. السَّابع: أنَّهم بنو آدم, قاله قتادة. الثَّامن: أنَّه القرآن، قاله زيد بن أسلم". وينظر: زاد المسير لابن الجوزي ٩: ١٢.

(٦) ﴿فَقُلْ إِنَّمَا ٱلْغَيْبُ لِلَّهِ﴾ [يونس: ٢٠].

الفصل السَّابع

أنَّ الخَفِيّ وما فوقَه يَدقُّ عن الوصف، وإنَّما يَعرفُه أهلُهُ بالوُجدانِ، واستعمالُ لفظه لا يكاد يوجد، فلا تتكلَّفْ له/ببيانًا، على أنَّ جميعَ ما ذكره النَّاسُ لا يُعْرفُ به حقيقةُ شيء ممَّا ذُكِر، إنَّما هي آثارٌ ورُسومٌ نَزْرَةٌ(١)، وأوصافٌ إجماليَّةٌ.

وقول مؤلّفِ العوارف(٢): "إنَّ الرُّوح الحيوانيّ تَكَوَّنَ نفسًا لَمَّا تَشَرَّف بورود الرُّوحِ العُلْوِيّ عليه، كَحَوَّاء المُتكَوِّنة عن آدم ﷺ، ثمَّ اللَّطيفةُ القلبيَّةُ تَكَوَّنَتْ من ائْتِلَافهما كالذُّريَّة، فهو يميل إلى الأب تارةً وإلى الأُمِّ تارةً"(٣)، "والعقلُ جَوْهَرُ الرُّوح العُلْوِيّ ولِسَانُه"(٤).

ولَعَلَّهُ أراد به تقريبًا ما، وإنكارُ من أنكر عليه رَفْعٌ لِمَرتبته عن مثل ذلك، والحمد لله وحده.

الفصل الثامن

أنَّ شيخ الشُّيوخ السهروردي رحمة الله عليه نَصَحَ وبَرَّ وصَدَق إذ قال في عوارف المعارف: "ينبغي الإمساكُ وتَرْكُ الخوضِ في الإخبار عن ماهيَّة الرُّوح وحقيقته، تأسِّيًا بمَعْدِن العلمِ وينبوعِ الحكمة سيد العارفين ﷺ"(٥).

---

(١) النَّزْر: القليل التافِه، والقليل من كل شيء، ونَزُرَ الشيء يَنْزُرُ نَزْراً ونَزارة ونُزُورة ونُزْرَة. ينظر: لسان العرب ٥: ٢٠٣، نزر.

(٢) وهو كتاب عوارف المعارف، لعمر بن محمد بن عبد الله، ابن عمويه، أبي حفص، شهاب الدّين، القرشي التيمي البكري السَّهْرَوَردي (٥٣٩ - ٦٣٢هـ): فقيه شافعيّ، مفسّر، واعظ، ورع، من كبار الصُّوفيَّة، كان شيخ الشيوخ ببغداد، تخرّج به خلقٌ كثير من الصوفية في المجاهدة والخلوة، ولم يكن في آخر عمره في عصره مثله، له كتب منها: " عوارف المعارف " ، و" نغبة البيان في تفسير القرآن ". ينظر: وفيات الأعيان ٣: ٤٤٦، سير أعلام النبلاء ٢٢: ٣٧٣، الأعلام للزركلي ٥: ٦٢.

(٣) وهذا نقل لمعنى العبارة بتصرّف شديد، وأصل العبارة في عوارف المعارف ٢: ٧٨٢، ٧٨٣: "وصار تكوّن النّفس التي هي الرُّوح الحيوانيّ من الآدميّ من الرُّوح العلوي في عالم الأمر، كتكوّن حواء من آدم في عالم الخلق، وصار بينهما من التآلف والتعاشق كما بين آدم وحواء" ثم قال: "وسكن الرُّوح الإنسانيُّ العلويّ إلى الرّوح الحيواني، وصيَّره نفساً، وتكوّن من سكون الرُّوح إلى نفسٍ القلبُ، وأعني بهذا القلب: اللطيفة التي محلها المضغة اللحمية، فالمضغة اللحمية من عالم الخلق، وهذه اللطيفة من عالم الأمر، وكان تكوّن القلب من الرُّوح والنَّفس في عالم الأمر كتكوّن الذرية من آدم وحواء في عالم الخلق"، وقال: " فمِن القلوب قلبٌ متطلِّع إلى الأب الذي هو الرُّوح العلويّ، ميَّال إليه"، "والقلب المنكوس ميَّال إلى الأمِّ التي هي النَّفس الأمَّارة بالسوء، ومِن القلوب قلبٌ مُتردِّد في ميله إليهما".

(٤) عوارف المعارف ٢: ٧٨٣.

(٥) وهذا نقل بالمعنى، وكلامه في عوارف المعارف ٢: ٧٧١: "الكلام في الرُّوح صعبُ المَرام، والإمساك عن ذلك سبيل ذوي الأحلام"، ثم قال ٢: ٧٧٢: "وحيث أمسك رسول الله ﷺ عن الإخبار عن الروح وماهيته بإذن الله تعالى ووحيه، وهو صلوات الله عليه معدن العلم وينبوع الحكمة، فكيف يسوغ لغيره الخوضُ فيه والإشارة إليه".

"/لا جَرَم لَمَّا تفاضَتِ النُّفوسُ[1] الإنسانيَّةُ المُتطلِّعةُ إلى الفضول، المُتَشَوِّفةُ إلى المعقول، المُتحَرِّكةُ بطبعها ووضعها إلى كل ما أُمِرَت بالسُّكون فيه، والمُتَسَوِّرةُ بحرصها إلى كُلِّ تحقيق وكُلِّ تمويه، وأطلقتْ عنان النَّظر في مسارح الفكر، وخاضتْ غَمَراتِ معرفة ماهية الرُّوح، تاهتْ في التِّيه، وتنوَّعت آراؤها فيه، ولم يوجد الاختلافُ بين أرباب النَّقل والعقل في شيء كالاختلاف في ماهيَّة الرُّوح، ولو لَزِمَتْ النُّفوسُ حَدَّها، مُعترفةً بعجزها، كان ذلك أجْدَرُ بها وأولى"[2].

وكذلك صَرَّح سيِّدُ الطَّائِفة الجُنَيد[3] رحمه الله تعالى، بل جَزَم بالتَّحريم، فقال: "الرُّوح شيءٌ استأثر اللهُ بعلمه، ولا تجوز العبارة عنه بأكثر من موجود"[4].

ثمَّ العجبُ أنَّ كلَّ مُتكَلِّم فيه فَكَلامُه مُنَادٍ بأنَّه على مراحلَ من التَّحويم حولَ ما تَصَدَّى/له، ولله دَرُّ العوام في قولهم المُطَابقِ لحالهم: "كُلِ البَقْلَ ولا تسألْ عنِ المَبْقَلة"[5].

نعم، مَن أراد أن يَخْلُق رُوحًا فلا غِنَى به عن عِلْم حقيقتها لِيُوجِدَ مِثْلَها، كما أنَّ من أراد أن يَتَّخِذَ مَبْقَلةً فلا يُغنيه أَكْلُ البَقْلِ، ولا حصولُه على فوائده ومنافعه، عن العلم بمَنبته وعُنصُرِه، وأشباه ذلك.

ولْيَنْظُرِ العاقلُ لو عَلِمَ أنَّ الرُّوح جِسْمٌ لطيفٌ نُوْرَانِيٌّ، أو جَوْهَرٌ مُفارِقٌ، أو عَرَضٌ مُتَصَرّم، هل كانت حالته تختلف بذلك؟

وكذلك لو عَلِمَ أنَّ تَعَلُّقَه بالبدن تَعَلُّقُ المَلِكِ بالتَّدبير، أو المُسْتَعْمِلِ بالآلة، أو العاشِقِ بالمَعْشُوق، أو الحالِّ بالمَحَلِّ، أو العَرَضِ بالجَوْهَر، أو نحو ذلك.

فلْيَتَدبَّرِ العاقلُ هذا، ولْيَقِسْ عليه كُلَّ ما عَلِمَهُ وجَهِلَهُ، سِيَّانَ في إيمانه وأحواله وأعماله، والله وَلِيُّ/ الإرشادِ والهداية، والحمد لله وحده.

الفصل التَّاسع

لَمَّا قال الله تعالى: ﴿وَفِي ٱلۡأَرۡضِ ءَايَٰتٞ لِّلۡمُوقِنِينَ ۞ وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ﴾ [الذاريات: ٢٠ – ٢١] مُغْرِيًا باستبصار النَّفسِ ودلائلها، ومُقَرِّعًا ومُوَبِّخًا مَن تَرَك ذلك بقوله الحق: ﴿أَفَلَا تُبۡصِرُونَ﴾ [الذاريات: ٢١]، تَعَيَّنَ الخَوْضُ في ذلك، ولا سيما مع اشتهار قولِ حكماء السَّلفِ العارفين: **"مَن عَرَف نفسَه**

(١) في مطبوع عوارف المعارف: النفس.

(٢) عوارف المعارف ٢: ٧٧٢- ٧٧٣.

(٣) الجُنيد بن محمد البغدادي الخزاز النهاوندي، أبو القاسم (٠٠٠ - ٢٩٧هـ): الصوفيُّ، الزّاهد المشهور، كان شيخ وقته، وفريدَ عصره، وكلامه في الحقيقة مشهور مُدَوَّن، صحبَ خالَه السَّريَّ السَّقْطِي والحارثَ المحاسبي وغيرَهما من جِلَّة المشايخ، وكان يقول: مذهبنا هذا مقيَّدٌ بالأصول والكتاب والسُّنَّة، من لم يحفظ القرآن، ولم يكتب الحديث، ولم يتفقَّه، لا يُقتدى به، له: الرسائل، دواء الأرواح، أمثال القرآن. ينظر: وفيات الأعيان ١: ٣٧٣، سير أعلام النبلاء ١٤: ٦٦، الأعلام للزركلي ٢: ١٤١.

(٤) ينظر: عوارف المعارف ٢: ٧٧٤.

(٥) ينظر: مفيد العلوم ومبيد الهموم للخوارزمي (ص: ٢٩٣)، التمثيل والمحاضرة للثعالبي (ص: ٢٧٢).

عَرَفَ ربَّه"[1].

لكنَّ المعرفةَ التَّصوّريَّة التي هي شَرط المعرفة التَّصديقيَّةِ يكفي فيها عِلْمُ الشَّيء بِرُسُومِه وخَوَاصّه، دُونَ معرفةِ ماهيَّتِه وكُنْهِ حقيقتِهِ، وكافي أُولي الإرْبَةِ[2] في شرح: "من عرف نفسَه عَرَف ربَّه" مُوضِّحٌ لذلك.

وأيضًا فالّذِين أُوتوا العِلْمَ والإيمانَ مُصدِّقون بالإلهيَّات، لا عن تَصَوِّرِ كُنْهِ الحقيقة العَلِيَّةِ، بل عن ما تصوَّره منَ الحضرة الخَفيَّة على قَدْر الطَّاقة البشريَّة، وكان ذلك كافيًا، فنحن لا نَتَعَرَّض إلَّا لهذا فقط، وإنَّه ليسيرٌ على مَن مَعَه أدنى مُسْكَةٍ[3] إذا /تَأَمَّل بأدنى فكره، وما رواء ذلك فأَعَزُّ من لبن الطَّيرِ ومُخِّ الذَّرِّ، ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾[الإسراء: ٨٥]، ولله الحمد وحده.

الفصل العاشر

مَن تأمَّل ما ذكرناه لم يَخْفَ عليه أنَّ كلام حُجَّةِ الإسلام[4] حَقٌّ باعتبار، وكلامَ غيرِه حَقٌّ باعتبار، وهذا شأن اختلاف المُحَقِّقين غالبًا، فلا اختلافَ بينهم عند التَّحقيق، بل كلٌّ منهم إذا انكشف له مُرادُ الآخَر وَافَقَه عليه.

ومَن تأمَّل التَّرادُف فيما وصفناه، والاختصاصات التي ذكرناها، لم يَخْفَ عليه أنَّ مُرادَ الحُجَّة المعنى المُترادِف، ومُرادَ غيرِه الثَّاني، وأنَّ ذلك لَوَاضِح من كلامهم.

أَلَا ترى أنَّ قولَ الحُجَّةِ رحمه الله تعالى: النَّفسُ والقلبُ والرُّوحُ والعقلُ ذاتٌ واحدةٌ، تَكَثَّرتْ أسماؤها باعتبار تَنَوُّعِ صفاتها[5]، صريحٌ في أنَّ الذي يُمَيَّزُ به الإنسانُ عن البهائم هو ذَاتٌ واحدة مُتنوِّعَةُ

(١) يُحكَى من كلام يحيى بن مُعاذ الرازيّ الصُّوفي، ونسبه بعضُهم إلى أبي سعيد الخَرّاز، ورواه بعضُهم مرفوعاً، ولا يصحُّ رفعُه، قال الإمام النَّووي في فتاويه (ص: ٢٤٨): "ليس هو بثابت؛ ولو ثبت كان معناه: مَن عَرَف نفسَه بالضَّعف والافتقار إلى الله تعالى والعبوديَّة له، عَرَف ربَّه بالقوَّة، والقهر، والرُّبوبيَّة، والكمال المطلق، والصِّفات العُليا، ومَن عَرَف ربَّه بذلك كَلَّ لِسَانُه عن بُلوغ حقيقة شُكره، والثناءِ عليه كما ثبت في "صحيح مسلم" وغيره أنَّ رسول الله ﷺ قال: **"سبحانَك لا أحصي ثناءً عليك، أنتَ كما أثنيتَ على نفسك"**. والله أعلم". وسُئِلَ ابنُ حجر عن حديث: **"من عرف نفسَه عَرَف ربَّه"** مَنْ رواه؟ فأجاب بقوله: "لا أصْلَ له، وإنما يُحكَى من كلام يحيى بن مُعاذ الرازي الصوفي". وقال السمعانيُّ: "إنه لا يُعْرَفُ مرفوعًا. ونسبه بعضهم إلى أبي سعيد الخَرّاز، وبعضُهم إلى يحيى بن معاذ الرازي". اهـ. ينظر: أسنى المطالب في أحاديث مختلفة المراتب (ص: ٢٧٧).

(٢) أي: العقل، والأَريبُ: العاقِلُ، والإرْبُ: الدَّهاء، وهو من العَقْل. ينظر: الصحاح ١: ٨٧، إرب.

(٣) أي: أدنى رأي وعقل، فَرَجلٌ ذو مُسْكةٍ ومُسْكٍ، أي: رأْي وعقل يُرجع إليه. ينظر: لسان العرب ١٠: ٤٨٦، مسك.

(٤) محمد بن محمد بن محمد الغَزَالي الطُّوسي، أبو حامد (٤٥٠- ٥٠٥هـ): الإمام، الفقيه، الزاهد، الفيلسوف، حجَّة الإسلام، لم يكن للطائفة الشافعية في آخر عصره مثله، له نحو مئتي مصنف. من كتبه: إحياء علوم الدين، الاقتصاد في الاعتقاد، البسيط والوسيط والوجيز في الفقه، وغيرها. ينظر: وفيات الأعيان ٤: ٢١٦، سير أعلام النبلاء ١٩: ٣٢٢، الأعلام للزركلي ٧: ٢٢.

(٥) هذا كلام بالمعنى، ينظر: معارج القدس في مدارج معرفة النفس للإمام الغزالي (ص: ١٥-٢٣)، وقد عنون: الألفاظ المترادفة على النَّفس وَهِي أَرْبَعَة: النَّفس وَالْقلب وَالروح وَالْعقل. وينظر: مدخل السلوك إلى منازل الملوك

الصِّفات.

وأنَّ قول أهلِ الكَشْفِ والسُّلوك: إنَّها حقائقُ مُتباينة،/مجموعةٌ في العالم الإنسانيّ، صريحٌ في أنَّها لَطائِفُ ورَقائقُ لكُلٍّ منها حَدٌّ وثَمَرةٌ، تُغاير بها الآخَرَ، هي التي سمَّاها الحُجَّة: صفات، وقولهم: "مجموعة في العالم الإنسانيّ"، هو الذي سَمَّاه الحُجَّةُ: ذَاتًا واحدة.

وليس المُرادُ بالصِّفات عندَهم ما يتعارَفُه الأدبيون وعلماءُ الرُّسومِ ونَحْوُهم.

ومِنَ الحَسَن البالغ قولُ جمال الإسلام القُشَيريّ[1] رحمه الله تعالى: "فكما يَصِحُّ أنْ يكون البَصَرُ مَحَلَّ الرُّؤية، والأُذُنُ مَحلَّ السَّمْعِ، والأَنفُ مَحلَّ الشَّمِّ، والفَمُ مَحَلَّ الذَّوْقِ، والبَصيرُ والسَّميعُ والشَّامُّ والذَّائِق إنَّما هي الجملة [التي هي الإنسان][2]، كذلك مَحلُّ الأوصافِ المَحْمُودةِ: القلبُ والرُّوحُ، ومَحلُّ الأوصافِ المَذْمُومةِ: النَّفْسُ، والنَّفْسُ جُزءٌ من هذه الجملة، والقلبُ جُزْءٌ من هذه الجملة، والحكمُ والاسمُ راجعٌ إلى الجُملة"[3].

فأيْقِهْ له[4] لِيَسْهُلَ عليك كونُها متباينةً أو مُترادِفَةً، وتَعْلَمَ أنَّ عِلْمَ ذلك لا يُغْنِي، والحمد لله وحده.

وفي **الخاتمة** المُتِمَّة تنبيهاتٌ /:

الأوَّل: أنَّ من الألفاظ ما إذا ذُكِرَ وَحْدَه كان له معنى، وإذا قُرِن مع غيره كان له معنى آخر، وذلك أكثرُ من مائة لفظ في الكتاب الإلهيّ والسُّنَّة النَّبويَّة، ذَكَر الفقهاءُ منها: الفقير والمسكين، فكُلٌّ منهما يَشْمَل معنى الآخِر إذا أُفْرِد، ويَخْتَصُّ بحقيقته إذا جُمِعَا. ومثلُه: الإيمان والإسلام[5]، والتُّقى والصَّلاح،

له (ص: ٣٦)، وينظر: إحياء علوم الدين ٣: ٣.

(١) عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك النيسابوريّ القُشيري، أبو القاسم، زين الإسلام (٣٧٦- ٤٦٥هـ): الإمام، الزَّاهد، القُدوة، الأستاذ، شيخ خُراسان في عصره، كان علّامة في الفقه والتّفسير والحديث والأصول والأدب والشّعر والكِتابة وعلم التّصوّف، جمع بين الشريعة والحقيقة، من كتبه: التيسير في التفسير، ولطائف الإشارات، والرّسالة القشيرية. ينظر: وفيات الأعيان ٣: ٢٠٥، سير أعلام النبلاء ١٨: ٢٢٧، الأعلام للزركلي ٤: ٥٧.

(٢) زيادة من الرسالة القشيرية.

(٣) الرسالة القشيرية ١: ٢٠٤.

(٤) أي: أطع له، فالقاهُ: الطاعةُ، وأيْقَهَ الرَّجلُ واسْتَيْقَهَ: أطاع. ينظر: الصحاح ٦: ٢٢٤٦، مادة: قوه.

(٥) كتب المُؤلّف حاشية قال فيها: "قال ابنُ رجب الحنبليّ في شرح الأربعين النّواوية: وأمَّا وجهُ الجمعِ بينَ هذه النُّصوص وبينَ حديثِ سُؤال جبريلَ عليه السلام، عَنِ الإسلامِ والإيمانِ، وتفريق النَّبيِّﷺ بينهما، وإدخالِه الأعمالَ في مُسمَّى الإسلامِ فوق مُسمَّى الإيمانِ، فإنَّه يتَّضح بتقريرِ أصلٍ، وهو: أنّ مِنَ الأسماءِ ما يكونُ شاملاً لمسمّياتٍ مُتعدِّدةٍ عندَ إفرادِه وإطلاقه، فإذا قُرِن ذلك الاسم بغيره صار دالاً على بعضِ تلك المسمَّياتِ، والاسمُ المقرونُ به دالاً على باقيها، وهذا كاسم الفقيرِ والمسكينِ، فإذا أُفردَ أحدُهما دخل فيه كلُّ مَنْ هو محتاجٌ، فإذا قُرن أحدُهما بالآخر دلَّ أحدُ الاسمين على بعضِ أنواعِ ذوي الحاجاتِ، والآخر على باقيها، فهكذا اسمُ الإسلامِ والإيمانِ، إذا أُفرد أحدُهما دخل فيه الآخر، ودلّ بانفرادِه على ما يدلُّ عليه الآخرُ بانفراده ، فإذا قُرِنَ بينَهُما دلّ أحدُهما على بعض ما يدلُّ عليه بانفرادِه، ودلَّ الآخر على الباقي، وقد صرَّح بهذا المعنى جماعةٌ مِنَ الأئمّةِ. قال أبو بكر الإسماعيليُّ [محمد بن إسماعيل بن مهران ت: ٢٩٥] في رسالته إلى أهل الجبل: قال كثيرٌ مِنْ أهلِ السُّنَّةِ

والقضاءُ والقَدَر، والخطايا والسَّيِّئات، والفُسوقُ والعِصيانُ، وغيرُ ذلك، فلْيُعلَم أنَّ من ذلك ما نحن بصدده، فإذا أُطلِقَ واحدٌ ممَّا ذُكِر[1] شَمِلَ معاني البواقي، وإذا قُرِنَ بشيء منها اختصَّ بمعناه الذي ذُكِر له، وقد خَبَطَ خَبْطَ عشواء مَن جَهِلَ هذا، فلْيُزْكَنْ[2]، والحمد لله وحده.

التَّنبيه الثَّاني: لعلَّ النَّاظِرَ في هذا الإملاء يَلْمَح بعضَ فوائدِ علمِ ذلك من قول مُؤلِّفِ التَّأويلات[3]، ما معناه على عِلاَّته: "إنَّ الاعتدال في عالم البَدن ظِلُّ العدل في عالم النَّفسِ، والعدلَ فيها ظِلُّ/الأُلْفَةِ في عالم القلب، والأُلفَةُ فيه ظِلُّ المَحَبَّة في عالم الرُّوح، والمَحَبَّةُ فيه ظِلُّ الوحدة الحقيقية"[4].

قال: "والشَّيطانُ يَفِرُّ من ظِلِّ الحَقِّ ولا يُطيقه، فيَخْطُوْ أبدًا عن محالِّ هذه[5] الظِّلال إلى جوانب الإسرافات، وحيث يَعْجِزُ فإلى جوانب التّفريطات، كما في المَحبَّة والأُلْفَة، ولهذا قال الإمام عليٌّ رضي الله عنه: "لا ترى الجاهلَ إلاَّ مُفْرِطًا أو مُفَرِّطًا، فإنَّ الجاهل سُخْرةُ الشَّيطان"[6]"[7]، فَطُوبَى لمن عَرَف نفسَه فأعطى كُلَّ ذي حَقّ منها حقَّه، والحمد لله وحده.

والجماعة: إنّ الإيمانَ قولٌ وعملٌ، والإسلام فِعلُ ما فُرِضَ على الإنسانِ أنْ يفعَله، إذا ذُكِر كلُّ اسمٍ على حِدَتِه مضموماً إلى الآخر، فقيل: المؤمنونَ والمسلمونَ جميعاً مُفْرَدين، أُريدَ بأحدهما معنىً لم يُرَدْ بالآخر، وإذا ذُكِرَ أحدُ الاسمين شَمِلَ الكُلَّ وعمَّهم. وقد ذكر هذا المعنى أيضاً الخطّابيُّ في " معالم السنن "، وتَبِعَهُ عليه جماعةٌ من العُلَماء من بعده، ويدلُّ على صحَّةِ ذلك أنَّ النَّبيَّ ﷺ فَسَّرَ الإيمانَ عند ذِكْرِه مُفرداً في حديث وفد عبدِ القيسِ بما فسّر به الإسلامَ المقرونَ بالإيمانِ في حديثِ جبريلَ، وفسَّر في حديثٍ آخرَ الإسلامَ بما فسّر به الإيمانَ، كما في مسند الإمام أحمد عن عمرو بن عَبسة قال: جاءَ رجلٌ إلى النَّبيِّ ﷺ فقال: يا رسول الله، ما الإسلامُ ؟ قال: **"أنْ تُسْلِمَ قلبَكَ للهِ، وأنْ يسلمَ المسلمونَ مِنْ لِسَانِكَ ويَدِكَ"**، قال: فأيُّ الإسلام أفضلُ؟ قال: **"الإيمان"**، قال: وما الإيمان؟ قال: **"أنْ تُؤْمِنَ باللهِ، وملائكته، وكُتبِه، ورُسلِه، والبعثِ بعدَ الموتِ"**، فجعل النَّبيُّ ﷺ الإيمانَ أفضلَ الإسلامِ، وأدخلَ فيه الأعمالَ، وبهذا التَّفصيل يظهرُ تحقيقُ القولِ في مسألةِ الإسلامِ والإيمانِ: هل هما واحدٌ، أو هما مختلفان؟ انتهى من كلام ابن رجب". ينظر: جامع العلوم والحكم لابن رجب ١: ١٠٥-١٠٧.

(١) يَقصد النفسَ والقلب والرُّوح والعقل.

(٢) أي: فلْيُعْلَم، وزَكِنْتُهُ أَزْكَنُهُ زَكَنًا، أي: عَلِمته. ينظر: الصحاح ٥: ٢١٣١، زكن.

(٣) للكاشي، أو الكاشاني، أو القاشاني، كمال الدِّين، عبد الرزاق بن أحمد بن أبي الغنائم محمد (ت:٧٣٠هـ)، له تأويلات القرآن، وهو مخطوط، وله أكثر من نسخة، وقد طُبع منسوباً خطأً لمحيي الدين بن عربي (ت: ٦٣٨هـ)، بعنوان: تفسير القرآن، وقد طُبع أكثر من مَرَّة، أوَّلها في المطبعة العامرة ببولاق، مصر، القاهرة، ط/١٢٨٣هـ ـ ١٨٦١م.

(٤) هذه العبارة نقلها المؤلِّفُ بالمعنى، وهي في تأويلات القرآن للكاشي: "واعلم أنَّ العداوة في عالم النَّفس هي ظل الأُلفة في عالم القلب، والاعتدال ظلها في عالم البدن، والأُلفة ظِلّ المحبَّة في عالم الرُّوح، وهي ظِلّ الوحدة الحقيقية، فالاعتدالُ هو الظِّل الرَّابع للوحدة". تأويلات القرآن (المخطوط) [ق٤٢/أ] النسخة الأزهرية، تفسير القرآن المنسوب لابن لاعربي ١: ١٠٧. في تفسير آية ١٦٨ من سورة البقرة.

(٥) في المطبوع والمخطوط: في مجال تلك.

(٦) ينظر: شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٨: ٢١٦.

(٧) ينظر: تأويلات القرآن (المخطوط) [ق٤٢/أ] النسخة الأزهرية، تفسير القرآن المنسوب لابن لاعربي ١: ١٠٧.

التَّنبيه الثَّالث: إنَّما رتَّب مُؤلّفُ "منازل السّائرين"[1] رحمة الله عليه كتابَه على عشرة أقسام[2]، من أجل تَرَكُّبِ الإنسان من كثائفَ ولَطائِفَ.

فالطَّبْعُ الطِّينيّ إنْ لم تُبْرَدْ كَثائِفُهُ لِتَرتفعَ عن وُجوه القُوَى بمَبَارِدِ قسمِ البدايات، ثمَّ يُلَيَّن بِنِيران قسمِ الأبواب حتى يَلْطُف، لم تتأَهَّل مِشكَاتُه لِقَبول النُّور/القُدْسِي، ولم ينحفظ بها.

والنَّفسُ التي الإنسانُ بسببها ظَلُومٌ جَهُولٌ إن لم تُزِلْ أمَّاريَّتَها بالسُّوء سُيوفُ قِسمِ المُعاملات، ثُمَّ تُكْسِبُها الطُّمَأنينةَ قُيودُ قسمِ الأخلاق، لم يَهْنَ معها العيشُ، فضلاً أن يَتَّقِدَ من زيت زيتونِها مِصباحٌ.

والقلبُ إن لم تُطَهِّرْهُ من أدناس تلوينِ النَّفس ودُخانِها المُرَمِّصِ[3] له مياهُ قسمِ الأُصول، ثمَّ تُنوِّرُ بَصيرتَه أكحالُ قِسمِ الأدوية، ثمَّ تحمِلُه إلى مَقْصدِه الأعلى مَراكيبُ قسمِ الأحوالِ، لم يَنتفِع بقُوَى بصيرتِه، فضلاً أن يكون لزجاجته تقويةٌ لأشعَّة مِصباحِ الرُّوح.

والرُّوح إن لم تُزِلْ ضعفَه من تلوين القلب أدويةُ قسمِ الولايات، ثمَّ تُفيدُه القُوَّةَ التَّامَّة أغذيةُ قسمِ الحقائق، ثمَّ يأخذ بيده قائدُ قسمِ النِّهايات، لم يَظفَر بِقُرَّة العينِ في مَقْعَدِ صِدقٍ عندَ مَليكٍ مُقْتَدِر، ومَن/ انكشفَ له هذا منَ المُريدين فقد رأى في بدايته ما إليه نهايته، وصار من منازل مناهله، ومناهل منازلِه على بصيرة، والحمد لله وحده.

وغير خافٍ أمران:

أحدهما: أنَّ المَجْذُوبَ[4] المُرَادَ لَمَّا اختُطِفَ من أودية التَّفرقة إلى وادي الجَمْعِ[5] لم يَحْتَج إلى مُكَابَدَة طَبْعٍ، ولا مُجاهَدَةِ نَفْسٍ،

---

(١) أبو إسماعيل الهَرَوي، عبد الله بن محمد بن علي الأنصاري (٣٩٦- ٤٨١ هـ): الإمام، القُدوة، الحافظ الكبير، شيخ خراسان في عصره، من كبار الحنابلة، كان بارعًا في اللغة، حافظًا للحديث، عارفًا بالتّاريخ والأنساب، مُظْهِرًا للسنَّة داعيًا إليها. من كتبه: ذم الكلام وأهله، ومنازل السائرين. ينظر: سير أعلام النبلاء ١٨: ٥٠٣، الأعلام للزركلي ٤: ١٢٢.

(٢) فقد ذكرها في مقدمة كتابه (ص: ١٢)، وهي على الترتيب: قسم البدايات، قسم الأبواب، قسم المعاملات، قسم الأخلاق، قسم الأصول، قسم الأدوية، قسم الأحوال، قسم الولايات، قسم الحقائق، قسم النّهايات.

(٣) الرَّمَصُ: وسخٌ يجتمع في المُوقِ، فإن سالِ فهو غَمَصٌ، وإن جَمُد فهو رَمَصٌ. ينظر: الصحاح ٣: ١٠٤٢، رمص.

(٤) الجَذْبُ عند أهل السلوك: عبارة عن جذب الله تعالى عبدًا إلى حضرته، والمجذوب: هو من ارتضاه الحقّ تعالى لنفسه، واصطفاه لحضرة أنسه، وطهّره بماء قدسه، فحاز من المِنح والمواهب ما فاز به بجميع المقامات والمراتب بلا كلفة المكاسب والمتاعب. ينظر: كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم للتهانوي ١: ٥٥٤، ٢: ١٤٧١.

(٥) الجَمْعُ عند الصوفيَّة: هو إزالة الشَّعَث والتَّفرقة بين القِدَم والحَدَث، لأنّه لمَّا انجذب بصيرةُ الرُّوح إلى مشاهدة جمال الذات استتر نور العقل الفارق بين الأشياء في غلبة نور الذات القديمة، وارتفع التمييز بين القدم والحدث لزهوق الباطل عند مجيء الحقّ، وتسمّى هذه الحالة جمعًا. ثمَّ إذا أُسْبل حجابُ العزّة على وجه الذَّات، وعاد الرُّوح إلى عالم الخلق، وظهر نورُ العقل لبُعْد الروح عن الذات، وعاد التمييز بين الحدث والقِدَم، تُسَمّى هذه الحالة تفرقة. ينظر: كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم ١: ٥٧٤.

ولا مُناجَدَةِ[1] قلبٍ، ولا مُساعَدَةِ رُوحٍ، فإنَّه مُراحٌ من كلِّ مَسْرحٍ ومُزَاح، وربما كان سَيْرُه في ذلك كلِّه كالبرق الخاطف، أو كالرِّيح العاصِف.

وثانيهما: أنَّ السَّلَفيَّ سَبَّاقٌ إلى الخيرات من غير مَشَقَّةٍ ولا بُعْدِ شُقَّةٍ، لأجل تَمَسُّكِه بإرشاد الوحي القَوِيم، المُعْجِزِ الجامِع، الوجيز الحكيم، ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾ [النور: ٤٠].

لا حَرَمَنا اللهُ خَيْرَه، ولا جعلنا أشقى خلقِه، بِمَنِّه وجُوْدِه ورَحْمَتِه، آمين.

والحمد لله وَحْدَه، وحسبنا اللهُ ونِعْمَ الوكيل، وصلَّى اللهُ على سيِّدنا محمّد وعلى آله وصحبه وسلَّم، وسَلَام على المُرْسلين والحمد لله ربِّ العالمين[2].

فهرس المصادر والمراجع

- ابن أيدمر، محمد بن أيدمر المستعصمي (ت:٧١٠ هـ)، الدر الفريد وبيت القصيد، تحقيق: د. كامل سلمان الجبوري، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١/١٤٣٦ هـ - ٢٠١٥م.
- البخاري، أبو عبد الله، محمد بن إسماعيل (ت: ٢٥٦هـ)، صحيح البخاري، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا، نشر: دار ابن كثير، اليمامة، بيروت، ط٣/١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م. ـالأدب المفرد، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، نشر دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط٣/١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.
- البغدادي، إسماعيل باشا البغدادي (ت: ١٣٣٩هـ)، إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، نشر دار الفكر - بيروت، ط/١٤١٠هـ - ١٩٩٠م. - هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين من كشف الظنون، نشر دار الفكر - بيروت، ط/١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.
- البيهقي، أبو بكر، أحمد بن الحسين (ت: ٤٥٨هـ)، سنن البيهقي الكبرى، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، نشر مكتبة دار الباز، مكة المكرمة، ط/١٤١٤هـ - ١٩٩٤م. - شعب الإيمان، اعتناء: الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد، ومختار أحمد الندوي، نشر مكتبة الرشد، الرياض، بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي، الهند، ط١/١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م. - الأسماء والصفات: تحقيق: عبد الله بن محمد الحاشدي، نشر مكتبة السوادي، جدة، ط١/١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.
- الترمذي، أبو عيسى، محمد بن عيسى بن سورة (ت: ٢٧٩هـ)، سنن الترمذي: تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر، ومحمد فؤاد عبد الباقي، وإبراهيم عطوة، نشر شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ط٢/١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م.
- ابن تغري بردي، أبو المحاسن، جمال الدين، يوسف بن تغري بردي بن عبد الله الظاهري الحنفي (ت: ٨٧٤هـ)، المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي: تحقيق: دكتور محمد محمد أمين، نشر الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة. - النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة: نشر وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دار الكتب، مصر.
- التهانوي، محمد بن علي، ابن القاضي محمد حامد الفاروقي الحنفي (ت بعد: ١١٥٨هـ)، موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، تحقيق: د. علي دحروج، مراجعة: د. رفيق العجم، نقل النص الفارسي إلى العربية: د. عبد الله الخالدي، الترجمة الأجنبية: د. جورج زيناني، نشر مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ط١/١٩٩٦م.

(١) أي: إعانة قلب، من نَجَد وناجد وأنجد، أي: أعان، وأنجدته أعنتُه، وناجدتُه مثله. ينظر: الصحاح ٢: ٥٤٣، نجد.

(٢) كتب المؤلِّف بخطّه على الهامش: قُوبل وصُحِّحَ، والحمد لله وَحْدَه، كتبَهُ مؤلِّفُه عفا اللهُ عنه وتاب عليه، وحسبنا الله ونِعْمَ الوكيل. وكُتِب على الهامش أيضاً: بلغ محمّد عثمان الدِّمياطي قراءةَ بحثٍ وتحقيقٍ على الشَّيخ العالم العارف بالله تعالى، جميع هذا الكتاب سنة: (٨٧٤)

- الثعالبي، أبو منصور، عبد الملك بن محمد بن إسماعيل (ت: ٤٢٩هـ)، التمثيل والمحاضرة، تحقيق: عبد الفتاح محمد الحلو، نشر الدار العربية للكتاب، بيروت، ط٢/١٤٠١ هـ -١٩٨١م.
- الجريري النهرواني، أبو الفرج، المعافى بن زكريا (ت: ٣٩٠هـ)، الجليس الصالح الكافي والأنيس الناصح الشافي، تحقيق: عبد الكريم سامي الجندي، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ط١/١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.
- ابن الجوزي، أبو الفرج، جمال الدين، عبد الرحمن بن علي (ت: ٥٩٧هـ)، ـ زاد المسير في علم التفسير، نشر المكتب الإسلامي، بيروت، ط٣/١٤٠٤هـ.
- الجوهري، أبو نصر، إسماعيل بن حماد (ت: ٣٩٣هـ)، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، نشر دار العلم للملايين، بيروت، ط٤/١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.
- حاجي خليفة، مصطفى بن عبد الله القسطنطيني الرومي الحنفي (ت: ١٠٦٧هـ)، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون: نشر دار الفكر ـ بيروت، ط/١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.
- الحاكم النيسابوري، أبو عبد الله، محمد بن عبد الله (ت: ٤٠٥هـ)، المستدرك على الصحيحين، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، تعليقات الذهبي في التلخيص، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ط١/١٤١١هـ - ١٩٩٠م.
- ابن حبَّان: محمد بن حبان بن أحمد التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (ت: ٣٥٤هـ)، الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، ترتيب: الأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي (ت: ٧٣٩هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، نشر مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١/١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
- ابن حجر العسقلاني، أبو الفضل، أحمد بن علي (ت: ٨٥٢هـ)، فتح الباري شرح صحيح البخاري، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي وتصحيح محب الدين الخطيب، نشر دار المعرفة، بيروت، ط/١٣٧٩هـ.. ـ إنباء الغمر بأبناء العمر، تحقيق: د حسن حبشي، نشر المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي، مصر، ط/١٣٨٩هـ ـ ١٩٦٩م. ـ الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، تحقيق: محمد عبد المعيد خان، نشر مجلس دائرة المعارف العثمانية ـ حيدر أباد، الهند، ط٢/ ١٣٩٢هـ ـ ١٩٧٢م. ـ تهذيب التهذيب، نشر دار الفكر، بيروت، ط١/١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م. ـ المجمع المؤسس للمعجم المفهرس، مشيخة ابن حجر، تحقيق: الدكتور يوسف عبد الرحمن المرعشلي، نشر دار المعرفة، بيروت، ط١/١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.
- ابن أبي الحديد، أبو حامد، عز الدين، عبد الحميد بن هبة الله (ت: ٦٥٦هـ)، شرح نهج البلاغة، تحقيق: محمد أبو الفضل ابراهيم، نشر دار احياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركاه، مصر.
- ابن حنبل، أحمد بن حنبل الشيباني (ت: ٢٤١هـ)، المسند الإمام أحمد بن حنبل، نشر مؤسسة قرطبة، القاهرة.
- الحوت، أبو عبد الرحمن، محمد بن محمد درويش الشافعي (ت: ١٢٧٧هـ)، أسنى المطالب في أحاديث مختلفة المراتب، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ط١/١٤١٨هـ -١٩٩٧م.
- ابن خلكان، أبو العباس، شمس الدِّين، أحمد بن محمد البرمكي الإربلي (ت: ٦٨١هـ)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، نشر دار صادر، بيروت.
- الخوارزمي، أبو بكر، محمد بن العباس (ت: ٣٨٣هـ) (منسوب إليه) مفيد العلوم ومبيد الهموم، نشر المكتبة العنصرية، بيروت، ط/١٤١٨هـ.
- الدارقطني، أبو الحسن، علي بن عمر البغدادي الدارقطني (ت: ٣٨٥هـ)، سنن الدارقطني، تحقيق: شعيب الارنؤوط، حسن عبد المنعم شلبي، عبد اللطيف حرز الله، أحمد برهوم، نشر مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١/١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م.
- الدارمي، أبو محمد، عبد الله بن عبد الرحمن (ت: ٢٥٥هـ)، مسند الدارمي المعروف بـ (سنن الدارمي): تحقيق: حسين سليم أسد الداراني، نشر دار المغني، المملكة العربية السعودية، ط/ ١٤١٢هـ - ٢٠٠٠م.

- أبو داود السجستاني الأزدي، سليمان بن الأشعث (ت: ٢٧٥هـ)، سنن أبي داود، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، مع تعليقات كَمَال يوسُفْ الحوُت، نشر دار الفكر ، بيروت.
- الداوودي، شمس الدين، محمد بن علي (ت: ٩٤٥هـ)، طبقات المفسرين، نشر دار الكتب العلمية، بيروت.
- ابن دريد الأزدي، أبو بكر، محمد بن الحسن (ت: ٣٢١هـ)، جمهرة اللغة، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، نشر دار العلم للملايين، بيروت، ط١/١٩٨٧م.
- الذهبي، أبو عبد الله، شمس الدّين، محمد بن أحمد (ت: ٧٤٨هـ)، سير أعلام النبلاء، تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، نشر مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٣/١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م.
- ابن رافع السلامي، تقي الدين، محمد بن هجرس (ت: ٧٧٤هـ)، الوفيات، تحقيق: صالح مهدي عباس, د. بشار عواد معروف، نشر مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١/١٤٠٢هـ.
- ابن رجب الحنبلي، زين الدين، عبد الرحمن بن أحمد السَلامي البغدادي ثم الدمشقي (ت: ٧٩٥هـ)، جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم، تحقيق: الدكتور محمد الأحمدي أبو النور، نشر دار السلام، القاهرة، ط٢/١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م.
- الزجاج، أبو إسحاق، إبراهيم بن السري (ت: ٣١١هـ)، معاني القرآن وإعرابه، تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، نشر عالم الكتب، بيروت، ط١/١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
- أبو زرعة العراقي، ولي الدين، أحمد بن عبد الرحيم العراقي (ت: ٨٢٦هـ)، الذيل على العبر في خبر من غبر، تحقيق: صالح مهدي عباس، نشر مؤسسة الرسالة، بيروت، ط/١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.
- الزركلي، خير الدين بن محمود بن محمد الدمشقي (ت: ١٣٩٦هـ)، الأعلام: نشر دار العلم للملايين، بيروت، ط١٥/٢٠٠٢م.
- السبكي، تاج الدين، عبد الوهاب بن تقي الدين (ت: ٧٧١هـ)، طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق: د. محمود محمد الطناحي، د. عبد الفتاح محمد الحلو، نشر دار هجر، مصر، ط٢/١٤١٣هـ.
- السخاوي، شمس الدين ، أبو الخير، محمد بن عبد الرحمن (ت: ٩٠٢هـ)، الذيل التام على دول الإسلام، تحقيق: حسن إسماعيل مروة، نشر مكتبة دار العروبة، الكويت، ومكتبة دار ابن العماد، بيروت، ط١/١٤١٣هـ - ١٩٩٢م. ـ الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، من منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت.
- السمعاني المروزي، أبو سعد، عبد الكريم بن محمد التميمي (ت: ٥٦٢هـ)، الأنساب، تحقيق: عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني وغيره، حيدر آباد: مجلس دائرة المعارف العثمانية، ط١/١٣٨٢هـ - ١٩٦٢م.
- السهروردي، أبو حفص، عمر بن محمد بن عبد الله (ت: ٦٣٢هـ)، عوارف المعارف، ومعه غنية العارف بتخريج أحاديث عوارف المعارف لأحمد بن أحمد الغماري المغربي، تحقيق وتصحيح: أديب الكمداني، ومحمد محمود المصطفى، نشر المكتبة المكية، مكة المكرمة، ط١/ ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م
- السيوطي، جلال الدين، عبد الرحمن بن أبي بكر (ت: ٩١١ هـ)، شرح شواهد المغني، تعليق: أحمد ظافر كوجان، ومحمد محمود الشنقيطي، نشر لجنة التراث العربي، بيروت، ط/١٣٨٦هـ - ١٩٦٦م. ـ همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، نشر المكتبة التوفيقية، مصر. ـ لب اللباب في تحرير الأنساب، نشر دار صادر، بيروت، لبنان، د.ط.ت. ـ التوشيح شرح الجامع الصحيح، تحقيق: رضوان جامع رضوان، نشر مكتبة الرشد، الرياض، ط١/ ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م.
- ابن شاكر، صلاح الدين، محمد بن شاكر (ت: ٧٦٤هـ)، فوات الوفيات: تحقيق: إحسان عباس، نشر دار صادر، بيروت، ط١/ ما بين عامي ١٩٧٣ - ١٩٧٤م.
- شُرّاب، محمد بن محمد حسن، شرح الشواهد الشعرية في أمات الكتب النحوية «لأربعة آلاف شاهد شعري»، نشر

مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١/١٤٢٧هـ - ٢٠٠٧م.

- الشوكاني، محمد بن علي الشوكاني اليمني (ت: ١٢٥٠هـ)، الصوارم الحداد القاطعة لعلائق أرباب الاتحاد، تحقيق: محمد صبحي حسن الحلاق، نشر دار الهجرة، صنعاء، ط١/١٤١١هـ - ١٩٩٠م.
- أبو الشيص الخزاعي (ت: ١٩٦هـ)، ديوانه وأخباره، صنعه عبد الله الجبوري، نشر المكتب الإسلامي، بيروت، ط١/ ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.
- ابن أبي الصفاء الملطي، زين الدين، عبد الباسط بن أبي الصفاء غرس الدين خليل الظاهريّ الملطيّ (ت: ٩٢٠هـ)، نيل الأمل في ذيل الدول، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، نشر المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، ط١/١٤٢٢ هـ - ٢٠٠٢ م.
- الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك (ت: ٧٦٤هـ)، أعيان العصر وأعوان النصر، تحقيق: الدكتور علي أبو زيد، الدكتور نبيل أبو عشمة، الدكتور محمد موعد، الدكتور محمود سالم محمد، نشر دار الفكر المعاصر، بيروت، دار الفكر، دمشق، ط١/١٤١٨ هـ - ١٩٩٨م. - الوافي بالوفيات: لصلاح الدين، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، نشر دار إحياء التراث، بيروت، ط/١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م.
- الطبراني، سليمان بن أحمد بن أيوب، أبو القاسم (ت: ٣٦٠هـ)، المعجم الكبير، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، نشر مكتبة العلوم والحكم، الموصل، ط٢/١٤٠٤هـ - ١٩٨٣م.
- ابن عربي، محيي الدّين، محمد بن علي الطائي الحاتمي (ت: ٦٣٨هـ)، تفسير القرآن (المنسوب إليه خطأ)، نشر المطبعة العامرة ببولاق، مصر، القاهرة، ط/١٢٨٣هـ - ١٨٦١م. - الوصايا، نشر في مطبعة كرم بدمشق، ط/١٣٧٥هـ - ١٩٥٦م.
- العسكري، أبو هلال، الحسن بن عبد الله (ت نحو ٣٩٥هـ)، جمهرة الأمثال، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم وعبد المجيد قطامش، نشر دار الفكر، بيروت، ط٢/١٩٨٨م.
- ابن العماد الحنبلي، أبو الفلاح، عبد الحي بن أحمد الحنبلي (ت: ١٠٨٩هـ)، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق: محمود الأرناؤوط، خرج أحاديثه: عبد القادر الأرناؤوط، نشر دار ابن كثير، دمشق – بيروت، ط١/ ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦م.
- الغزالي حجة الإسلام، أبو حامد، محمد بن محمد (ت: ٥٠٥هـ)، إحياء علوم الدين، نشر دار المعرفة، بيروت. - معارج القدس في مدارج معرفة النفس، تحقيق: لجنة إحياء التراث العربي، نشر دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط٥/١٤٠١هـ - ١٩٨١م. - مدخل السلوك إلى منازل الملوك، تحقيق: محمد رياض المالح، نشر مطبعة العلم، دمشق، ط/١٣٨٥هـ - ١٩٦٥م.
- رضي الدين الغزي، أبو البركات، محمد بن أحمد الغزي العامري الشافعي (ت: ٨٦٤هـ)، بهجة الناظرين إلى تراجم المتأخرين من الشافعية البارعين، تحقيق: أبو يحيى عبد الله الكندري، نشر دار ابن حزم، بيروت، ط١/١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.
- ابن فارس، أبو الحسين، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي (ت: ٣٩٥هـ)، مجمل اللغة، دراسة وتحقيق: زهير عبد المحسن سلطان، نشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢/ ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م. - معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، نشر دار الفكر، بيروت، ط/١٣٩٩هـ- ١٩٧٩م.
- الفاسي، تقي الدين ، أبو الطيب، محمد بن أحمد القرشي الحسني الفاسي (ت: ٨٣٢هـ)،تعريف ذوي العلا بمن لم يذكره الذهبي من النبلا، تحقيق: محمود الأرناؤوط وأكرم البوشي، نشر دار صادر، بيروت، ط١/١٩٩٨م.
- ابن قاضي شهبة، أبو بكر بن أحمد، تقي الدين (ت: ٨٥١هـ)، طبقات الشافعية، تحقيق: د. الحافظ عبد العليم خان، نشر مطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن، الهند، ط/١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

- القشيري، عبد الكريم بن هوازن (ت: ٤٦٥هـ)، الرسالة القشيرية، تحقيق: الدكتور عبد الحليم محمود، الدكتور محمود بن الشريف، نشر دار المعارف، القاهرة، د ت ن.
- الكاشي، أو الكاشاني، أو القاشاني، كمال الدين، عبد الرزاق بن أحمد بن أبي الغنائم محمد (ت: ٧٣٠هـ)، تأويلات القرآن، مخطوط وله أكثر من نسخة، النسخة الأزهرية، وهي في مركز جمعة الماجد برقم: (٤٣١٤٢٤)، وقد طبع منسوباً خطأً لمحيي الدين بن عربي (ت: ٦٣٨هـ)، بعنوان: تفسير القرآن، نشر المطبعة العامرة ببولاق، مصر، القاهرة، ط/١٢٨٣هـ - ١٨٦١م.
- ابن كثير، أبو الفداء، إسماعيل بن عمر (ت٧٧٤هـ)، البداية والنهاية، تحقيق: علي شيري، نشر دار إحياء التراث العربي، ط١/١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
- ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر (ت: ٧٥١هـ)، الروح في الكلام على أرواح الأموات والأحياء بالدلائل من الكتاب والسنة، تعليق: محمد علي القطب، وبرهان الدين البقاعي، نشر المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ط١/١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.
- كحالة، عمر بن رضا الدمشقي (ت: ١٤٠٨هـ)، معجم المؤلفين، نشر مكتبة المثنى، ودار إحياء التراث العربي، بيروت.
- ابن ماجه، أبو عبد الله، محمد بن يزيد القزويني (ت: ٢٧٣هـ)، سنن ابن ماجه، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، نشر دار إحياء الكتب العربية، مصر.
- مالك بن أنس الأصبحي المدني (ت: ١٧٩هـ)، الموطأ، باعتناء محمد فؤاد عبد الباقي، نشر دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط/١٤٠٦هـ - ١٩٨٥م.
- الماوردي، أبو الحسن، علي بن محمد البصري البغدادي (ت: ٤٥٠هـ)، تفسير الماوردي (النكت والعيون)، تحقيق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، نشر دار الكتب العلمية، بيروت.
- مسلم، أبو الحسن، مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت: ٢٦١هـ)، صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، نشر دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- المقري التلمساني، شهاب الدين، أحمد بن محمد (ت: ١٠٤١هـ)، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق: إحسان عباس، نشر دار صادر، بيروت، ط/ ١٩٩٧م.
- المقريزي، أبو العباس، تقي الدين، أحمد بن علي (ت: ٨٤٥هـ)، درر العقود الفريدة في تراجم الأعيان المفيدة، تحقيق: د. محمود الجليلي، نشر دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١/ ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م. - السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، نشر دار الكتب العلمية، لبنان، بيروت، ط/١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.
- ابن المُلقِّن، أبو حفص، سراج الدين، عمر بن علي الشافعي المصري (ت٨٠٤هـ)، طبقات الأولياء، تحقيق: نور الدين شريبه، نشر مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٢/١٤١٥هـ - ١٩٩٤م. - العقد المُذْهَب في طبقات حملة المذهب، تحقيق: أيمن نصر الأزهري، سيد مهني، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ط١/١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.
- الملوي ولي الدين، ابن المنفلوطي، أبو عبد الله، محمد بن أحمد (ت: ٧٧٤هـ)، إفهام الأفهام في شرح عقيدة العز بن عبد السلام، تحقيق: د. طه محمد فارس، نشر دار جليس الزمان، ودار الضياء، دمشق، استنبول، ط١/ ٢٠١٩م. - تفسير سورة الكوثر وما يليها (مخطوط)، من مكتبة مصطفى أفندي، تركيا، برقم: ٥٤. - تلخيص الكلام في مسألة الكلام (مخطوط)، من مجموع برقم (٢١٤) من المخطوطات الحبسية في الزواية الحمزاوية العياشية بالمغرب. - الوجوه الجميلة في أن أم القرآن حاوية لمعانية الجليلة (مخطوط)، من مكتبة جمعة الماجد بدبي. - أبهج مناهج المعالي وأبهاها، مخطوط.
- ابن منظور، أبو الفضل، جمال الدين، محمد بن مكرم (ت: ٧١١هـ)، لسان العرب: نشر دار صادر، بيروت،

ط٣/١٤١٤هـ.

- النعيمي، عبد القادر بن محمد النعيمي الدمشقي (ت: ٩٢٧هـ)، الدارس في تاريخ المدارس، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ط١/١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.
- النووي، أبو زكريا، محيي الدين يحيى بن شرف (ت: ٦٧٦هـ)، ـ الأذكار، تحقيق: عبد القادر الأرنؤوط، نشر دار الفكر، بيروت، ط/١٤١٤هـ - ١٩٩٤م. ـ رياض الصالحين، تعليق وتحقيق: الدكتور ماهر ياسين الفحل، نشر دار ابن كثير، دمشق، بيروت، ط١/١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م. ـ فَتَاوَى الإمامِ النَّوَوِي المُسمَّاةِ: "بالمَسَائِل المنْثورَةِ، ترتيبُ: تلميذه الشيخ عَلاَء الدِّين بن العَطّار، تحقِيق وتعلِيق: محمَّد الحجَّار، نشر دَار البشائرِ الإسلاميَّة، بيروت، ط١٤١٧/٦هـ - ١٩٩٦م. ـ الأربعين النووية.
- نويهض، عادل، معجم المفسرين «من صدر الإسلام وحتى العصر الحاضر»، نشر مؤسسة نويهض الثقافية، بيروت، ط١٤٠٩/٣هـ - ١٩٨٨م.
- الهروي، أبو إسماعيل، عبد الله بن محمد بن علي الأنصاري (ت: ٤٨١هـ)، منازل السائرين، اعتناء: ضياء الدين إبراهيم عبد اللطيف، نشر دار القدس، القاهرة، ط١/ ٢٠١٦م.
- ابن هشام الأنصاري، أبو محمد، جمال الدين، عبد الله بن يوسف (ت: ٧٦١هـ)، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تحقيق: د. مازن المبارك، محمد علي حمد الله، نشر دار الفكر، دمشق، ط١٩٨٥/٦م.
- الهيثمي، نور الدين، علي بن أبي بكر (ت: ٨٠٧هـ)، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، نشر دار الفكر، بيروت، ط/١٤١٢هـ.
- الواحدي، أبو الحسن، علي بن أحمد (ت: ٤٦٨هـ)، التَّفْسِيرُ البَسِيْط، تحقيق: مجموعة من طلاب الدكتوراه، نشر عمادة البحث العلمي في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، ط١/١٤٣٠ هـ.
- ياقوت الحموي، أبو عبد الله، شهاب الدين، ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (ت: ٦٢٦هـ)، معجم البلدان، نشر دار صادر، بيروت، ط١٩٩٥/٢م.

القول اللازم المختار
بجواز دفع الصدقات إلى بني هاشم
عند الاضطرار

تأليف

الشيخ نجم الدين طلحة بن عبد الرحمن الزبيدي
الحنفي (ت: ٩٨٠ هـ)

لأول مرة تحقق على ثلاث نسخ

القول اللازم
المختار
بجواز دفع
الصدقات إلى
بني هاشم عند
الاضطرار

حققها وعلق عليها

أ . د . مقتدر حمدان عبد المجيد

جامعة بغداد

كلية التربية ابن رشد للعلوم الإنسانية

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله وأصحابه أجمعين.

تزخر مكتبات العالم بالتراث الإسلامي المخطوط، وللأسف لا يزال الكثير من هذا التراث الثري الغني بمعلوماته، والغزير بفوائده، حبيس الرفوف في المكتبات، ولم يُحقق، ونكاد نجزم أن الكثير من هذا التراث لم تصله يد المحققين حتى الآن.

وهناك من يرى أن تحقيق المخطوطات أمر يسير على أساس أن النص الأصل موجود وما على المحقق سوى نسخه؛ ولكن حقيقة الأمر غير ذلك بالنسبة للمتخصص الذي يروم الإبداع في عمله ليعطي المخطوط قيمته العلمية. ذلك أن علم تحقيق المخطوطات له قواعده وأصوله، ولابد لمن يخوض في هذا البحر المتلاطم الأمواج أن يمتلك الأدوات الكافية التي تمكنه من تجاوز الأمواج العاتية التي من المؤكد إنه سيواجهها في عمله الذي أقدم عليه بشوق جارف.

فالتحقيق يكسب المحقق الإحاطة في محتويات المخطوط المراد تحقيقه، مع الاحتياج إلى المزيد من المتابعة والرجوع إلى أمهات المصادر في مختلف العلوم، للتدقيق والبحث والمقارنة بين النصوص، والاقتباسات، والحرص على الالتزام بالأمانة العلمية فيها.

تعاني مكتبتنا العربية من نقص ملحوظ في المصادر الأساسية، سواء أكانت كتبا أم رسائل تتناول الجوانب الاقتصادية والمالية في حياتنا.

ومن الرسائل التي تناولت هذا النشاط رسالة (القول اللازم المختار بجواز دفع الصدقات إلى بني هاشم عند الاضطرار) للشيخ طلحة بن عبد الرحمن الزبيدي، التي وقع عليها اختياري لدراستها وتحقيقها، إذ لمست فيها أهمية كبيرة بما ورد فيها من آراء ومعالجات وتحليلات دقيقة للعديد من الآراء حول موضوع إعطاء الصدقات إلى بني هاشم. وبلا ريب فإن هذه الآراء والتحليلات متأتية من سعة ثقافة صاحب الرسالة، وفهمه العميق للموضوع الذي يناقشه في رسالته هذه.

ترجمة الشيخ طلحة بن عبد الرحمن الزبيدي الحنفي:

الشيخ نجم الدين طلحة بن عبد الرحمن الزبيدي الحنفي، لم تذكر مصادر التراجم والسير تاريخًا محددًا لولادة الشيخ طلحة بن عبد الرحمن الزبيدي، إلا أنه يمكن أن نرجح أنها كانت في أوائل القرن

العاشر الهجري. وفاته في سنة ٩٨٠هـ. وليس كما ذكر الحبشي[١] بأنها بعد سنة ٩٧٣هـ؛ لأن الرسالة التي بين أيدينا انتهى من تأليفها في سنة ٩٨٠هـ، وعلى الأرجح أنها كانت آخر ما ألفه؛ لذا أقول لا يمكن الجزم في حياته وتفاصيلها، لكن من المؤكد أنه من أعلام فقهاء الحنفية في اليمن في القرن العاشر الهجري وتحديدا مدينة زبيد، ومن الأدلة على ذلك: أن لقبه الزبيدي، وأن بعض الفقهاء الذين ذكرهم هم من شيوخه المباشرين، وهم من فقهاء الحنفية في اليمن من مدينة زبيد في القرن التاسع والعاشر الهجريين.

وللأسف الشديد رغم البحث الكثير لم نجد له ترجمة وافية. أما مؤلفاته فهي: ترغيب المصاب في تحصيل الثواب بالحمد والاسترجاع والاحتساب، وحسن الاعتقاد في إعادة الروح إلى ما فارقت الأجساد في يوم الحشر والمعاد، والقول اللازم المختار بجواز دفع الصدقات إلى بني هاشم عند الاضطرار[٢].

وصف النسخ المعتمدة في التحقيق:

لا يوجد لرسالة (القول اللازم المختار بجواز دفع الصدقات إلى بني هاشم عند الاضطرار) نسخ مطبوعة حسب علمنا المتواضع، فهي لا تزال مخطوطة. وما وجدناه (٣) نسخ، وكلها نسخ تامة والحمد لله، وسنذكر كل نسخة ومعلوماتها.

١. النسخة الأولى: من مكتبة الحرم المكي تحمل الرقم (١٦٩٩)، دهلوي، فقه حنفي. تتكون من (٩) لوحات، في كل لوحة صفحتين، عدد الأسطر في كل صفحة بين (٢٠) إلى (٢٣)، وعدد الكلمات في السطر ما بين (١٠) إلى (١٤) كلمة، وخطها نسخ مقروء، كُتبت بعض كلماتها باللون الأحمر، فضلاً عن الفواصل بين عبارة وأخرى أيضا ميزها الناسخ بلون أحمر، وعليها تاريخ التأليف في سنة ٩٨٠هـ. وقد اعتمدنا على هذه النسخة وجعلناها نسخة الأصل لأنها بخط المؤلف، ورمزت لها بحرف (م).

٢. النسخة الثانية: نسخة مكتبة جامعة برنستون في الولايات الأمريكية ورمزت لها بـ (ب). عدد الواحها (٩) لوحة، في كل لوحة صفحتين، في كل صفحة (١٧) إلى (٢٠) سطراً، تحمل الرقم (٢١٢٩) رمز الحفظ (٢٣٤L)، وهي ضمن مجموع قام بنسخه النَّاسخ: عبد القادر بن عثمان بن عبد الله الطوري، سنة ٩٩٩هـ. وهي نسخة تامة وجيدة. بعض كلماتها كُتبت باللون الأحمر [٣].

---

(١) الحبشي، مصادر الفكر اليمني، ص٣٤٠.

(٢) الحبشي، مصادر الفكر اليمني، ص٣٤٠.

(٣) فهرس المخطوطات العربية في جامعة برنستون (مجموعة جاريت)، ج٢، ص٢٦٥.

٣. النسخة الثالثة: أيضا من جامعة برنستون، التي رمزت لها بـ (ح)، تحمل الرقم [٩٩٥] رمز الحفظ (٤٥٩٤)، وعدد ألواحها (٩) لوحة، وفي كل لوحة صفحتين، وخطها جيد مقروء، بعض كلماتها كتبت باللون الأحمر، الصفحة وضع عليها من الجهات الأربعة خط أحمر. ووضع الناسخ بين عبارة وأخرى نقطة كبيرة باللون الأحمر للتميز عما قبلها وما بعدها.

ملاحظات خطية وإملائية على النُسخ:

١. اعتاد الناسخ لهذه النسخ كما دأب القدامى أن يرسموا خط بعض الألفاظ على غرار خط القرآن الكريم، ولاشك أن خط المصحف ينبغي ألا يقاس عليه؛ لذا قمت بنسخ الرسالة على وفق قواعد الإملاء الحديثة.

٢. مسألة تنقيط الحروف فيها تصحيف كثير مثل: كلمة (جائز) يكتبها (جايز)، و(على) يكتبها (علي)، و(إلى) يكتبها (الي)، وهكذا وهناك الكثير من الكلمات كُتبت بهذا الشكل.

٣. وكذلك الأمر في كتابة (الهمزة) في آخر الكلمات فهي في الأعم الأغلب لم تُكتب ومثال ذلك: (العلماء) يكتبها (العلما)، و(الفقهاء) يكتبها (الفقها) وهكذا كثير.

منهج التحقيق:

رأيت أن يكون التحقيق على وفق الخطوات الآتية:

١. تم نسخ المخطوطة باليد .

٢. اتخذت نسخة الحرم المكي أصلا، وهي النسخة التي رمزت لها بالحرف (م)؛ لأنها بخط المؤلف، ولوضوحها.

٣. قابلت نسختي جامعة برنستون (ب) و(ح) على النسخة (م)، وقد ذكرت الفروق ومواضع الخلاف مع النسخة (ب) و(ح)؛ حيث أشرت إلى الكلمات التي وقع فيها الخلاف في المتن وذكرت الكلمة المقابلة لها في الهامش وقلت كذا في (م) و(ب) أو في (ح). وقد اخترت الكلمة المناسبة وما يقتضيه النص وجعلتها في المتن، وقلت ما أثبته هو الصحيح.

٤. تضمنت الرسالة آيات قرآنية، قمت بذكر السورة ورقم الآية.

٥. تخريج الأحاديث النبوية والآثار من كتب الحديث.

٦. وتضمنت الرسالة إحالات ونقول من مصادر أخرى من الفقه الحنفي رجعت إليها وحسب توافرها فبعضها مطبوع وبعضها لا يزال مخطوطا، وبعضها لم أعثر عليه.

٧. قمت برسم الأحرف على وفق القواعد الإملائية الحديثة.

٨. ترجمت للأعلام الذين ورد ذكرهم في الرسالة.

٩. تم التعريف بجميع الأماكن والمواضع التي وردت في الرسالة.

١٠. أعطيت تعريفات للمصطلحات الفقهية والاقتصادية التي وردت في المخطوط.

١١. في بعض المواضع وجدت من المناسب التعليق للإيضاح والفائدة في أمر ما أو إزالة إشكال.

١٢. عزوت الأقوال والنصوص التي استقاها المؤلف إلى أصحابها ومن مصنفاتهم، بقدر توفر تلك الكتب بين أيدينا.

١٣. وضعت الألفاظ الساقطة من النسخ ما بين المعكوفتين [ ] في المتن وأشرنا إليها في الهامش.

١٤. وختمت عملي هذا بقائمة مصادر ومراجع التحقيق.

والله من وراء القصد

الورقة الأولى من النسخة م

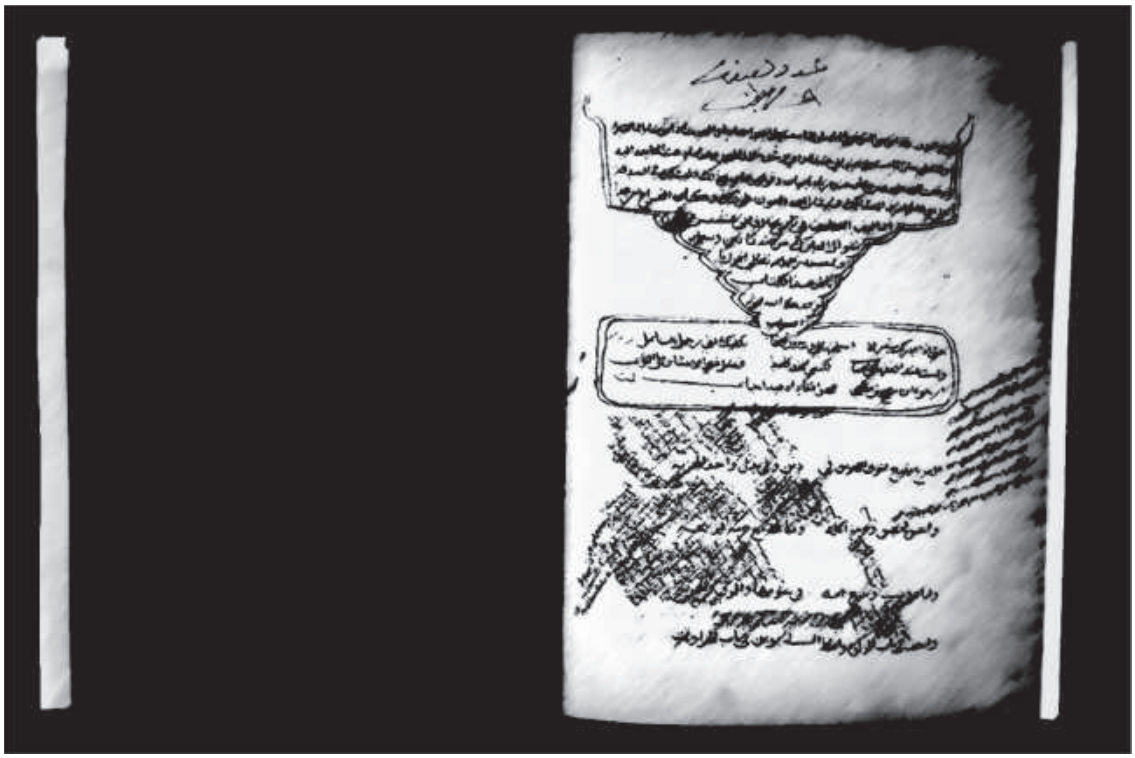

الورقة الأخيرة من النسخة م

الورقة الأولى من النسخة ب

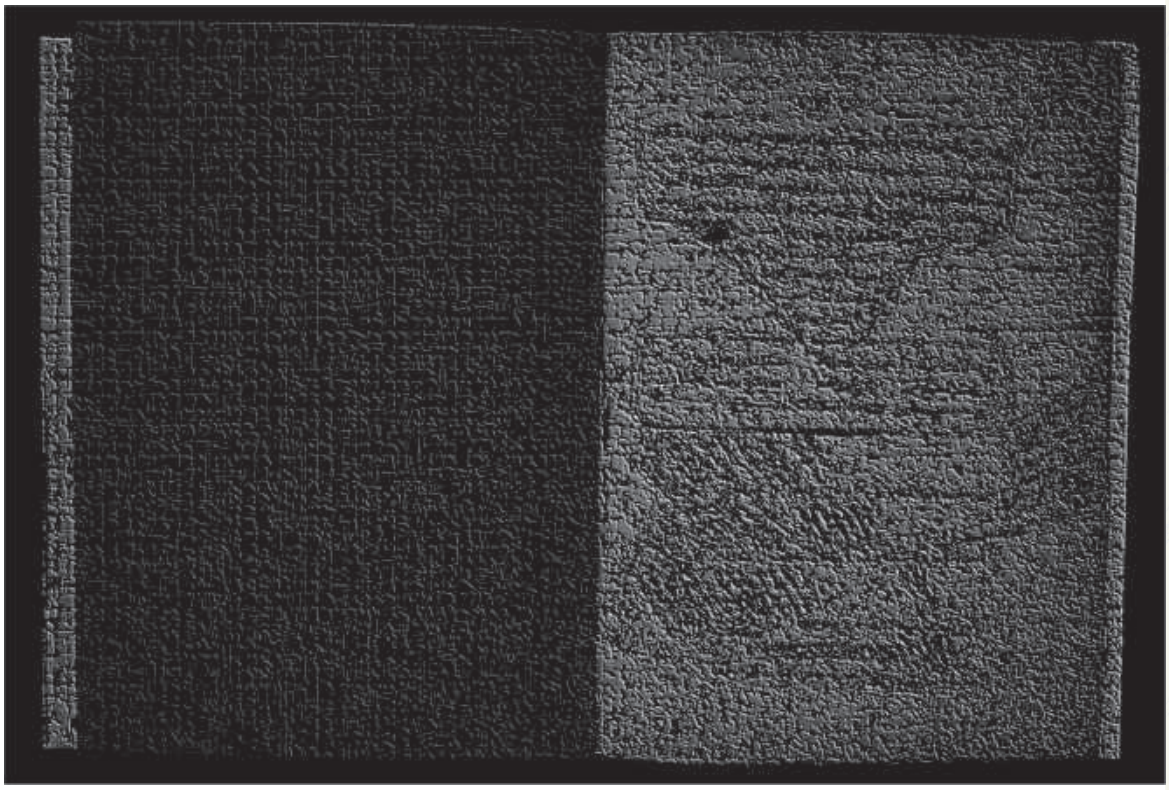

الورقة الأخيرة من النسخة ب

الورقة الأولى من النسخة ح

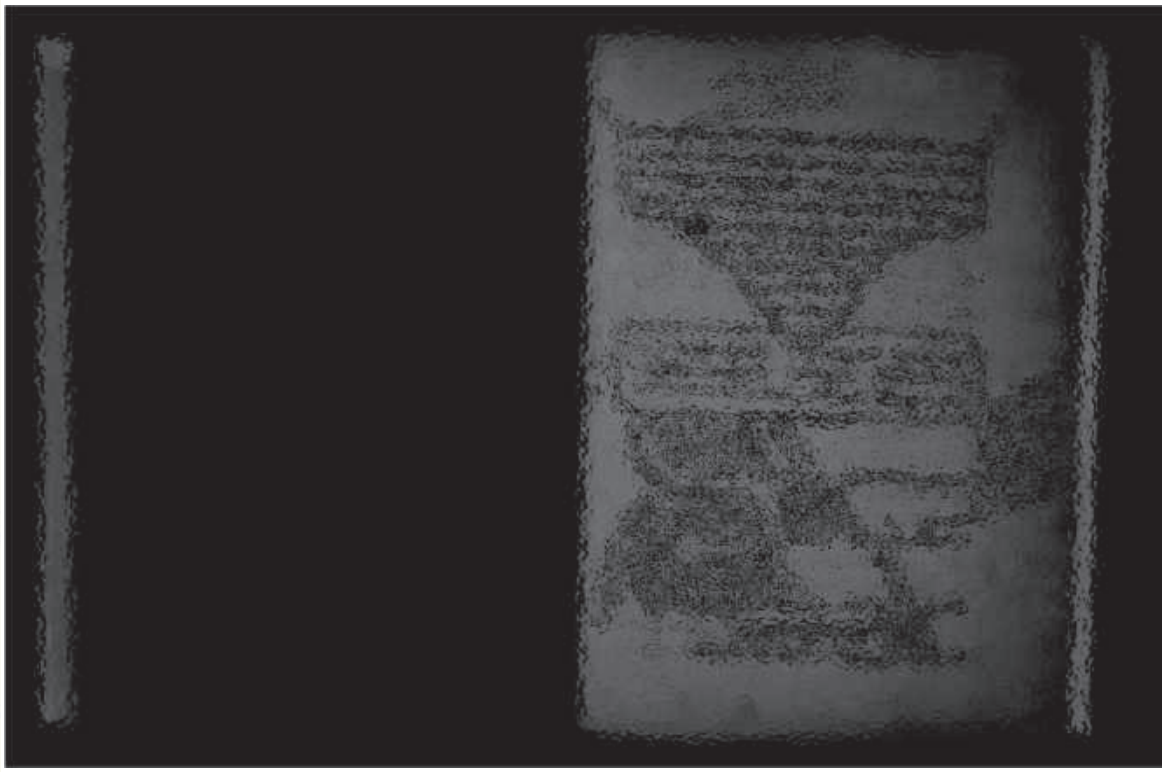

الورقة الأخيرة من النسخة ح

النص المحقق
القول اللازم المختار
بجواز دفع الصدقات إلى بني هاشم
عند الاضطرار

تأليف

الشيخ نجم الدين

طلحة بن عبد الرحمن الزبيدي الحنفي

(ت: ٩٨٠ هـ)

حققها وعلق عليها

أ . د . مقتدر حمدان عبد المجيد

جامعة بغداد

كلية التربية ابن رشد للعلوم الإنسانية

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه ثقتي

مسألة عن حال الزكاة والنذور والكفارات للأشراف [١] صورة ما كتب في المسألة.

الحمد لله الذي هدانا بفضله إلى دين الإسلام، وأرشدنا بعدله وحد لنا الحدود وبين لنا الأحكام، وأمرنا بتناول الحلال واجتناب الحرام، اتباعًا لنبيه المرسل عليه أفضل الصلاة والسلام وعلى آله وصحبه السادة القادة القدوة الغر الكرام، ما لاح برق وهما ودق وغنا حمام.

وبعد:

فإني أسأل العلماء الأعلام الذين هم القدوة للأنام، وإلى قولهم يرجع الخاص والعام، عن الزكاة والصدقات الواجبات، كصدقة الفطر، والنذور، والعشور[٢]، والكفارات، وغير ذلك مما ورد نص السنة على بني هاشم[٣] وهم آل العباس، وآل علي، وآل عقيل، وآل جعفر، وآل الحارث[٤] بن عبد المطلب. وهو قول النبي صلى الله عليه وسلم: (يا بني هاشم حرم عليكم أوساخ الناس وعوضكم عنها بخُمس الخمس)[٥].

فإذا مُنع عنهم خُمس[٦] الخُمس[٧] ولم يصل إليهم هل يحل لهم أخذها عند عدم وصوله إليهم لكون منعه سبب ضيق أحوالهم، الضيق المؤدي إلى الاضطرار الذي رخص الله تعالى لمن حل به تناول

القول اللازم المختار بجواز دفع الصدقات إلى بني هاشم عند الاضطرار

---

(١) الأشراف: جمع شرف وهو الموضع العالي، والأشراف الذين يملؤون العيون جمالاً والقلوب هيبةً؛ أي من القوم ووجوههم ورؤساؤهم ومقدموهم الذين يرجع إلى قَوْلِهِم. وهنا المقصود آل بيت النبي صلى الله عليه وسلم وذلك لشرفهم في الأنتساب إلى النبي صلى الله عليه وسلم، وتستعمل هذه التسمية في اليمن والحجاز. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ج٩، ص١٧٠. الزبيدي، تاج العروس، ج٢٣، ص٥٠٧.

(٢) الْعُشْرُ: جزء من عشرة أجزاء، ويُجمع على عُشور وأعشار، ويأخذ من التجار، أو من إنتاج أرض العشر. ينظر: ابن قدامة، المغني، ج٨، ص٥١٨.

(٣) بنو هاشم: هم آل النبي صلى الله عليه وسلم هم آل علي، وآل عباس، وآل جعفر، وآل عقيل، وآل الحارث بن عبد المطلب. ينظر: ابن عابدين، رد المحتار، ج٢، ص٦٦.

(٤) في ح: الحرث، والتصويب من: م، ب.

(٥) حديث: " يا بني هاشم... " غريب بهذا اللفظ كما قال الزيلعي، نصب الراية ٢ / ٤٠٣، وأصله في مسلم في حديث طويل من رواية عبد المطلب بن ربيعة مرفوعاً: " إن هذه الصدقات إنما هي أوساخ الناس، وإنها لا تحل لمحمد، ولا لآل محمد " (صحيح مسلم بشرح النووي ٧ / ١٧٧ - ١٨١).

(٦) خمس الخمس: هو جزء من خمسة أجزاء الخمس، التي حددها الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم، وهو سهم ذوي القربى. ينظر: أبو يعلى، الأحكام السلطانية، ص١٥٣.

(٧) الْخُمُسُ: هو اسم للمأخوذ من الغنيمة والركاز وغيرهما مما يُخمس ومقداره جزء من خمسة أجزاء. ينظر: الماوردي، الأحكام السلطانية، ص١٤٢.

المحرم بنص الكتاب والسنة، وهو قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[1]. وقوله تبارك وتعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ﴾[2] إلى قوله تعالى: ﴿فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾. وهل تسقط حرمة الزكاة عليهم عند الضرورة كسقوط حرمة الخمر والميتة في حق المضطر؟ وترخص لهم في تناولها عند الاضطرار ترخيص تناول المضطر للميتة والدم وغيرهما من المحرمات؟ وهل حسن الأخذ في ذلك برواية أبي عصمة[3] عن أبي حنيفة[4] رضي الله عنه أن الصدقة تحل لبني هاشم وفقيرهم فيها كفقير غيرهم، ووجهه أن عوضها وهو خُمس الخمس لم يصل إليهم لإهمال الناس أمر الغنائم[5] وقسمتها وإيصالها إلى مستحقها، وإذا لم يصل لهم العوَض عادوا إلى المُعوض عملاً بمطلق الآية سالماً من معارضة أحد العوَض.

أقول والله أعلم الذي نحبه وينبغي في وقتنا هذا أن تكون الفتوى في هذا برواية أبي عصمة عن أبي حنيفة رضي الله عنه، وهو موافق للقاعدة الكلية إذا ضاق الأمر اتسع[6]. ويشهد بذلك قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾[7]. ولو قيل إن في القول كله[8] لهم خلاف ما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يجوز مخالفته.

هل يجوز أن يقال في جواب ذلك ما قاله الحافظ النسفي[9] في كتابه كشف الأسرار شرح المنار[10]:

(١) سورة البقرة، آية ١٧٣.

(٢) سورة المائدة، آية ٣.

(٣) أبو عصمة: وهو راوي كتابي التحري والحجر عن أبي سليمان. هو سعد بن معاذ المروزي صاحب الإمام أبا حنيفة وتلميذه. وله أقوال وروايات ذكرها فقهاء الحنفية في كتبهم. ينظر: القرشي، الجواهر المضية، ج٢، ص٢٥٧.

(٤) أبو حنيفة: هو النعمان بن ثابت. الفقيه المجتهد المحقق الإمام، أحد أئمة المذاهب الأربعة. ولد سنة (٨٠هـ) ونشأ بالكوفة كان يبيع الخز ويطلب العلم، ثم انقطع للدرس والإفتاء. له مصنفات عدة في الفقه والحديث والعقائد، توفى سنة (١٥٠هـ). ينظر: ابن عبد البر، الانتقاء، ص١٢٢.

(٥) الغنيمة: هو ما أصيب من أموال أهل الحرب وأوجف عليه المسلمون بالخيل والركاب. ينظر: ابن قتيبة، غريب الحديث، ج١، ص٢٢٨.

(٦) هي إحدى القواعد الفقهية. ينظر: الحموي، غمز عيون البصائر، ج١، ص٢٧٣.

(٧) سورة الحج، آية ٧٨.

(٨) في م: كلها، والتصويب من: ب، ح.

(٩) النسفي: عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي أبو البركات حافظ الدين، فقيه حنفي، مفسر، من أهل إيذج من كور أصبهان، ووفاته فيها سنة ٧١٠هـ. نسبته إلى نسف ببلاد السند، بين جيحون وسمرقند. له مصنفات جليلة منها: مدارك التنزيل، وكنز الدقائق، والمنار، وكشف الأسرار، وغيرها كثير. ينظر: القرشي، الجواهر المضية، ج١، ص٢٧٠.

(١٠) كشف الأسرار هو شرح لكتاب المنار تأليف النسفي، وكتاب المنار يُعد من أشهر متون أصول الفقه عند الحنفية،

لا خلاف في أنه يجوز لأحد مخالفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يبين من أحكام الشرع ولأنه عليه أفضل الصلاة والسلام كان ينصب أحكام الشرع ابتداءً؛ والرأي لا يصلح لنصب الشرع ابتداءً، لأن حكم الشرع حق الله تعالى، فإليه نصبه بخلاف ما كان من حقوق العباد كأمور الحروب والمعاملات وغير ذلك، إذ المطلوب به دفع الضرر عنهم وجر النفع إليهم فيما يُقوم به مصالحهم(١).

فيجوز استعمال الرأي في مثال ذلك لحاجة العباد إلى ذلك وليس في وسعهم فوق ذلك، وهل يندرج القول بجواز دفعها إليهم وجواز تناولهم لها تجب القاعدة الكلية من مذهب الإمام الشافعي(٢) رضي الله عنه إذا ضاق الأمر اتسع(٣). وتدخل تحت قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾(٤). فيباح لهم تناولها عند الضرورة التي تقضي إباحة المحضورات. وبين الدافع إليهم يدفعها عهد ما لزمه، ولكونهم عند الاضطرار صاروا مصروفا(٥)، وهل يكون تناولهم لها عند الاضطرار أخف خطرًا من

يذكر الخلاف بين أئمة الحنفية، وفي كثير من الأحيان يعرض لرأي الإمام الشافعي. وتأتي أهمية الكتاب من غزارة مادته العلمية، مع أبحاث دقيقة، وحسن الترتيب والتبويب، لذلك لقي قبولاً وشهرة عند الحنفية. ينظر: النقيب، المذهب الحنفي، ج٢، ص٧٢٢.

(١) النسفي، كشف الأسرار، ج٢، ص١٦٤ _ ١٦٥.

(٢) الإمام الشافعي: محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع الهاشمي القرشي المطلبي أبو عبد الله. أحد الأئمة الأربعة. وإليه نسبة الشافعية كافة. ولد في غزة سنة (١٥٠هـ). وحمل منها إلى مكة وهو ابن سنتين. زار بغداد مرتين. وقصد مصر سنة (١٩٩هـ) فتوفي بها، وقبره معروف في القاهرة. قال المبرد: كان الشافعي أشعر الناس وآدبهم وأعرفهم بالفقه والقرآت. وقال الإمام أحمد بن حنبل: ما أحد ممن بيده محبرة أو ورق إلا وللشافعي في رقبته منه. وكان من حاذق في الرمي، يصيب من العشرة عشرة، وبرع في الشعر واللغة وأيام العرب، ثم أقبل على الفقه والحديث، وأفتى وهو ابن عشرين سنة. وكان ذكياً مفرطاً. له تصانيف كثيرة، أشهرها كتاب (الأم) في الفقه. توفى سنة ٢٠٤هـ. ينظر: الكبيسي، الآراء المالية، ص٧.

(٣) هي إحدى القواعد الفقهية. الاتساع: مأخوذ من الوسع، والتوسيع ضد التضييق. والمفهوم من هذه القاعدة أنه إذا شوهد ضيق ومشقة في فعل أو أمر يجب إيجاد رخصة وتوسعة لذلك الضيق فلا زالت المشقة تُجوز الأشياء غير الجائزة قياساً والمغايرة للقواعد. والمراد إذا حصلت ضرورة عارضة للشخص أو الجماعة، وأصبح معها الحكم الأصلي مرهقاً حتى أصبح المكلف في حرج وضيق فإنه يخفف ويوسع عليه حتى يسهل، وإذا دعت الضرورة والمشقة إلى اتساع الأمر فإنه يتسع إلى غاية اندفاع الضرورة والمشقة، فإذا اندفعت الضرورة الداعية عاد الأمر إلى ما كان عليه قبل نزوله. ينظر: الحموي، غمز عيون البصائر، ج١، ص٢٧٣.

(٤) سورة الحج، آية ٧٨.

(٥) أي مصرفاً من مصارف الزكاة. حدد الله سبحانه وتعالى الفئات الآخذة لأموال الزكاة فقال تعالى: {إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ}. وبذلك فإن الله عز وجل أمر بإعطاء أموال الزكاة لهذه الفئات الثمانية حصراً، لأنهم بحاجة إليها. ولهذا فإن النهج الاقتصادي الإسلامي فيه من المرونة الكبيرة التي من شأنها تعميم الفائدة على فئات المجتمع، فحث على التصدق إلى الذين أصابهم العوز، والحاجة، أو إنهم يدخلون ضمن الجبرية في أوضاعهم المعاشية وشجع على مساعدتهم، وقد حدد ذلك ضمن قواعد وأحكام، ولم يدعها منفلته أو تحكمها الرغبات، وبهذا فإن هذا النهج الاقتصادي الإسلامي لم يدع ثغرة يدب منها الفقر والحاجة إلى المجتمع إلا ووضع لها علاج، فامتاز بالدقة، والاتزان، والعدالة، والتوافق. ينظر: الكبيسي، الآراء المالية، ص٩٨.

تناول الميتة والدم وسائر المحرمات التي رخص النص في تناولها عند الاضطرار كالخمر وغيرها ؟.

إذ العلة في تحريم الزكاة على بني هاشم كونها أوساخ أموال الناس[١] لقوله صلى الله عليه وسلم في تحريم الصدقة على بني هاشم: (أرأيت لو تمضمضت بماء ثم مجتته[٢] أكنت شاربه)[٣]؟.

فقد علل بمعنى مؤثر وهو أن الصدقة مطهرة عن الآثام لقوله تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾[٤]. فكانت وسخًا كالماء المستعمل والامتناع من شرب الماء المستعمل من معالي الأمور. فكذلك تحريم الصدقة على بني هاشم يكون أحق إنما هو من معالي الأمور تعظيمًا وإكرامًا لهم؛ لكن لما مُنع الخُمس عنهم ولم يصل إليهم خُمس الخمس حل لهم تناول الزكاة للاضطرار والضرورة تأثير في إسقاط حكم الحرمة والنجاسة.

قال تعالى: ﴿فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾[٥]. فكان دفع ضرر زهوق الروح متناول ما حُرم عليهم تناوله تنزهاً وتكرماً أقل ضرراً وأخف مفسدة.

كما أن الميتة والدم تسقط حرمتها عند الاضطرار إلى أكلها، تسقط عن الآكل اعتبار نجاستها حتى لا يجب عليه غسل اليد والفم لمكان الضرورة.

ومع أن حرمة الزكاة أخف من حرمة الخمر بعينها فتكون الخمر بنص الحديث وهو قوله صلى الله عليه وسلم: (حرمت الخمر بعينها)[٦] أقوى تحريمًا، ومع كونها أقوى تحريمًا قد أبيح تناولها عند الاضطرار. فيكون تناول ما هو دونها في الحرمة أخف من تناولها انتهى ما أوردته في السؤال.

فأجاب شيخ الإسلام مفتي الأنام قدوة العلماء الأعلام جمال الدين محمد بن الصديق الخاص السراج الحنفي[٧] عن ذلك جوابًا مطولاً أجاد فيه وأفاد وأبلغ المريد المراد، فأخذت خلاصة جوابه ولب لبابه، وهو قوله: "الأصول والشروح من كتب أصحابنا الحنفية مصرحة بمنع أخذ الزكاة وما ضُم إليها في السؤال المذكور وعدم حل ذلك لهم، وفائدة التخصيص لهؤلاء المعينين أنه لا يجوز الدفع إلى غيرهم

(١) الجويني، نهاية المطلب، ج١١، ص٥٠٧. الغزالي، الوسيط، ج٤، ص٥٦٦. العيني، البناية، ج١، ص٤٠٠.

(٢) أي لفظته من فيك. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ج٢، ص٣٦١.

(٣) أخرجه الحاكم بلفظ "أرأيت لو تمضمضت ماء وأنت صائم؟ " قال الحاكم: على شرط الشيخين، ولم يخرجاه. المستدرك: ١/ ٤٣١.

(٤) سورة التوبة، آية ١٠٣.

(٥) سورة البقرة، آية ١٧٣.

(٦) قال الالباني: حديث صحيح. الالباني، صحيح سنن النسائي، ج٣، ص١١٤٩.

(٧) جمال الدين محمد بن الصديق الخاص الحنفي الزبيدي الشيخ الإمام الحبر الهمام الرحالة المحقق المعمر العلامة، كان من كبار علماء زبيد وأعيان المدرسين بها، وبقية المفتين على مذهب الإمام الأعظم أبي حنيفة، وبالجملة فإنه كان ليس له نظير في زمانه ولم يخلف بعده مثله، وكان الباشوات فمن دونهم يعظمونه جدا ويقبلون كلامه ولا يردون له طلباً، توفى عصر يوم الأربعاء رابع شهر شعبان سنة ٩٩٦هـ، ودفن صبيحة الخميس بباب سهام وعمره نحو التسعين. ينظر: العيدروس، النور السافر، ص٣٩٥.

من بني هاشم كذرية أبي لهب؛ لأنهم لم يناصروا النبي صلى الله عليه وسلم، وكذا لا نحل صدقة لموالي بني هاشم المخصوصين بالمنع ومواليهم عبيدهم لما روي أن مولى الرسول صلى الله عليه وسلم سأله اتحلّ لي الصدقة ؟ قال: لا أنت مولانا . كذا ذكره في الهداية"[١].

وهذا في حق الأجنبي لا يُدفع إليهم. وهل يجوز أن يدفع بعضهم إلى بعض؟. عند أبي حنيفة ومحمد لا يجوز. لقوله صلى الله عليه وسلم: (إن الله حرم عليكم غسالة أيدي الناس وأوساخهم، وعوضكم عنها بخُمس الخمس)[٢].

وقال أبو يوسف[٣]: يجوز لما روي أن العباس رضي الله عنه قال للنبي صلى الله عليه وسلم: أنك حرمت علينا صدقات الناس، فهل تحل صدقة بعضنا لبعض ؟ قال: نعم[٤].

كذا في الفتاوى الظهيرية[٥].

وأما التطوع[٦]، فيجوز صرفه إليهم؛ لأن المال ها هنا كالماء يتدنس بإسقاط الفرض[٧]. والتطوع بمنزلة التبرد بالماء.

---

(١) المرغيناني، الهداية، ج١، ص١١٢. الهداية: تأليف شيخ الإسلام الإمام برهان الدين علي بن أبي بكر بن عبد الجليل الفرغاني المرغيناني (ت:٥٣٩هـ). كتاب الهداية من أشهر مؤلفات الفقه الحنفي وأكثرها تداولاً بين الحنفية في القديم والحديث، وقد نال عندهم من العناية والاهتمام ما لم ينله كتاب آخر في المذهب سواء فيما يتعلق بتداوله درسًا وتدريسًا في الحلقات العلمية وكذلك ما يتعلق بخدمته شرحاً وتعليقاً وتخريجاً. جمع في الهداية بين الجامع الصغير لمحمد بن الحسن الشيباني ومختصر القدوري، ولم يتجاوزهما إلا فيما ندر، ورتبه على وفق ترتيب الجامع الصغير، وذكر في كتابه هذا الاختلافات بين آراء أبي حنيفة وبين آراء تلميذيه أبي يوسف ومحمد بن الحسن الشيباني. ينظر: الآقحصاري، بيان أحكام الأراضي، ص٢٣.

(٢) الطبراني، المعجم الكبير، ج٢٠، ص٢٨٧. الهيثمي، مجمع الزوائد، ج٣، ص٩١. قال الزيلعي: غريب بهذا اللفظ. نصب الراية، ج٢،ص ٤٠٣.

(٣) القاضي أبو يوسف تلميذ الإمام أبو حنيفة وقاضي القضاة في عهد هارون الرشيد. هو يعقوب بن إبراهيم بن حبيب. أخذ الفقه عن أبي حنيفة، وهو المقدم من أصحابه جميعًا. ولي القضاء للهادي والمهدي والرشيد. وهو أول من سمي قاضي القضاة، وأول من اتخذ للعلماء زيًا خاصًا. وثقه أحمد وابن معين وابن المديني. روي عنه أنه قال: "ما قلت قولا خالفت فيه أبا حنيفة إلا وهو قول قاله ثم رغب عنه" من تصانيفه: الخراج، وأدب القاضي، والرد على سير الأوزاعي وغيرها (ت:١٨٢هـ). ينظر: الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج١٤، ص٢٤٢. القرشي، الجواهر المضية، ص٢٢٠.

(٤) الشوكاني، نيل الأوطار، ج٤، ص٢٠٥.

(٥) الفتاوى الظهيرية: تأليف الإمام محمد بن أحمد بن عمر القاضي البخاري ظهير الدين (ت:٦١٩هـ)، تُعد هذه الفتاوى من كتب المذهب الحنفي واسعة الانتشار، وهذا واضح من كثرة النقول منها، والمكانة العلمية المرموقة للمؤلف، فضلاً عما حوته هذه الفتاوى من مسائل مهمة يحتاج إليها الفقيه، إذ جمع فيها الواقعات والنوازل. ينظر: النقيب، المذهب الحنفي، ج٢، ص٦١٧.

(٦) يقصد صدقة التطوع وليس المفروضة.

(٧) الحدادي، الجوهرة النيرة، ج١، ص١٣٠. ابن أبي العز، التنبيه على مشكلات الهداية، ج١، ص٣٤٠.

وكذا يجوز صرف صدقة الأوقاف[١] إليهم؛ لأنه إذا سماهم كان حكم ذلك حكم التطوع بدلالة أن للواقف أن يشترط الأغنياء، وكذا لبني هاشم كذا في الكرخي[٢].

وأما إذا أطلق الواقف لم يجز؛ لأنها تكون صدقة واجبة ويجوز صرف خُمس الركاز[٣] والمعدن إلى بني هاشم، ولا يجوز لهم النذور ولا الكفارات ولا صدقة الفطر ولا جزاء[٤] العبيد لأنها صدقة واجبة فلا يجوز لهم كذا عند أبي يوسف[٥].

ولا يجوز لبني هاشم أن يعملوا على الصدقة؛ لأنها وإن كانت أجرة[٦] من وجه، فهي صدقة من وجه فاستوى فيه الحظر والإباحة فغلب الحظر. وقال أبو يوسف: إلا أن يكون رزقهم على العمل من غيرها فيجوز[٧]. وهذا المذكور هو ظاهر المذهب[٨].

وأما ما ذكره صاحب النهاية شرح الهداية[٩]، روى أبو عصمة رحمه الله عن أبي حنيفة رضي

(١) الوقف: الحبس، يقال: وقفت الدار وقفًا، حبستها في سبيل الله. وعند الفقهاء يعني: حبس العين على حكم ملك لله تعالى وصرف منفعتها على من يشترطه الواقف. ينظر: المرغيناني، الهداية، ج٣، ص١٣.

(٢) الكرخي، شرح الكرخي، ج١، ورقة ١١٤. عبيد الله بن الحسين بن دلال بن دلهم أبو الحسن الكرخي، ولد سنة ٢٦٠هـ، انتهت إليه رياسة أصحاب أبي حنيفة وانتشر أصحابه، وكان كثير الصوم والصلاة صبورًا على الفقر والحاجة ولما أصابه الفالج آخر عمره كتب أصحابه إلى سيف الدولة بن حمدان بما ينفق عليه فعلم بذلك فبكى وقال اللهم لا تجعل رزقي إلا من حيث عودتني فمات قبل أن تصل إليه صلة سيف الدولة وهي عشرة آلاف درهم، وكان من تولى القضاء من أصحابه هجره، وتوفي ليلة النصف من شعبان سنة ٣٤٠هـ. ينظر: القرشي، الجواهر المضية، ج١، ص٣٣٧.

(٣) الركاز هو المال المدفون في الأرض قبل الإسلام، ولا يكلف استخراجه ثمنًا فيكون لمن وجده على أن يؤدي عنه الخُمس حال عثوره عليه، ويصرف في مصروف الزكاة. ومعلوم أن مقدار الزكاة (٢,٥٪) بينما ما يدفعه الذي يعثر على الركاز (٢٠٪) من قيمته. ينظر: الكبيسي، الآراء المالية، ص٨٧.

(٤) أي الجزية: وهي ما يؤخذ من أهل الذمة، والجمع جزى بالكسر، وهي عبارة عن المال الذي يُعْقَدُ الذمة عليه للكتابي. ينظر: البعلي، المطلع، ص١٤٠.

(٥) الحدادي، الجوهرة النيرة، ج١، ص١٣٠.

(٦) الأجرة: هي كراء الأجير. وهي عقد معاوضة على تمليك منفعة بعوض. ينظر: الدسوقي، حاشية على الشرح الكبير، ج٤، ص٢.

(٧) الحدادي، الجوهرة النيرة، ج١، ص١٣٠.

(٨) هذا رأي الزبيدي.

(٩) السغناقي، النهاية، ص٢١٣. النهاية شرح الهداية: تأليف الإمام العلامة حسين بن علي بن حجاج بن علي حسام الدين السغناقي، كان إمامًا، عالمًا، فقيهًا، نحويًا، جدليًا (ت: ٧١٤هـ). تأتي أهمية الكتاب من تناول العلماء له بالشرح والاختصار والعكوف على قراءته، إذ أفاد منه فقهاء الحنفية وخاصة شراح الهداية، وأكثروا من النقل عنه. وكتاب النهاية من الكتب التي برزت مكانتها بين كتب الفقه عمومًا وكتب الفقه الحنفي خصوصًا، وما ذلك إلا لما تميز به هذا الكتاب من مزايا منها: سهولة أسلوب المؤلف في الشرح، إذ يمهد بمقدمة لكل فصل وكتاب، ويربطه بما قبله، ويوضح الكلمات الغريبة، وحدة الموضوع وتماسك الفكرة. ينظر: الغزي، الطبقات السنية، ج٣، ص١٥٠.

الله عنه أنه يجوز دفع الزكاة إلى الهاشمي في هذا الوقت، وإنما لا يجوز في ذلك الوقت، ويجوز النقل بالإجماع، وكذا يجوز النقل للغني؛ كذا في فتاوى العتابي[١]، وذُكر في المحيط[٢] بعد ذكر هذه الرواية[٣].

وروى ابن سماعة[٤] عن أبو يوسف أنه قال: "لا يأتي بصدقة بني هاشم بعضهم إلى بعض، ولا أرى الصدقة عليهم ولا على مواليهم من غيرهم" انتهى[٥].

وعبارة التبيين شرح الكنز[٦] للإمام الزيلعي[٧] رحمه الله: روى أبو عصمة رضي الله عنه أنه يجوز دفع الزكاة إلى الهاشمي في زمانه. وروي عن أبي حنيفة رضي الله عنه "أنه يجوز دفع زكاته إلى الهاشمي" انتهى[٨].

---

(١) العتابي، فتاوى العتابية، ورقة ٧٨. العتابي: الإمام أحمد بن محمد بن عمر أبو نصر العتابي البخاري، والعتابي نسبة إلى عَتابية وهي محلة ببخارى، كان من العلماء الزاهدين المتبحرين في علوم الدين، وكان الطلبة من أقطار الأرض يرحلون إليه، من تصانيفه شرح الزيادات، وشرح الجامع الكبير، وشرح الجامع الصغير، وجوامع الفقه المعروف بالفتاوى العتابية. توفى سنة ٥٨٦هـ.

(٢) المحيط البرهاني في الفقه النعماني تأليف للإمام الجليل الفقيه برهان الدين محمود بن أحمد بن عبد العزيز بن عمر ابن مازة البخاري الحنفي (ت:٦١٦هـ) كتاب قيم ضخم؛ بل موسوعة فقهية تتضمن مسائل الفقه الحنفي، ويوازي في المكانة والأهمية وكثرة الرجوع إليه ووفرة الجزئيات الفقهية كتب الفتاوى الأخرى المتداولة في الأوساط العلمية. وهو من أمهات كتب الفقه الحنفي ومن أهم مصادره. وقلما نجد كتابا في الفقه الحنفي خالياً من الإحالة إلى المحيط البرهاني؛ بل كثير من الكتب التي وُضعت وأُلِّفت بعده مشحونةٌ بالإحالة إليه. يمتاز الكتاب أن مؤلفه قد أودعه مسائل فقهية جمة من كتب فقهية هامة، تُعد من أهم المتون والموسوعات الفقهيّة. ومن جهة أخرى قد فصل وحلل المؤلف كل مسألة فيه تفصيلاً دقيقاً إلى جانب تأييدها بالأدلة. ينظر: اللكنوي، الفوائد البهية، ص٢٦٩.

(٣) ابن مازه، المحيط البرهاني، ج٢، ص٢٨٤.

(٤) ابن سماعة: محمد بن سماعة بن عبد الله بن هلال التميمي أبو عبد الله الحنفي، حافظ للحديث، ثقة. ولد سنة ١٣٠هـ، وكان يصلي في كل يوم مئتي ركعة. ولي القضاء لهارون الرشيد ببغداد، وضعف بصره، فعزله المعتصم. وصنف كتباً منها: أدب القاضي، والمحاضر والسجلات، والنوادر عن أبي يوسف، توفي سنة ٢٣٣هـ. ينظر: الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج٥، ص٣٤١.

(٥) ابن مازه، المحيط البرهاني، ج٢، ص٢٨٤.

(٦) كتاب تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق للزيلعي وهو شرح متوسط لمتن كنز الدقائق حل فيه المؤلف ألفاظه وعلل أحكامه وزاد عليه في الفروع، كثر اعتماد المتأخرين عليه. وأوضح فيه الخلاف بين أئمة المذهب الحنفي. وهو شرح مقبول معتمد. ينظر: اللكنوي، الفوائد البهية، ص١١٥.

(٧) الزيلعي: الإمام فخر الدين عثمان بن علي بن محجن أبو محمد الزيلعي الفقيه العلامة الحنفي، كان مشهوراً بمعرفة الفقه والنحو الفرائض، قدم القاهرة سنة ٧٠٥هـ، فأفتى ودرس وانتفع به الناس، وله تصانيف منها: تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق، وبركة الكلام على أحاديث الأحكام، وشرح الجامع الكبير، توفي بالقاهرة سنة ٧٤٣هـ. ينظر: اللكنوي، الفوائد البهية، ص١٥٠.

(٨) الزيلعي، تبيين الحقائق، ج١، ص٣٠٣.

وفي شرح مجمع البحرين[١] لابن فرشتى[٢] رحمه الله قال: وفي شرح الآثار[٣] عن أبي حنيفة رضي الله عنه أن الصدقات كلها جائزة على بني هاشم، والحرمة كانت في عهد النبي صلى الله عليه وسلم لوصول خُمس الخمس إليهم، فلما سقط ذلك بموته صلى الله عليه وسلم حلت لهم الصدقات[٤].

قال الطحاوي[٥] رحمه الله: وبالجواز نأخذ[٦].

وقول السائل أصلحه الله تعالى وفي القول بحلها لهم إلى آخر ما ذكر جوابه أن هذا نظير مع المؤلفة قلوبهم[٧] الذين ذكرهم الله تعالى في كتابه العزيز، وقد منعوا بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم[٨] ولا نسخ بعده .

---

(١) ابن فرشتا، شرح مجمع البحرين، ورقة ٥٢. شرح مجمع البحرين: تأليف عبد اللطيف بن عبد العزيز بن أمين الدين الرومي الفقيه الحنفي المعروف بابن ملك ويقال له ابن فرشته، وهو شرح معتبر متداول بين الفقهاء يكتسب أهميته من الأصل مجمع البحرين وشهرة مؤلفه. ينظر: طاشكبرى زادة، الشقائق النعمانية، ص١١٨.

(٢) عبد اللطيف بن عبد العزيز بن أمين الدين الرومي الفقيه الحنفي المعروف بابن ملك ويقال له ابن فرشته وهي لفظة تركية تعني الملك، كان يسكن ويدرس في بلدة تيرة قرب أزمير وعُد من علماء الروم، كان مؤدبًا للأمير محمد بن آيدن أحد المشهورين بالحفظ الوافر من أكثر العلوم، وأحد المبرزين في عويصات العلوم، وله القبول التام عند الخاص والعام. من تصانيفه: بدر الواعظين وذخر العابدين، رسالة في التصوف، شرح مجمع البحرين، مبارق الأزهار في شرح مشارق الأنوار، وغيرها توفي سنة ٨٠١هـ. ينظر: السخاوي، الضوء اللامع، ج٤، ص٣٢٩.

(٣) شرح معاني الآثار: تأليف أحمد بن محمد بن سلامة الطحاوي (ت:٣٢١هـ) انتهت إليه رئاسة الحنفية بمصر. كتاب في أحاديث الأحكام وأدلة المسائل الخلافية مرتب على الكتب والأبواب الفقهية، ذكر فيه الطحاوي الآثار المأثورة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في الأحكام التي يتوهم أن بعضها ينقض بعضًا، وبين ناسخها من منسوخها ومقيدها من مطلقها وما يجب به العمل وما لا يجب وكان يسوق الآثار التي يتمسك بها أهل الخلاف، ويبين سندها ومتنها وأقوال الصحابة والأئمة والعلماء فيها.

(٤) الطحاوي، شرح معاني الآثار، ج٢، ص١٠. ابن فرشتا، شرح مجمع البحرين، ورقة ٥٢.

(٥) الطحاوي، شرح معاني الآثار، ج٢، ص١٠. الطحاوي: الإمام أحمد بن محمد بن سلامة بن سلمة بن عبد الملك ابن سلمة بن سليمان الأزدي الحجري الطحاوي المصري الحنفي أبو جعفر، ولد بقرية طحا سنة ٢٢٩هـ، كان حافظاً للحديث فقيهاً مجتهداً وإماماً ثقةً، انتهت إليه رئاسة الحنفية بمصر، كان في أول أمره شافعيًا لأن خاله الإمام المزني صاحب الإمام الشافعي، ثم تحول إلى المذهب الحنفي. فاق أهل زمانه فقهًا وورعا، وصنف كتبًا كثيرة منها: مختصر الطحاوي، وشرح الجامع الصغير، وشرح معاني الأثار، وشرح مشكل الأثار، والعقيدة الطحاوية. توفى سنة ٣٢١هـ. ينظر: الذهبي، سير، ج١٥، ص٢٧.

(٦) الطحاوي، شرح معاني الآثار، ج٣، ص٢٢٥.

(٧) المؤلفة قلوبهم: هم السادة المطاعون في أقوامهم، كان لهم نصيب في أموال الزكاة ليتقوى ويترسخ الإسلام في قلوبهم بعد إسلامهم، أو ممن كانوا يُرجى إسلامهم. ينظر: أبو عبيد، الأموال، ص٧٢٢. ابن كثير، تفسير، ج٢، ص٣٦٥.

(٨) منعوا؛ لأن دولة الإسلام أصبحت قوية ولا تحتاج إلى ائتلاف ذوي المكانة الاجتماعية إلى صفها.

قال حافظ الدين النسفي رحمه الله في كتابه الكافي[1]: "الجواز عن منع المؤلفة، فلا يقال أن نُسخ الكتاب بالإجماع، لا يجوز؛ لأنه من قبيل انتهاء الشيء بانتهاء مدته. إلى آخر ما ذكر"[2].

وكان انتهاء الشيء بانتهاء علته، وفي إعطاء الهاشمي المحرمة كانت في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم لوصول خُمس الخمس إليهم، فلما سقط ذلك بموته حلت لهم الصدقة على ما ذكر في شرح مجمع البحرين[3] في أصل ذلك أنه يجوز دفع الصدقات كلها إلى بني هاشم، على ما روى أبو عصمة عن أبي حنيفة رضي الله عنه، وعلى ما ذكر شارح المجمع نقلاً لما ذكر في شرح الآثار، لاسيما وقد قال الطحاوي بالجواز نأخذ.

وأما ما نقل عن أئمة الشافعية رحمهم الله تعالى فقد سئل العلامة البحر الفهامة الحسين بن عبد الرحمن الأهدل[4] رحمهم الله تعالى عن الأشراف بأرحام رسول الله صلى الله عليهم، أكثرهم محتاجون يطلبون الزكاة فيحتج عليهم بأنها لا تحل لهم، ولا يُعطون من غيرها إلا يسيراً، فهل تحل لهم وقد تعذر عليهم من خُمس الخُمس ومن قبله المواساة أم لا؟.

فأجاب بما صورته: "الجواب أنها تحل لهم، والحال ما ذُكر كذا أفتى أئمة ورعون، فمن جعلهم بينه وبين الله تعالى فقد أحسن في صلة أرحام رسول الله صلى الله عليه وسلم. وقد فهم حلها من قوله صلى الله عليه وسلم: (أليس في خُمس الخمس ما يغنيهم)[5]، ومن ادعى أن الأحوط منعهم فإنه حسن النظر في صلتهم، ومن اعطاهم زكاته مقلداً لهؤلاء الأئمة ومؤثرًا لصلتهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم، كان صلى الله عليه وسلم شفيعه في قبول صدقته ورفع درجته، والعجب لمن يدعي الاحتياط بمنعهم ويفوته كثير من الاحتياط في غير هذا الباب وبالله التوفيق إلى الصواب" .

انتهى ما ذكره الإمام السيد بدر الدين الحسين بن عبد الرحمن الأهدل رحمه الله تعالى والله الموفق والهادي إلى الصراط المستقيم، وحسبنا الله ونعم الوكيل، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم

القول اللازم المختار بجواز دفع الصدقات إلى بني هاشم عند الاضطرار

(١) الكافي شرح الوافي: تأليف النسفي (ت:٧١٠هـ)، وهو شرح لكتاب الوافي للمؤلف نفسه، جعله يحتوي على مسائل الجامعين الصغير والكبير، والزيادات، ومختصر القدوري، وهو من الشروح المعتبرة عند الحنفية والمقبولة والمتداولة. ينظر: النقيب، المذهب الحنفي، ج٢، ص٤٨٠.

(٢) النسفي، الكافي، ج١، ورقة ٦٩.

(٣) ابن فرشتا، شرح مجمع البحرين، ورقة ٥٢.

(٤) الحسين الأهدل: الحسين بن عبد الرحمن بن محمد بن علي بن أبي بكر بن على الأهدل بدر الدين الحسيني العلوي الشافعي، ويعرف بابن الأهدل، فقيه، أصولي، متكلم، محدث، مؤرخ. ولد بالقحزية من بلاد اليمن سنة ٧٧٩هـ، ونشأ بها، وتوفي في ٩ المحرم سنة ٨٥٥هـ. من تصانيفه: كشف الغطا عن حقائق التوحيد وعقائد الموحدين وذكر الأئمة الاشعريين ومن خالفهم من المبتدعين، غربال الزمان المفتتح بسيد ولد عدنان، مفتاح القاري لجامع البخاري، المطرب للسامعين في مختصر روض الرياحين، واللمعة المقنعة في ذكر فروق المبتدعة. ينظر: الشوكاني، البدر الطالع، ج١، ص٢١٨.

(٥) قال البويصري: سنده ضعيف لضعف حسين بن قيس الرحبي. اتحاف الخيرة، ٥٢/٣. وأخرجه الطبراني في "الكبير" ١١/ ٢١٧ (١١٥٤٣) من حديث ابن عباس بلفظ: "إن لكم في خمس الخمس لما يغنيكم أو يكفيكم".

انتهى ما أجاب به العلامة مفتي المسلمين محمد بن الصديق الخاص السراج الحنفي رحمه الله تعالى ونفع بعلومه آمين.

أقول وكان كتابتي هذا السؤال إليه بعد أن سألني بعض الأشراف كتابته وألَحَّ عليَّ في السؤال في تاريخ شهر ذي الحجة من سنة تسع وسبعين وتسعمائة .

وقد سئل عن هذه المسألة شيخنا المرحوم فخر الدين بركة المسلمين أبو بكر بن عبد المجيد القرشي الحنفي رحمه الله تعالى حال حياته فأجاب بما صورته: "نعم تحل لهم على ما هو المختار في زماننا. ثم ساق رواية إلى أبي عصمة كما ذكرنا، ثم قال: وفي شرح الآثار عن أبي حنيفة رضي الله عنه الصدقات كلها جائزة على بني هاشم والحرمة كانت في عهد النبي صلى الله عليه وسلم، لوصول خُمس الخمس إليهم، فلما سقط ذلك بموته حل لهم الصدقات. قال الطحاوي: وبالجواز نأخذ. ووجهه أن عوضها وهو خُمس الخمس لم يصل إليهم لإهمال الناس أمر الغنائم وقسمتها وايصالها إلى مستحقيها وإذا لم يصل إليهم العوض عادوا إلى المعوض عنه عملاً بمطلق الآية سالماً من معاوضة. أخذ العوض وكما في سائر المعاوضات، وإنهم إذا لم يصل إليهم واحد منهما[1] هلكوا، وفي أخذها دفع الضرر عنهم" انتهى جواب شيخنا رحمه الله تعالى وقدس روحه وأسكن الروح والريحان ضريحه آمين.

أقول ولقد اكتفيت بما أودعته في متن السؤال من جواز دفع الصدقات إليهم وجواز تناولهم كذلك عن تصحيحي على الجوابين وتصريحي بتصويب الخطأين؛ إذ قد أوضحوا فيها الأدلة والشواهد المطالعة مطلع الأهلة أثابهم الله على ذلك آمين.

ثم أرسلت السؤال المتوج بجواب جمال أولي الإخلاص محمد بن الصديق الخاص إلى الفقيه العلامة عين الزمان عبد الله بن عثمان المطيب الحنفي[2] لقصد التصحيح عليه فأجاب عليه أحسن الله تعالى إليه فقال: "نعم تحل لهم على ما هو المختار في زماننا لرواية أبي عصمة عن أبي حنيفة رضي الله عنه أنه يجوز في هذا الزمان".

وإنما كان ممتنعًا في ذلك الزمان، وعنه وعن أبي يوسف أنه يجوز أن يدفع بعض بني هاشم إلى بعض زكاتهم، وظاهر لفظ المروي في الكتاب أعني الهداية[3]، وهو قوله عليه السلام: (يا بني هاشم إن الله كره لكم غسالة أيدي الناس وأوساخهم وعوضكم منها بخُمس الخمس)[4]. لا ينفيه للقطع؛ لأن المراد بالناس غيرهم؛ لأنهم المخاطبون، والخطاب المذكور عن[5] آخرهم والتعويض بخُمس الخمس

---

(١) أي يحصلوا على الخُمس أو العوض عنه.

(٢) فقيه يماني، لأن آل المطيب من علماء مدينة زبيد. ينظر: بامخرمة، قلادة النحر، ج٦، ص٣٥١ و٤٨١.

(٣) المرغيناني، الهداية، ج١، ص١١٢.

(٤) الطبراني، المعجم الكبير، ج٢٠، ص٢٨٧. الهيثمي، مجمع الزوائد، ج٣، ص٩١. قال الزيلعي: غريب بهذا اللفظ. نصب الراية، ج٢،ص ٤٠٣.

(٥) في: ب لمن، والتصويب من: م، ح.

عن صدقات أنفسهم؛ لكن هذا اللفظ غريب انتهى قولاً من فتح القدير شرح الهداية[١] للشيخ كمال الدين ابن الهمام[٢].

وقد أفهم جوابه أن هذه المسألة نظير مسألة إيجاب الدية على العاقلة[٣] فإنها كانت واجبة على العشيرة في زمن النبي صلى الله عليه وسلم، وبعده على أهل الديوان، لم يكن نسخًا بل كان تقديرًا للمعنى الذي وجبت الدية لأجله وهو الانتصار فكذا هنا، وقد ذكر بعضهم إن الأمر إذا ضاق اتسع، وكلما اتسع ضاق[٤]، وقد جمع بينهما بقوله: كلما تجاوز حده رجع إلى ضده. وأما حرمة ذلك بالنسبة إلى حرمة الخمر فالفرق ظاهر بما هو حرام بعينه وما هو حرام للمجاوزة، أو لمعنى أو للتنزه والله أعلم انتهى تصحيح العلامة عبد الله بن عثمان المطيب الحنفي.

وأما ما أجاب به العلامة شيخ الإسلام عبد الرحمن بن عبد السلام البجلي الشافعي قدس الله روحه آمين حين سئل عن ذلك فإنه قال: "وفي شرح الخادم[٥] للزركشي[٦] إذا لم ينقطع خُمس الخمس لا تحل لهم، فإذا انقطع عنهم كما في زماننا هذا، قال أكثرون على إنها حرمت عليهم، والصرف إليهم أوجه

(١) ابن الهمام، فتح القدير، ج٢، ص٢٧٣. فتح القدير للعاجز الفقير لابن الهمام هو من اشهر شروح الهداية المتداولة بين العلماء والمعتمدة عندهم. الكتاب يحوي الكثير من أقوال الفقهاء من أئمة المذهب الحنفي والإمام مالك والإمام الشافعي وغيرهما. ويُعد من أدق شروح الهداية وفيه ما يدل على نبوغ المؤلف وثقابة نظره وباعه الطويل في الفقه والأصول. ينظر: ابن عابدين، رسم المفتي، ص٧٧.

(٢) ابن الهمام: هو الإمام المحقق كمال الدين محمد بن عبد الواحد بن عبد الحميد بن مسعود السيواسي الإسكندري الشهير بابن الهمام، كان والده قاضياً بسيواس من بلاد الروم، قدم القاهرة، ثم ولي القضاء بالإسكندرية، وتزوج بها بنت القاضي المالكي، فولد له الكمال محمد سنة ٧٨٨هـ. قرأ الهداية على سراج الدين الشهير بقارئ الهداية. كان إماماً نظاراً فارساً على البحث فروعياً أصولياً محدثاً مفسراً حافظاً نحوياً كلامياً منطقياً جدلياً، وله تصانيف مقبولة ومعتمدة عند فقهاء الحنفية منها: فتح القدير للعاجز الفقير، ذاعت شهرته في عصره ومن بعده وأصبح المعول عليه في الآفاق. توفي سنة ٨٦١ هـ. ينظر: اللكنوي، الفوائد البهية، ص٢٣٥.

(٣) الْعَاقِلَةُ: جمع عاقل، وهو دافع الدية. ينظر: الآبي، جواهر الإكليل، ج١، ص٧٤.

(٤) ابن نجيم، الاشباه والنظائر، ص٧٢.

(٥) الخادم: هو شرح لكتابي فتح العزيز شرح الوجيز للرافعي (ت:٦٢٣هـ) وكتاب روضة الطالبين للنووي (ت:٦٧٦هـ)، ويسمى خادم الرافعي والروضة، والأشهر خادم للزركشي. فكتاب الخادم يُعد شرحاً لهما وتوضيحا لما فات منهما، والنقول منه كثيرة جداً. تدل على أهميته. ينظر: ابن قاضي شهبة، طبقات الشافعية، ج٣، ص١٦٨.

(٦) في: ح للكيكلدي، والتصويب من: م، ب. لأن كتاب الخادم للرافعي والروضة تأليف الزركشي. الزركشي: محمد ابن بهادر بن عبد الله الزركشي أبو عبد الله بدر الدين، من فقهاء الشافعية. تركي الأصل، ولد بمصر سنة ٧٤٥هـ، توفي سنة ٧٩٤هـ. له تصانيف كثيرة في فنون عدة منها: الإجابة لإيراد ما استدركته عائشة على الصحابة، ولقطة العجلان، والبحر المحيط، وإعلام الساجد بأحكام المساجد، والديباج في توضيح المنهاج، والتنقيح لألفاظ الجامع الصحيح. ينظر: ابن حجر، الدرر الكامنة، ج٣، ص٣٩٧.

عندي وهو ما عليه الإمام الأصطخري[١]، والهروي[٢]، ومحمد بن يحيى[٣] رحمه الله تعالى"[٤].

وفي تعليق ابن أبي هريرة[٥]: "أما اليوم فقد منعوا من الفيء فلا يجوز لنا أن نمنعهم من الصدقة المفروضة؛ لأنه يؤدي في تضييعهم وقد وجد فيهم ما وجد في غيرهم"[٦].

وقال الشريف أبو العباس[٧] العمراني[٨] في معتمد التنبيه[٩]: أخبرني من حضر مجلس فخر الدين

---

(١) الاصطخري: أبو سعيد الحسن بن أحمد بن يزيد بن عيسى بن الفضل الاصطخري الفقيه الشافعي، ولد سنة ٢٤٤هـ، له مصنفات حسنة في الفقه منها: كتاب الأقضية، وكان قاضي قم وتولى حسبة بغداد، وكان ورعاً، متقللاً، واستقضاه المقتدر بالله على سجستان فسار إليها فنظر في مناكحاتهم فوجد معظمها على غير اعتبار الولي، فأنكرها وأبطلها عن آخرها. توفي في جمادى الآخرة يوم الجمعة ثاني عشرة سنة ٣٢٨هـ. ينظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٢، ص٧٤.

(٢) في: ب، الغروي، والتصويب من: م، ح. الهروي: محمد بن نصر بن منصور أبو سعد الهروي القاضي أحد الفقهاء الرؤساء وهو الذي الخليفة ليخطب له بنت السلطان سنجر فقتلته الباطنية بهمذان ولي القضاء بمدن كثيرة من بلاد العجم وولي قضاء الشام مدة وقضاء بغداد مدة وترقت به الحال وعظم رتبته وعلا صيته. قتل سنة ٥١٩هـ. ينظر: السبكي، طبقات الشافعية، ج٧، ص٢٢.

(٣) في: ح، أحمد بن يحيى، والتصويب من: م، ب. محمد بن يحيى بن منصور الإمام المعظم الشهيد أبو سعيد النيسابوري تلميذ الغزالي، ولد سنة ٤٤٦هـ، تفقه على يد الغزالي وبه عرف، له تصانيف كثيرة منها: المحيط في شرح الوسيط، والإنصاف في مسائل الخلاف، وتعليقة في الخلافيات، وكان إماماً، مناظراً، ورعاً، زاهداً متقشفاً. قتل شهيداً على يد الغز، في شهر رمضان سنة ٥٤٨هـ. ينظر: السبكي، طبقات الشافعية، ج٧، ص٢٥.

(٤) الزركشي، خادم الرافعي، جزء الزكاة، ص١١٣.

(٥) الحسن بن الحسين الإمام الجليل القاضي أبو علي بن أبي هريرة. أحد عظماء فقهاء الشافعية في عصره، اسمه طار في الآفاق، كان أحد شيوخ الشافعيين وله مسائل في الفروع محفوظة وأقواله فيها مسطورة. توفي في شهر رجب سنة ٣٤٥هـ. ينظر: السبكي، طبقات الشافعية، ج٣، ص٢٥٦.

(٦) الرافعي، العزيز، ج٧، ص٣٩٨.

(٧) في ب، العباس، والتصويب من: م، ح.

(٨) أبو العباس أحمد بن عبد الله بن عمر بن الفقيه أحمد بن إبراهيم بن الفقيه عمراني العمراني، ولد سنة ٤٦٣هـ، تفقه على الإمام زيد اليفاعي، وأبي بكر المحائي، وابن عبدويه. وكان أكبر من ابن عمه يحيى بن محمد العمراني لكن يحيى أشهر منه. وكان أبو العباس فقيهاً، فاضلاً، ورعاً، تقياً. توفي سنة ٥٢٦هـ. ينظر: الخزرجي، العقد الفاخر، ج١، ص٣٤٠. بامخرمة، قلادة النحر، ج٤، ص٩٣.

(٩) هو شرح لكتاب التنبيه الذي ألفه الفقيه أبو إسحاق الشيرازي.

الرازي[١] في بعض مدن خراسان[٢] وخوارزم[٣]، وقد حضر جماعة من العلويين يشكون إليه أنهم مُنعوا من حقهم في بيت المال، وقد ضر بهم الحال فأخرج لهم مائة دينار أو نحو ذلك ودفعها إليهم، وقال: "يا مسلمين قد أفتيت بدفع صدقاتكم إلى هؤلاء فإنها تحل لهم وتسقط عنكم"[٤].

فهؤلاء أئمة كبار. ثم قال رحمه الله تعالى، وقال شيخنا شيخ المذهب والإسلام الوجيه بن زياد[٥] قدس الله روحه في عليين: "وقد سألني جماعة من الأشراف العلويين عن ذلك فأفتيتهم بجواز الأخذ إذ قلدوا القائلين بذلك" انتهى.

قلت: وبالجملة المعتمد في المذهب تحريم صرف الزكاة إليهم، والمختار جواز صرفها إليهم، فيسئل من أراد صرف ذلك إليهم تقليد من قال بجواز ذلك، ويسعه ذلك فيما بينه وبين الله تعالى ويبرئه عن الواجب.

ولم يترك العلماء قديمًا وأخيرًا يرشدون إلى التقليد إذا دعت الحاجة إليه في مسائل لا تحصر والأمر

(١) الرازي: محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي البكري أبو عبد الله فخر الدين الرازي، الإمام المفسر. أوحد زمانه في المعقول والمنقول وعلوم الأوائل. وهو قرشي النسب. أصله من طبرستان، ولد بالري سنة ٥٤٤هـ وإليها نسبته، ويقال له: ابن خطيب الري، رحل إلى خوارزم وما وراء النهر وخراسان، وتوفي في هراة. أقبل الناس على كتبه في حياته يتدارسونها. وكان يُحسن الفارسية. له مؤلفات كثيرة في الفقه، والحديث، والعقيدة، والتراجم، والتاريخ وغير ذلك. وكان واعظاً بارعاً باللغتين. توفي سنة ٦٠٦هـ. ينظر: ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٣، ص٥٥.

(٢) خراسان: بلاد واسعة وتشتمل على أمهات من البلاد منها نيسابور وهراة ومرو، وبلخ وطالقان ونسا وأبيورد وسرخس وما يتخلل ذلك من المدن التي دون نهر جيحون، وقد فتحت أكثر هذه البلاد عنوةً وصلحاً في سنة ٣١هـ في أيام عثمان بن عفان رضي الله عنه. ينظر: ياقوت، معجم البلدان، ج٢، ص٣٥٠.

(٣) خوارزم: ليس اسما للمدينة إنما هو اسم للناحية بجملتها، ولاية عامرة متصلة العمارة متقاربة القرى كثيرة البيوت المفردة والقصور في صحاريها. ينظر: ياقوت، معجم البلدان، ج٢، ص٣٩٥.

(٤) يقصد الزكاة.

(٥) الشيخ العلامة وجيه الدين عبد الرحمن بن عبد الكريم بن أحمد بن علي بن أحمد بن إبراهيم بن علي بن زياد الغيثي المقصري نسبته إلى المقاصرة بطن من بطون عك بن عدنان الزبيدي بلداً ومولداً ومنشأً الشافعي مذهباً الاشعري عقيدةً الحكمي خرقةً، ولد في شهر رجب سنة ٩٠٠هـ على رأس القرن العاشر الهجري، وحفظ القران الكريم، واشتغل بالفقه والحديث والتفسير والسير واللغة والفرائض من كبار فقهاء عصره، وانتفع به وأذن له بالتدريس والإفتاء، طالع الكتب وجد وأجتهد حتى صار عيناً من الأعيان يُشار إليه بالكف والبنان له مؤلفات جاوزت الثلاثين منها فتاويه، تحقيق المقال في رؤية هلال شوال، النخبة في الأخوة والصحبة، وغيرها، توفي لية الأحد بعد صلاة المغرب حادي عشر شهر رجب سنة ٩٧٥هـ. ينظر: العيدروس، النور السافر، ص٢٧٣.

إذا ضاق اتسع[1]، والمشقة تجلب التيسير[2]، ﴿وما جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾[3]، وفي صحيح البخاري في ترجمة لفظها كان يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: (يسروا ولا تعسروا)[4]. وكان يحب التخفيف واليسر[5] انتهى.

وهذا أصل عظيم في دفع المشاق والترغيب في التيسير على الناس، والفقيه العارف بأسرار الفقه ودقائقه هو الذي ينظر في المعاني ولا يجمد على هذه الألفاظ فإن الجمود على الألفاظ مذموم عند جهابذة العلماء انتهى جواب العلامة البجلي الشافعي رحمه الله تعالى.

قلت: وقال في جواهر العقدين[6]: وقد ذهب أبو حنيفة رضي الله عنه إلى تحريم الصدقة على بني هاشم فقط. وحكى الطحاوي جوازها لهم إذ قد حُرموا سهم ذوي القربى، ثم قال السيد السمهودي[7] رحمه الله تعالى: وفي مذهبنا مثله. والصحيح المنع مطلقًا وهو لمعنيين كما قاله الجرجاني[8] في

---

(١) هي إحدى القواعد الفقهية. الاتساع: مأخوذ من الوسع، والتوسيع ضد التضييق. والمفهوم من هذه القاعدة أنه إذا شوهد ضيق ومشقة في فعل أو أمر يجب إيجاد رخصة وتوسعة لذلك الضيق فلا زالت المشقة تجوز الأشياء غير الجائزة قياساً والمغايرة للقواعد. والمراد إذا حصلت ضرورة عارضة للشخص أو الجماعة، وأصبح معها الحكم الأصلي محرجاً ومرهقاً حتى يجعل المكلف في حرج وضيق فإنه يخفف ويوسع عليه حتى يسهل، وإذا دعت الضرورة والمشقة إلى اتساع الأمر فإنه يتسع إلى غاية اندفاع الضرورة والمشقة، فإذا اندفعت الضرورة الداعية عاد الأمر إلى ما كان عليه قبل نزوله. ينظر: الحموي، غمز عيون البصائر، ج١، ص٢٧٣.

(٢) قاعدة فقهية تعني: أن الصعوبة التي تصادف في شيء تكون سببا باعثا على تسهيل وتهوين ذلك الشيء، وبعبارة أخرى يجب التوسيع وقت الضيق. المراد بالمشقة الجالبة للتيسير: المشقة التي تنفك عنها التكليفات الشرعية. أما المشقة التي لا تنفك عنها التكليفات الشرعية فلا أثر لها في جلب تيسير ولا تخفيف. وهي القاعدة التي تختص ببيان رخص الشرع وتخفيفاته بناء على الأعذار الموجبة لذلك. فإن الأحكام التي ينشأ على تطبيقها حرج على المكلف ومشقة في نفسه أو ماله فالشريعة تخففها بما يقع تحت قدرة المكلف واستطاعته دون عسر أو إحراج. ولهذه القاعدة أدلة كثير من الكتاب والسنة والإجماع والمعقول. ينظر: ابن نجيم، الأشباه والنظائر، ص٦٤.

(٣) سورة الحج، آية ٧٨.

(٤) البخاري، صحيح، ج١، ص٢٥. ج٨، ص٣٠.

(٥) البخاري، صحيح، ج٨، ص٣٠.

(٦) يُعد كتاب جواهر العقدين في فضل الشرفين شرف العلم الجلي والنسب العلي ذا أهمية خاصة لدى الباحثين المهتمين بالتاريخ الإسلامي والزهد إذ فيه الكثير من العلوم والمعارف.

(٧) السمهودي: علي بن عبد الله بن أحمد الحسني الشافعي نور الدين أبو الحسن، مؤرخ المدينة المنورة ومفتيها. ولد في سمهود بصعيد مصر سنة ٨٤٤هـ، ونشأ في القاهرة. واستوطن المدينة سنة ٨٧٣هـ، وتوفي بها سنة ٩١١هـ. من كتبه: وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى، وجواهر العقدين، والغماز على اللماز. ينظر: العيدروس، النور السافر، ص٥٨.

(٨) الجرجاني: أحمد بن محمد بن أحمد أبو العباس الجرجاني، قاضي البصرة وشيخ الشافعية بها في عصره. له مصنفات كثيرة منها: التحرير، والبلغة، والشافي. وكان عارفاً بالأدب، له نظم مليح، توفي سنة ٤٨٢هـ. ينظر: ابن قاضي شهبة، طبقات الشافعية، ج١، ص٢٦٠.

الشافي، أحدهما: الغنى[١] بما لهم من الخُمس[٢]. والثاني: اقتضاء شرفهم تنزههم عن ذلك. فإذا زال أحد المعنيين تعلق المنع بالآخر. ثم قال السمهودي رحمه الله: "سببه أن يكون ما نقله الطحاوي عن أبي حنيفة رضي الله عنه ما ذهب اليه أصحابنا من أجل الضرورة التي سوغت لمعنى الأول فقط" انتهى لفظ السيد السمهودي رحمه الله[٣].

أقول: ومراده بالمعنى الأول جواز دفعها إليهم إذ قد حرموا سهم ذوي القربى وهو خُمس الخمس توسعًا. ومن القواعد الشرعية إذا ضاق الأمر اتسع. وقد قال السمهودي في جواهر العقدين: أن الضرورات تبيح المحظورات، أو لأن العلة مركبة من المعنيين عندنا معتبر الحنفية؛ لأن كلام العلتين مستقلة في المنع. ثم قال رحمه الله: وذهب صاحبه يعني أبا يوسف، والضمير عائد إلى أبي حنيفة رضي الله عنه: إن تحريمها أي الصدقة عليهم إن كانت من غيرهم، وجوزها من بعضهم لبعض، ونقل الحاكم[٤] في كتابه[٥] عن العباس بن عبد المطلب[٦] رضي الله عنه إنه يجوز لبني المطلب قبض زكاة بعضهم بعضًا، ولم يذكر في ذلك خلافًا.

وقال الجحدري نقلاً عما ذكره الكرخي في مختصره: "أنه يحل لهم صدقة الأوقاف إذا سماهم"[٧].

وقيل يحل لهم أخذ الزكاة في زماننا[٨] ويبرأ الدافع إليهم لرواية أبي عصمة عن أبي حنيفة رضي الله عنه، أنه قال: يجوز دفع الزكاة إلى الهاشمي، وعن أبي حنيفة رضي الله عنه أن الصدقات كلها

(١) في: ح، الغني، والتصويب من: السمهودي، جواهر العقدين، ورقة ٨٨.

(٢) في: ز، خمس الخمس، والتصويب من: السمهودي، جواهر العقدين، ورقة ٨٨.

(٣) السمهودي، جواهر العقدين، ورقة ٨٨.

(٤) الحاكم: محمد بن عبد الله بن حمدويه بن نعيم الضبي النيسابوري أبو عبد الله، المعروف بالحاكم، ولد في مدينة نيسابور سنة ٣٢١هـ، من أكابر حفاظ الحديث والمصنفين فيه. رحل إلى العراق سنة ٣٤١هـ وحج، وجال في بلاد خراسان وما وراء النهر، وأخذ عن نحو ألفي شيخ. وولي قضاء نيسابور، ثم جرجان فامتنع. وكان ينفذ في الرسائل إلى ملوك بني بويه، فيحسن السفارة بينهم وبين السامانيين. صنف كتباً كثيرة منها: تاريخ نيسابور، والمستدرك على الصحيحين، والإكليل. ينظر: السبكي، طبقات الشافعية، ج٣، ص٦٤.

(٥) المستدرك على الصحيحين: جمع المؤلف في هذا الكتاب (٨٩٥٦) حديثاً على شرط البخاري ومسلم لكنهما لم يخرجوها في صحيحيهما.

(٦) العباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف أبو الفضل، من أكابر قريش في الجاهلية والإسلام، وجد الخلفاء العباسيين. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في وصفه: أجود قريش كفاً وأوصلها، هذا بقية آبائي. وكان محسناً لقومه، سديد الرأي، واسع العقل، مولعاً بإعتاق العبيد، كارهاً للرق، اشترى ٧٠ عبدا وأعتقهم. وكانت له سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام، أسلم قبل الهجرة وكتم إسلامه، وأقام بمكة يكتب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبار المشركين. ثم هاجر إلى المدينة، وشهد غزوة حنين فكان ممن ثبت حين أنهزم الناس. وشهد فتح مكة. وفقد بصره في آخر عمره. وكان إذا مر بعمر في أيام خلافته ترجل عمر إجلالاً له، وكذلك عثمان. توفي سنة ٣٢هـ. ينظر: ابن الجوزي، صفة الصفوة، ج١، ص٢٠٣.

(٧) الكرخي، شرح الكرخي، ج١، ورقة ١١٤.

(٨) أي زمان المؤلف.

جائزة على بني هاشم، والحرمة كانت في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم حين كان يصل إليهم خُمس الخمس فلما سقط ذلك بموته حل لهم الصدقة.

قال الطحاوي: "وبالجواز نأخذ ووجهه أن خُمس الخمس لم يصل إليهم لإهمال الناس أمر الغنائم وقسمتها وإيصالها إلى مستحقيها، فإذا لم يصل إليهم العوض عادوا إلى المعوض". عملاً بمطلق الآية سالماً عن المعارضة؛ لأنهم إذا لم يصل إليهم أحدهما هلكوا جوعًا، فيباح لهم منها ما يباح للفقير العاجز عن الاكتساب من أكل الزكاة والصدقات بأنواعها حتى لو استغنى أحدهم عنا بمال تجب فيه الزكاة لا تحل له تناول الزكاة لكون الزكاة طهرة للمال. ولهم قال الله تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾[1]. وقال صلى الله عليه وسلم: (خذها من أغنيائهم وردها في فقرائهم)[2].

ثم إذا قلنا بإباحة تناول الزكاة لهم عند منع خُمس الخمس عنهم فأكلوا ذلك زمانًا ثم رُد إليهم خُمس الخمس المفروض لهم هل يجب عليهم قضاء ما أكلوا من مال الزكاة في أيام منعه على ما قيل إن ترك الواجب بعذر يرفع الأثم ولا يسقط الحق قياسًا على إباحة تناول مال الغير بغير إذنه في حالة المخمصة وإنه يجب عليه قضاء مثل ذلك عند القدرة عليه أم لا يجب عليه قضاء ما أكلوه من ذلك في أيام المنع عنهم لفقرهم وحاجتهم إلى ذلك قياساً على ما ذكره صاحب خلاصة الفتاوى[3]: "المسافر إذا كان له مال في وطنه حل له أخذ الصدقة قدر ما يبلغ إلى وطنه"[4].

وفي الدَين المجحود[5] له أن يأخذ الصدقة قدر الكفاية، ثم الدين المؤجل يأخذ الصدقة إلى وقت حلول الأجل، وفي الدين على المفلس[6] تكلم المتأخرون، والمختار أن تحل له أن يأخذ الصدقة كابن السبيل فإذا عاد المسافر إلى وطنه وأقر بالدين المجحود بعد الجحود[7]. وأحل الدين المؤجل ووصل ابن السبيل إلى ماله وتحقق غناهم المانع حل الصدقة عليهم، لا يجب عليهم قضاء ما تناولوا منها في

---

(١) سورة التوبة، آية ١٠٣.

(٢) البخاري، صحيح، ج٢، ص١٠٤.

(٣) خلاصة الفتاوى: تأليف الشيخ الإمام افتخار الدين طاهر بن أحمد بن عبد الرشيد البخاري (ت:٥٤٢هـ)، كان عديم النظير في زمانه شيخ الحنفية بما وراء النهر، من أعلام المجتهدين في المسائل، له مصنفات منها: خزانة الواقعات، والنصاب، فسأله تلاميذه تلخيص كتبه، فالف الخلاصة وهو كتاب مفيد عند العلماء ومعتمد عند الفقهاء، هو احد كتب الفتاوى لخصه من كتابي الواقعات والخزانة. اسم الكتاب يدل على محتواه والمنهج الذي سار عليه المؤلف فقد اختصر هذا الكتاب من كتابه نصاب الفقيه، وخزانة الواقعات مما دل على أن المؤلف جمع فيه ما استطاع الوقوف عليه من الفتاوى الفقهية وذكرها بشكل موجز مختصر. ينظر: اللكنوي، الفوائد البهية، ص١٠٩.

(٤) البخاري، خلاصة الفتاوى، ورقة ٥٨.

(٥) الدين المجحود الذي جحده المدين سنين علانية إذا لم يكن عليه بينة، ثم صارت له بينة بعد سنين، بأن أقر الجاحد عند قوم به. ينظر: البرهانبوري، فتاوى عالم كير، ج١، ص١٧٤.

(٦) المفلس: أن يكون الدين الذي على الرجل أكثر من ماله، وسواء أكان غير ذي مال أصلاً، أم كان له مال إلا أنه أقل من دينه. ينظر: ابن رشد الحفيد، بداية المجتهد، ج٢، ص٢٨٤.

(٧) البخاري، خلاصة الفتاوى، ورقة ٥٧.

أيام الحاجة، فكذلك بنو هاشم فيما تناولوه من الصدقة حال اضطرارهم إليها.

لو فرضنا نحو خُمس الخمس إليهم لا يجب عليهم قضاء ما تناولوه من الصدقة في أيام الحاجة ولا نقيس حرمة الصدقة على بني هاشم على حرمة الميتة والدم ولحم الخنزير؛ لأن حرمة الصدقة على بني هاشم مع حلها لغيرهم من الأمة إنما هي الكراهة والتنزيه عن الوسخ لكونها غسالة أموال الناس ولا كذلك حرمة الميتة والدم ولحم الخنزير؛ فإن هذه الأشياء منصوص على حرمتها لنجاستها لقوله تعالى مخاطبًا لنبيه صلى الله عليه وسلم: (قُل لَّا أَجِدُ فِي مَا أُوْحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ)[1]. والرجس التحريم[2]. أحل التناول منها عند الاضطرار بقدر سد الريق إبقاءً للمهجة. فقال: ﴿فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ الآية[3].

إلا إنه قد اختلف العلماء في إباحة هذه الأشياء في حالة الضرورة، هل تصير مباحة من كل وجه أم تبقى الحرمة ويرتفع الأثم، فقال الإمام عبد العزيز[4] شارح البزدوي[5]: ذهب بعضهم إلى أن الميتة لا تحل؛ ولكن رخص في الفعل ابقاءً للمهجة كما في الإكراه على الكفر، وهو رواية عن أبي يوسف وأحد قولي الشافعي، وذهب باقي أصحابنا إلى أن الحرمة ترتفع في هذه الحالة، وذكر للخلاف فائدتين إحدهما أنه إذا صبر حتى مات لا يكون آثمًا على القول الأول بخلاف القول الثاني. والوجه الثاني حلف لا يأكل حرامًا فتناول الميتة في حال الضرورة يحنث على الأول ولا يحنث على الثاني انتهى[6]، نقلاً

القول اللازم المختار بجواز دفع الصدقات إلى بني هاشم عند الاضطرار

---

(١) سورة الأنعام، آية ١٤٥.

(٢) الطبري، جامع البيان، ج١٢، ص١٩٠.

(٣) سورة الأنعام، آية ١٤٥. قال مؤلف هنا: فلا اثم عليه. وهذا خطأ غير مقبول ان يكون الوهم منه أو من الناسخ في آيات القرآن الكريم.

(٤) عبد العزيز بن أحمد بن محمد علاء الدين البخاري، فقيه حنفي من علماء الأصول. من أهل بخارى. له تصانيف منها: شرح أصول البزدوي، وشرح المنتخب الحسامي، توفي سنة ٧٣٠هـ. ينظر: الكملائي، البدور المضية، ج١١، ص١١٨.

(٥) كشف الأسرار تأليف علاء الدين البخاري (ت:٧٣٠هـ) شرح حافل لأصول البزدوي حاول البخاري حل غوامض الكتاب وتوضيح ما أبهم من رموزه وإشاراته المعضلة وبيان ما اجمل من الفاظه وعباراته المشكلة ذكر فيه الخلاف والدليل والتركيز على الرأي الراجح وكثيراً ما يناقش ما استدل به الآخرون. ينظر: النقيب، المذهب الحنفي، ج٢، ص٧٣٣.

(٦) البخاري، كشف الأسرار، ج٢، ص٣٢٢. والنص عنده: "وأعلم أن العلماء اختلفوا في حكم الميتة والخمر والخنزير ونحوها في حالة الاضطرار أنها تصير مباحة أو تبقى على الحرمة ويرتفع الإثم. فذهب بعضهم إلى أنها لا تحل، ولكن يرخص الفعل في حالة الاضطرار إبقاء للمهجة كما في الإكراه على الكفر، وأكل مال الغير، وهو رواية عن أبي يوسف، وأحد قولي الشافعي وذهب أكثر أصحابنا إلى أن الحرمة ترتفع في هذه الحالة".

من جمع الجوامع[1] للزركشي[2]. من أئمة الشافعية رحمهم الله تعالى.

وهذا فيما ورد النص بنجاسته وحرمته لا ما ذكرنا تحريمه على بني هاشم إكرامًا لهم لعلة إنه وسخ أموال الناس فإنه بمنزلة الماء المستعمل في الوضوء فإنه في رواية محمد[3] عن أبي حنيفة رضي الله عنه طاهر وعليه الفتوى[4].

قال في خلاصة الفتاوى: "يجوز التوضي بماء استعمل في غير البدن فإذا توضئ المتوضئ بالماء صار مستعملاً عند أصحابنا. والمحدث إذا توضأ بالماء للتبرد وللتعليم صار الماء مستعملاً عند أبي حنيفة وأبي يوسف خلافاً لمحمد"[5].

وهذا ما دعت الحاجة إليه ووقعت الهمة عليه، ومن كان عنده زيادة بيان وقوة برهان في ذلك فليسلك في الصدقة على بني هاشم أشرف المسالك وليسأل الله العون على ذلك.

وكان الفراغ من هذا التأليف اللطيف في تاريخ الثاني عشر من شوال المبارك من سنة ثمانين وتسعمائة .

---

(١) تشنيف المسامع بجمع الجوامع تأليف الزركشي (ت:٧٩٤هـ) من أهم مؤلفات الزركشي الأصولية أظهر فيه قوة في النقد والتحرير والتهذيب. امتاز بشرح غريب الألفاظ، وتحرير ما اختلف فيه، وتصوير المسألة تصويراً دقيقاً.

(٢) الزركشي، تشنيف المسامع بجمع الجوامع، ج١، ص٢٠١ _ ٢٠٢. والنص عنده: "وفيه نظر؛ لأن الأعيان لا توصف بحل ولا حرمة، فيبقى التناول وهو واجب، فيكف يكون حراما وليس ذا وجهين؟ ثم رأيت الإمام عبد العزيز شارح البزدوي قال: اختلف العلماء في حكم الميتة ونحوها في حال الضرورة: أنها تصير مباحة أو تبقى على الحرمة؟ فذهب بعضهم إلى أنها لا تحل، ولكن يرخص الفعل إبقاء للمهجة، كما في الإكراه على الكفر، وهو رواية عن أبي يوسف، وأحد قولي الشافعي، وذهب أكثر أصحابنا إلى أن الحرمة ترتفع في هذه الحالة، وذكر للخلاف فائدتين. إحداهما: أنه إذا صبر حتى مات لا يكون آثما على الأول، بخلافه على الآخر. الثانية: إذا حلف لا يأكل حراما فتناولها في حال الضرورة، يحنث على الأول ولا يحنث على الثاني".

(٣) الإمام محمد بن الحسن بن فرقد أبو عبد الله الشيباني، ولد سنة (١٣١هـ) كان أبوه من بلاد الشام، زار العراق فولد له محمد في واسط، ونشأ بالكوفة وفيها طلب الحديث، وسمع من مسعر ومالك والأوزاعي والثوري، صحب أبا حنيفة وأخذ الفقه عنه، وكان من أعلم الناس بكتاب الله، ماهراً في العربية والنحو والحساب، قال أبو عبيد: ما رأيت أعلم بكتاب الله منه. وقال الشافعي: أخذت من محمد وقر بعير من العلم، وهو الذي نشر علم أبي حنيفة، وإنما ظهر علم أبي حنيفة بتصانيفه، توفي سنة (١٨٩هـ). كتبه كثيرة في الفقه والأصول منها: المبسوط ويسمى أيضا الأصل، والزيادات، والجامع الكبير، والكسب، والجامع الصغير، والآثار، والسير، والموطأ، والحجة على أهل المدينة. ينظر: أبو زهرة، أبو حنيفة، ص١٨٢.

(٤) الجصاص، شرح مختصر الطاوي، ج١، ص٢٣٣. الكاساني، بدائع الصنائع، ج٢، ص٤٩. الزيلعي، تبيين الحقائق، ج٣، ص٢٥٦. البابرتي، العناية، ج٥، ص٥٠٤. العيني، البناية، ج٧، ص١٧٢. ابن الهمام، فتح القدير، ج٢، ص٢٧٢.

(٥) البخاري، خلاصة الفتاوى، ورقة ١.

مصادر ومراجع التحقيق

القرآن الكريم

أولاً المخطوطات:

- الآراء المالية في كتاب الأم للإمام الشافعي، تأليف: الكبيسي، مقتدر حمدان (الدكتور). (بروناي، منشورات جامعة السلطان الشريف علي، ٢٠١٥) .
- الأحكام السلطانية، تأليف: أبو يعلى، محمد بن الحسين (ت:٤٥٨هـ). صححه: محمد حامد الفقي (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٨٣م).
- الأحكام السلطانية والولايات الدينية، تأليف: الماوردي، علي بن محمد (ت:٤٥٠هـ). دراسة وتحقيق: د. محمد جاسم الحديثي (بغداد، مطبعة المجمع العلمي العراقي، ٢٠٠١م).
- الأشباه والنظائر، تأليف: ابن نجيم، زين الدين بن إبراهيم (ت:٩٧٠هـ). (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٨٠).
- الأموال، تأليف: أبو عبيد، القاسم بن سلام (ت:٢٢٤هـ). تحقيق: محمد خليل هراس (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٨٦).
- الانتقاء في فضائل الثلاثة الأئمة الفقهاء، تأليف: ابن عبد البر، يوسف بن عبد الله (ت:٤٦٣هـ). (بيروت، دار الكتب العلمية، د . ت).
- أبو حنيفة حياته وعصره آراؤه وفقهه، تأليف: أبو زهرة، محمد عبد الله. (القاهرة، دار الفكر، ١٩٧٤).
- بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، تأليف: الكاساني، مسعود بن أحمد (ت:٥٨٧هـ). (القاهرة، شركة المطبوعات العلمية، ١٣٢٧هـ).
- بداية المجتهد ونهاية المقتصد، تأليف: ابن رشد الحفيد، محمد بن أحمد (ت:٥٩٥هـ). تحقيق: خالد العطار (بيروت، دار الفكر، د . ت).
- البداية والنهاية في التاريخ، تأليف: ابن كثير، إسماعيل بن عمر (ت:٧٧٤هـ). (بيروت، مكتبة المعارف، ١٩٨٨).
- البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، تأليف: الشوكاني، محمد بن علي (ت:١٢٥٠هـ). تحقيق: محمد حسن حلاق (دمشق، دار ابن كثير، ٢٠٠٦).
- البدور المضية في تراجم الحنفية، تأليف: الكملائي، محمد حفظ الرحمن بن محب الرحمن. (القاهرة، دار الصالح، ٢٠١٧).
- البناية شرح الهداية، تأليف: العيني، محمود بن أحمد (ت:٨٥٥هـ). (بيروت، دار الكتب العلمية، ٢٠٠٠).
- بيان أحكام الأراضي، تأليف: الآقحصاري، أحمد بن محمد (ت:١٠٤١هـ). تحقيق: د. مقتدر حمدان عبد المجيد (دبي، مركز جمعة الماجد، ٢٠١٩).
- تاج العروس من جواهر العروس، تأليف: الزبيدي، محمد بن محمد بن محمد (ت:١٢٠٥هـ).(بيروت، مكتبة الحياة، د . ت).
- تاريخ بغداد، تأليف: الخطيب البغدادي، أحمد بن علي (ت:٤٦٣هـ). تحقيق: مصطفى عبد القادر (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٨٧).
- تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق، تأليف: الزيلعي، عثمان بن علي (ت:٧٤٢هـ). (القاهرة، المطبعة الكبرى الأميرية، ١٩٩٠).
- تشنيف المسامع بجمع الجوامع، تأليف: الزركشي، محمد بن بهادر (ت:٧٩٤هـ)، تحقيق: د. سيد عبد العزيز، د.

عبد الله ربيع (القاهرة، مكتبة قرطبة، ١٩٩٨).

- تفسير القرآن العظيم، تأليف: ابن كثير، إسماعيل بن عمر (ت:٧٧٤هـ). (القاهرة، دار إحياء الكتب العربية، د . ت).
- التنبيه على مشكلات الهداية، تأليف: ابن أبي العز، علي بن علي (ت:٧٩٢هـ). تحقيق: عبد الحكيم محمد (الرياض، مكتبة الرشد، ٢٠٠٣).
- جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تأليف: الطبري، محمد بن جرير بن يزيد (ت:٣١٠هـ). تصحيح: صدقي جميل العطار (بيروت، دار الفكر، ١٩٨٥).
- الجواهر المضية في طبقات الحنفية، تأليف: القرشي، عبد القادر بن محمد (ت:٧٧٥هـ). (حيدر آباد الدكن، مطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية، د . ت).
- الجوهرة النيرة، تأليف: الحدادي، أبو بكر بن علي (ت:٨٠٠هـ).(القاهرة، المطبعة الخيرية، ١٣٢٢هـ).
- حاشية الدسوقي على الشرح الكبير، تأليف: الدسوقي، محمد بن أحمد بن (ت:١٢٣٠هـ). (القاهرة، دار إحياء الكتب العربية، د . ت).
- خادم الرافعي والروضة، تأليف: الزركشي، محمد بن بهادر (ت:٧٩٤هـ). تحقيق: محمد بن ضيف الله العتبي، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، (١٤٣٦هـ).
- خلاصة الفتاوى، تأليف: البخاري، طاهر بن أحمد بن عبد الرشيد (ت:٥٤٢هـ). نسخة محفوظة في جامعة الملك سعود، م (٣٣١) رقم ٣٤٨٥.
- الدرر الكامنة بأعيان المائة الثامنة، تأليف: ابن حجر، أحمد بن علي (ت:٨٥٢هـ). تحقيق: د . محمد عبد المعيد خان (حيدر آباد الدكن، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، ١٩٧٢).
- رد المحتار على الدر المختار، تأليف: ابن عابدين، محمد أمين بن عمر (ت:١٢٥٢هـ). (بيروت، دار الفكر، ١٩٧٩).
- رسم المفتي، تأليف: ابن عابدين، محمد أمين بن عمر (ت:١٢٥٢هـ). منشور ضمن مجموعة رسائله (كراتشي، مكتبة مير محمد، د . ت).
- سير أعلام النبلاء، تأليف: الذهبي، محمد بن أحمد (ت:٧٤٨هـ). تحقيق: شعيب الارناؤوط (بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٩٨٣).
- شرح الكرخي، تأليف: الكرخي، عبيد الله بن الحسين (ت:٣٤٠هـ). نسخة مكتبة حافظ افندي، تركيا، رقم ٨٠٤.
- شرح مختصر الطحاوي، تأليف: الجصاص، أحمد بن علي (ت:٣٧٠هـ). تحقيق: د . عصمت الله عنايت الله (بيروت، دار السراج، ٢٠١٠).
- شرح معاني الآثار، تأليف: الطحاوي، أحمد بن محمد (ت:٣٢١هـ). تحقيق: محمد زهري النجار (القاهرة، مطبعة الأنوار المحمدية، د . ت).
- الشقائق النعمانية في علماء الدولة العثمانية، تأليف: طاش كبري زادة، أحمد بن مصطفى (ت:٩٦٨هـ). (بيروت، دار الكتاب العربي، ١٩٧٥).
- صحيح البخاري، تأليف: البخاري، محمد بن إسماعيل (ت:٢٥٦هـ). مراجعة: د. مصطفى ديب (بيروت، دار ابن كثير، ١٩٨٧).
- صفة الصفوة، تأليف: ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي (ت:٥٩٧هـ). تحقيق: أحمد علي (القاهرة، دار الحديث، ٢٠٠٠).
- الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، تأليف: السخاوي، محمد بن عبد الرحمن (ت:٩٠٢هـ). (بيروت، دار مكتبة

الحياة، د . ت).
- الطبقات السنية في تراجم الحنفية، تأليف: الغزي، تقي الدين بن عبد القادر (ت:١٠١٠هـ). تحقيق: عبد الفتاح محمد (القاهرة، مطابع الأهرام، ١٩٧٠).
- طبقات الشافعية الكبرى، تأليف: السبكي، عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي (ت:٧٧١هـ). تحقيق: د. عبد الفتاح محمد الحلو ود. محمود محمد الطناحي (القاهرة، مطبعة عيسى البابي الحلبي، ١٩٦٤).
- طبقات الشافعية، تأليف: ابن قاضي شهبة، أحمد بن محمد بن عمر (ت:٨٥٢هـ). تحقيق: عبد العليم خان (بيروت، عالم الكتب، ١٩٩٧).
- العزيز شرح الوجيز، تأليف: الرافعي، عبد الكريم بن محمد (ت:٦٢٣هـ) . تحقيق: علي محمد (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٩٧).
- العقد الفاخر الحسن في طبقات أكابر أهل اليمن، تأليف: الخزرجي، علي بن الحسن (ت:٨١٢هـ). تحقيق: عبد الله العبادي وآخرون (صنعاء، دار الجيل الجديد، ٢٠٠٩).
- العناية شرح الهداية، تأليف: البابرتي، محمد بن محمد (ت:٧٨٦هـ). (القاهرة، المكتبة التجارية الكبرى، د . ت).
- غريب الحديث، تأليف: ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم (ت:٢٧٦هـ). تحقيق: د. عبد الله الجبوري (بغداد، مطبعة العاني، ١٣٩٧هـ).
- غمز عيون البصائر في شرح الأشباه والنظائر، تأليف: الحموي، أحمد بن محمد (ت:١٠٩٨هـ).(بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٨٦).
- فتاوى عالم كير، تأليف: نظام الدين، البرهانبوري (ت: ق ١٢هـ). (بيروت، دار الكتب العلمية، ٢٠٠٠).
- الفتاوى العتابية، تأليف: العتابي، أحمد بن محمد (ت:٥٨٦هـ). نسخة مكتبة بشير اغا، تركيا، رقم ١٠٥٨.
- فتح القدير للعاجز الفقير، تأليف: ابن الهمام، محمد بن عبد الواحد (ت:٨٦١هـ). (القاهرة، المكتبة التجارية الكبرى، د . ت).
- الفوائد البهية في تراجم الحنفية، تأليف: اللكنوي، عبد الحي بن محمد. (القاهرة، دار الكتاب الإسلامي، د . ت).
- قلادة النحر في وفيات أعيان الدهر، تأليف: بامخرمة، الطيب بن عبد الله (ت:٩٤٧هـ). تحقيق: بو جمعة مكري وخالد زواري (جدة، دار المنهاج، ٢٠٠٨).
- الكافي شرح الوافي، تأليف، النسفي، عبد الله بن أحمد (ت:٧١٠هـ). نسخة المكتبة الظاهرية، دمشق، رقم ٩٦٨٤.
- كشف الأسرار، تأليف: البخاري، عبد العزيز بن أحمد (ت:٧٣٠هـ). تحقيق: عبد الله محمود (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٩٧).
- كشف الأسرار شرح المنار، تأليف: النسفي، عبد الله بن أحمد (ت:٧١٠هـ). (بيروت، دار الكتب العلمية، د . ت).
- لسان العرب، تأليف: ابن منظور، محمد بن مكرم (ت:٧١١هـ). (بيروت، دار صادر، ١٩٥٧).
- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، تأليف: الهيثمي، علي بن أبي بكر (ت:٨٠٧هـ). (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٨٨).
- المحيط البرهاني، تأليف: ابن مازه، محمود بن محمد (ت:٦١٦هـ). تحقيق: نعيم اشرف (بيروت، مؤسسة نزيه كركي، ٢٠٠٤).
- المذهب الحنفي، تأليف: النقيب، أحمد بن محمد. (الرياض، مكتبة الرشد، ٢٠٠١).
- مصادر الفكر اليمني، تأليف: الحبشي، عبد الله محمد. (أبو ظبي، المجمع الثقافي، ٢٠٠٤).
- المطلع على أبواب المقنع، تأليف: البعلي، محمد بن أبي الفتح (ت:٧٠٩هـ). تحقيق: محمد بشير (بيروت، المكتب الإسلامي، ١٩٨١).

- معجم البلدان، تأليف: ياقوت، ياقوت بن عبد الله (ت:٦٢٦هـ). (بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٩٧٩).
- المعجم الكبير، تأليف: الطبراني، سليمان بن أحمد (ت:٣٦٠هـ). تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي (الموصل، مكتبة العلوم والحكم، ١٩٨٣).
- المغني على مختصر الخرقي، تأليف: ابن قدامة، عبد الله بن محمد (ت:٦٢٠هـ). تصحيح: محمد رشيد رضا (القاهرة، مطبعة المنار، ١٣٤٥هـ).
- نهاية المطلب في دراية المذهب، تأليف: الجويني، عبد الملك بن عبد الله بن يوسف (ت:٤٧٨هـ). تحقيق: د . عبد العظيم محمود (عمان، دار المنهاج،٢٠٠٧).
- النهاية شرح الهداية، تأليف: السغناقي، حسين بن علي (ت:٧١٤هـ). تحقيق: خالد بن تركي الوحداني، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة أم القرى، (الرياض، ١٤٣٦هـ).
- النور السافر عن أخبار القرن العاشر، تأليف: العيدروس، عبد القادر بن عبد الله (ت:١٠٣٨هـ). تحقيق: د. أحمد حالو وأخرون (بيروت، دار صادر، ٢٠٠١).
- نيل الأوطار من أحاديث سيد الأخيار شرح منتقى الأخبار، تأليف: الشوكاني، محمد بن علي (ت:١٢٥٠هـ). (بيروت، دار الجيل، ١٩٧٣).
- الهداية شرح البداية، تأليف: المرغيناني، علي بن أبي بكر (ت:٥٣٩هـ). (القاهرة، المكتبة التجارية الكبرى، د . ت).
- الوسيط في المذهب، تأليف: الغزالي، محمد بن محمد (ت:٥٠٥هـ) . تحقيق: أحمد محمود إبراهيم ومحمد محمد تامر (القاهرة، دار السلام، د . ت).
- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تأليف: ابن خلكان، أحمد بن محمد بن إبراهيم (ت:٦٨١هـ). تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد (القاهرة، مطبعة السعادة، ١٩٤٨).

they are the fruit of the desert and one of the staple foods of the Arabs. Therefore, Arab civilization has been interested in palm trees since ancient times. The research addressed a number of points, including highlighting the concept of soft power and the extent of its effectiveness in promoting various Emirati heritage products, most notably (the palm tree). As a symbol of the Emirati identity. Second: The importance of the palm tree in Arab civilization and identity. Third: The palm tree in Arabic poetry.

4. Al Tuhfa Al Jamiaa li Mufradat Altib Al Nafiaa; Prophetic medicine as a source of medical knowledge in Arab-Islamic civilization/Dr. Ayman Yassin Atat / Germany

The period between the second and seventh centuries AH/eighth and thirteenth centuries AD of the Arab-Islamic civilization played a major role in the development of all sciences, especially in the fields of medicine and pharmacy. Historical studies indicate that the first independent pharmacy known to history was established in 137 AH/754 AD in Baghdad. The emergence of books and encyclopedias also contributed; If it is medical, such as the book Al-Hawi fi al-Tibb by Abu Bakr al-Razi (who died in 311 AH/925 AD), and the book al-Qanun fi al-Tibb by Ibn Sina (who died in 428 AH/1037 AD), or pharmaceutical encyclopedias such as the book al-Jami' li Mofradat al-Adwiya wa Aghthiya by Ibn al-Bitar al-Andalusi (who died in 646 AH/1248 AD). And others, in the development of the sciences of medicine and pharmacy in that historical period of Arab civilization and their later transfer to other civilizations.

5. Irshad Al-Taif to Ilm Al-Latif by Al-Mallawi/ Dr. Taha Fares/ UAE

This is a valuable message by the eminent scholar Wali al-Din al-Mallawi, in which he expresses what is meant by the words: soul, heart, spirit, and mind, which are mentioned in the texts of the Qur'an and Sunnah, following the path of investigation and scrutiny.

It is no secret that this topic has occupied many Muslim scholars and philosophers and has remained a subject of controversy in ancient and modern times.

The author has made this message into an introduction, objectives, and conclusion.

6. Al Qawl Alazim Al Mukhtar Bijawaz Dafie Al Sadakat Ila Bini Hashim Inda Al Itirar, written by Talha bin Abdul Rahman Al-Zubaidi Al-Hanafi (d. 980 AH)/A. Dr . Muqtadir Hamdan Abdel Majeed/Iraq

Our Arabic library suffers from a noticeable lack of basic sources, whether books or letters dealing with the economic and financial aspects of our lives.

Among the treatises that dealt with this activity was the treatise (The Selected Necessary Saying on the Permissibility of Giving Alms to Banu Hashim in Case of Necessity) by Sheikh Talha bin Abdul Rahman Al-Zubaidi, which I chose to study and investigate, as I felt in it great importance due to the opinions, precise treatments and analyzes contained in it of many opinions. On the topic of giving alms to Bani Hashim. Undoubtedly, these opinions result from the breadth of culture of the author of the letter, and his deep understanding of the topic that he discusses in this letter.

Abstracts of Articles

1. Explanations and footnotes by scholars of the Far Maghreb on the books and collections of the Prophet's biography

Dr. Rachid El Hamdaoui/Morocco

The biography of the Prophet is one of the most important things that a Muslim care to know and preserve, as it is a history of the life of the Messenger, peace and blessings be upon him, an explanation of the provisions contained in the Qur'an, and a practical application of Islam. The scholars of the Far Maghreb have paid attention to this science since the Islamic spread, narrating the first works in it, summarizing them, reading, composing and arranging them.

One of the aspects of their care that distinguished them from others is their care in explaining what was composed or compiled in the Prophet's biography, explaining its meanings, explaining its strangeness, explaining its references, explaining the verses and hadiths it contains, defining what was mentioned in it of notables, places, and tribes, and weighing between what the narrations differed in and in detail the facts and events mentioned therein.

2. Tunisian literary heritage between the wars: the mechanism of national self-defense

Atef Abdel Sattar/Tunisia

During the second half of the nineteenth century and the beginning of the twentieth century, the Tunisian country witnessed severe political tension that led to the weakness of the state and the disintegration of its structures, which made it fall easy prey to the French colonizers in 1881 AD. Tunisians went out relentlessly to defend their homeland with all available methods, and the people of literature were, as usual, the pioneers of this early stage of creative giving, strengthening the resolve and sharpening the resolve. Their literary productions were a symbol of the Tunisian genius, a memory preserving the values of the people, and one of the components of the cultural identity and its specificity. With the values and meanings it carries, it is a clear indication of nobility, authenticity and extension, and a bright mark in the country's history, present and future. Thus, the Tunisian literary heritage between the wars was a protective shield from the attacks of the French colonizers and a fierce advocate for the identity of the Arab-Islamic country. Therefore, in this research we seek to introduce it and highlight its role in the struggle against the French colonizers until the state gained its independence, adopting a descriptive and inductive approach.

3. Palm trees in popular heritage are a source of Emirati soft power / Talib Ghuloum Talib / UAE

The research aims to identify "the palm tree as a source of Emirati soft power and its impact on Emirati popular beliefs." The research explained that the date palm is one of the trees sanctified by the Arabs in general and the peoples of the Arabian Gulf region in particular. It was engraved on seals in ancient civilizations, and its name was mentioned in Sumerian mythology. Some studies have indicated that the palm tree may have been brought to the land of Sumer from the Arabian Gulf region for propagation, and the palm tree was distinguished in their appreciation and honored in their rituals and legends. The research confirmed that dates have a high nutritional value, as

INDEX

Editorial

From the marvels of Islam:
Educating muslims to be kind to people
Editing Director 4

Researches Titles:

Explanations and footnotes by scholars of the Far Maghreb on the books and collections of the Prophet's biography
Dr. Rachid El Hamdaoui 6

Tunisian literary heritage between the wars: the mechanism of national self-defense
Atef Abdel Sattar 35

Palm trees in popular heritage are a source of Emirati soft power
Talib Ghuloum Talib 59

Al Tuhfa Al Jamiaa li Mufradat Altib Al Nafiaa; Prophetic medicine as a source of medical knowledge in Arab-Islamic civilization
Dr. Ayman Yassin Atat 79

Manuscripts' Verification

Irshad Al-Taif to Ilm Al-Latif by Al-Mallawi
Dr. Taha Fares 97

Al Qawl Alazim Al Mukhtar Bijawaz Dafie Al Sadakat Ila Bini Hashim Inda Al Itirar, written by Talha bin Abdul Rahman Al-Zubaidi Al-Hanafi (d. 980 AH)/A.
Dr . Muqtadir Hamdan Abdel Majeed 145

Abstracts 181

Āfāq Al Thaqāfah Wa'l-Turāth

A Scientific Refereed Quarterly Journal

Published by:
The Department of Studies,
Publications and Foreign Affairs
Juma Al Majid Center
for Culture and Heritage
Dubai - P.O. Box: 55156
Tel.: (04) 2624999
Fax.: (04) 2696950
United Arab Emirates
Email: info@almajidcenter.org
Website: www.almajidcenter.org

Volume 32 : No. 126 - Dhul Hijjah - 1445 A.H. - June 2024

INTERNATIONAL RECORD NUMBER

ISSN 1607 - 2081

This Journal is listed in the "Ulrich's International Periodicals Directory" under record No. 349378

EDITORIAL BOARD

EDITING DIRECTOR
Dr. Azzeddine Benzeghiba

EDITING SECRETARY
Dr. Muna Mugahed Al Matari

EDITORIAL BOARD
Dr. Ababakr El Saddik
Dr. Muhammad Ahmad Al Qurashi
Dr. Fekry Abdelmonem Elnagar
Dr. Mohamed Vadel El hattab

ANNUAL SUBSCRIPTION RATE

	U.A.E.	Other Countries
Institutions	100 Dhs.	150 Dhs.
Individuals	70 Dhs.	100 Dhs.
Students	40 Dhs.	75 Dhs.

Articles in this magazine represent the views of their authors and do not necessarily reflect those of the center or the magazine, or their officers.